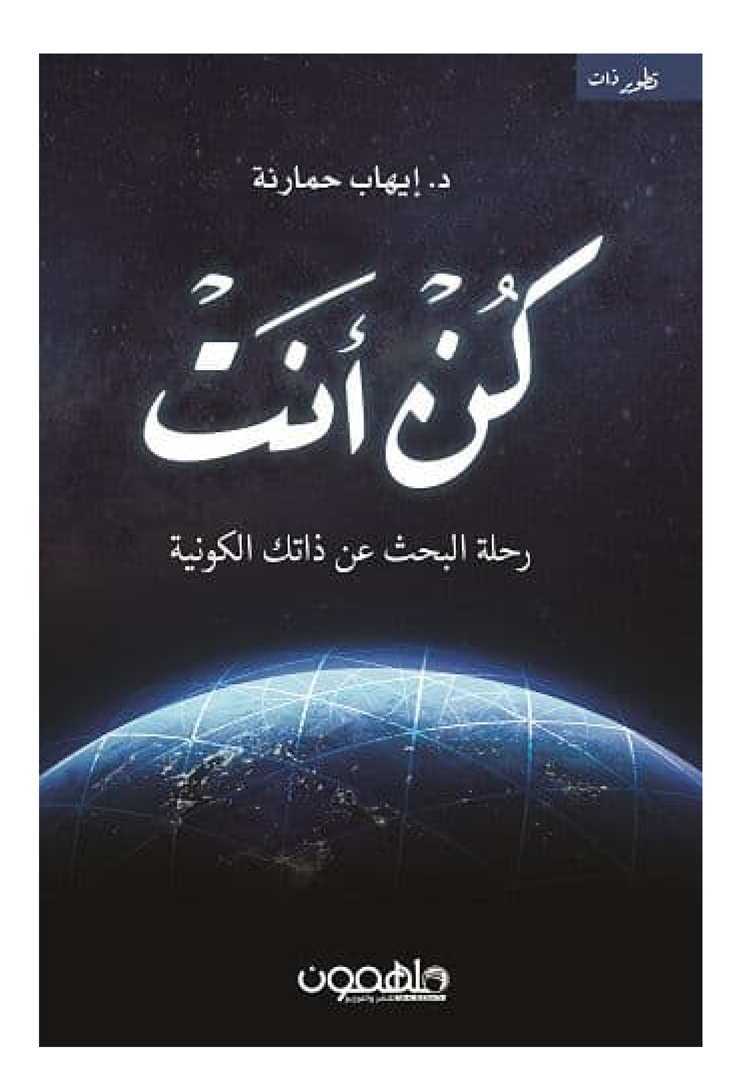


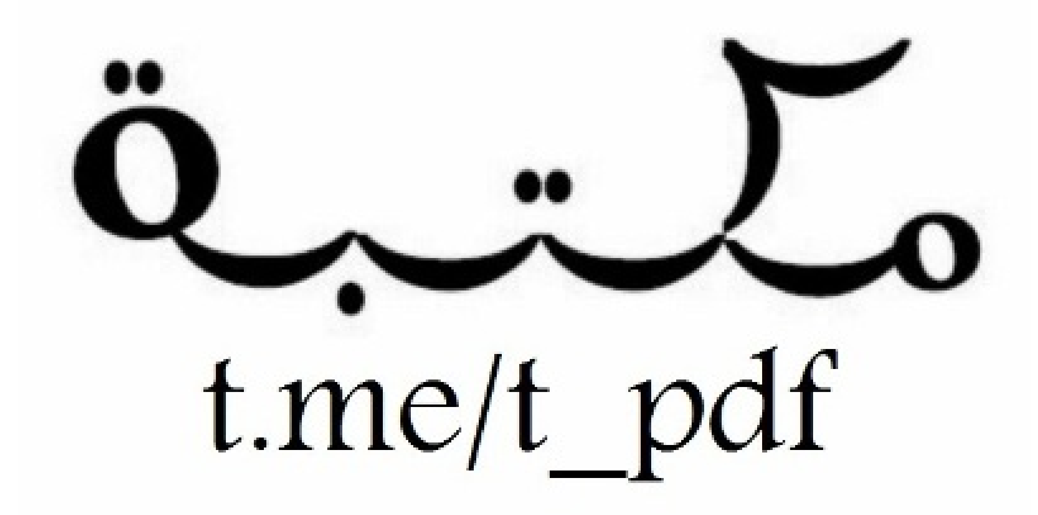
تطوير ذات
د. إيهاب حمارنة
كُنْ أنتَ
رحلة البحث عن ذاتك الكونية
ملهمون

كن أنت
رحلة البحث عن ذاتك الكونية

د. إيهاب حمارنة

دار ملهمون للنشر والتوزيع

2021



كلمة الغلاف

كل نفس على الأرض تسعى بوعي او من دون وعي للعودة إلى أصلها الروحي، وهنا يلبي الكتاب هذا المطلب الملتهب، ليعمل كالمرشد لك في رحلتك الداخلية إلى أصلك الواحد. لا يسعى الكتاب ان يكون جرعة تحفيزية، أو حتى ليرمي ببعض التقنيات في التنمية البشرية، وانما هو مرشد صادق وشجاع في صلب اكتشاف الذات والتعبير الصادق عنها.

يعرف د.إيهاب، الكاتب، في أسلوبه المتكامل الذي يحاكي الروح والعملية على حد سواء، ومن خلال المزج بين تعاليم الوعي والقصص والأمثلة، ليقدم لك خطاب شمولي لنهضتك ونهضة الجنس الإنساني ككل. قد قام إيهاب من خلال رسالة كن انت، والتي شاهدها الملايين حول العالم، بمشاركة رسائل عميقة وملهمة في صلب اكتشاف الذات والتمكين النفسي، ليأتي هذا الكتاب كزبدة فلسفته البسيطة في الحياة، ليساعدك أن تعيش رسالتك الحقيقة على الأرض.

العَهْدُ

هي رغبة الكِتاب أن يبدأ بعهدٍ واضحٍ أخطُّه أنا، وأنت بهدف تيسير الطريق، وتحقيق المُبتغى. وليس هذا العهد اتفاقيّة تقليديّة تخطّها مع شركة الاتصالات عند تجديد اشتراك الهاتف، بل هو عهد صادق نحاكي به ذواتنا الأصليّة، ونتعهد فيه أن يكون الكتاب الوسيلة، والطريق لمنهج حياة جديد، يرتقي بك وبالإنسانيّة عامة إلى آفاق الحياة العليا.

فلنبدأ العهد بالتذكير بمبتغى الكتاب وهو: «كن أنت»، نعم، هو بهذه البساطة: كن أنت، ففي رحم هذا المسعى تتجلّى أنصع أشكال الصدق؛ الصدق المصفّى من أنواع التزوير كافة، والمجاملات الكذابة. فسترى في رحلة الكتاب انفضاحًا لأركان الحقيقة كما هي، وإن كان في كلمة «الانفضاح» شيء من القسوة، فهي تلك القسوة الحنونة التي يلبّي بها الكتاب تَوْق الحقيقة فيك وفيّ. وسأكون أول من ارتضى أن يفضح نفسه لأقدّمها لك عارية، علّ هذا التعرّي يكون تذكيرًا بحقيقتك الكاملة، وانجلاءً لِوَهم الأقنعة التي سمّمَت جسد البشرية على مدار قرون. وبهذا لن تراني أحاول أن أستر نفسي لأدّعي المثالية، بل سأعطي الكتاب الحريّة الكاملة ليعرّيني، ويعرّي أفكاري الداخليّة كلمة وراء كلمة، لتسطع لك رحلة اكتشاف الذات كما هي بكلّ جوانبها، وأركانها. فعلّ

منظوري، وخبرتي الشخصيّة يضيفان إليك جزءًا من الحقيقة الصادقة، بلا وصف وَرْدِيٍّ لهذه الرحلة لا يَمُتّ للواقع بِصِلة، وكيف للكتاب أن يحقّق مبتغاه إن لم يكن الكاتب صادقًا؟!

بهذا المستوى من الصراحة المُطْلَقة الذي يخيف كياني، وترتجف له أضلعي، سيحقق الكتاب مبتغاه كوسيلة اتصال صادقة، يحاكي بها أعماق ذاتك ومستوراتها. لهذا سيُحضِر لك الكتاب، وبأسلوبه الخاص التعاليم، والحجج والبراهين، لتساعدك في رحلة اكتشاف الذات، ومن ثمّ التعبير الكامل، والخالص عنها.

لا يسعى الكتاب أن يكون جرعة حماس آنيّة قد يزول أثرها عند انتهاء المفعول، ولا هو كتاب آخر في تطوير الذات، أو تدعيم الشخصيّة، بل هو تعاليم عميقة في صُلب اكتشاف الذات، وفي هذا تجلٍّ لأعلى مستويات الوحدة والتمكين، ليصحبك الكتاب مباشرة إلى قوّتك الأصليّة، قوّتك الكونيّة، قوّة المُغيّر، ورسالته الفريدة. وهذه القوّة تقبع في داخلك الآن منتظرة لِحبّات الساعة الرمليّة أن تفرغ، وها هي قد فرغت الآن ، وها هو زمن القوّة قد حان.

جزءٌ كبيرٌ من الكتاب، وربَّما الجزء الأكبر، يكمن في أن يضع رحلة حياتي بين يديك، لترى ما تخلَّل هذه الرحلة من تحدّيات وحتى الآلام، فأنا كما قلت لا أنوي أن أرسم لك صورة ورديّة لهذه الرحلة، ومن المؤكد أني لا أنوي أن

أظهر نفسي بمظهر الضليع بدهاليز الطريق. فالحقيقة أني ما زلت أكْذِب، وأَلبَس الأقنعة الرثّة، وأغطّي نفسي بدراية أو دون دراية، ولكن ما أستطيع أن أتعهّدك به هو أن عشقي للحقيقة، والتعبير الصادق عن الذات فاق كل المقاييس، ورمى بكل أولويّاتي إلى حيِّز ثانوي مقارنة بهذا العشق الأزلي. بمنهج هذا العشق سنبتعد عن المثاليّة والتملّق، ليكون هذا الكتاب شافيًا لي قبل أن يكون شافيًا لك، فلا تعتقد أني أجلس هنا مكان المُعلّم المتعجرف، أرمي من برجٍ عاجيٍّ بكلمات فخمة في مظهرها رخيصة في مضمونها، فأنا أتعهّد أن أمشي معك رحلة الكتاب خطوة بخطوة، فكما قلت، هو شافٍ لي قبل أن يكون شافيًا لك.

فالمُعلّم الحقّ ليس ذلك العَرِّيف الضّليع بأسرار الحياة، بل هو الرحّالة الشّجاع والمُخلِص في طلب العِلم، المُعلّم الحق هو من ارتضى على نفسه أن يسافر في أبعاد الذات الداخليّة، ويقتحم كهوف الخوف الإنسانيّة، مندفعًا إلى أعماقٍ غيرِ مسبوقة، قد يفضِّل الشخص التقليدي الموت على أن يغطس فيها، عارفًا أن هذا الترحال تدفعه نيّة المشاركة والتغيير.

والمُعلّم هو أيضًا ذلك الطالب المجتهد الذي التزم بالتساؤل والتمحّص المستمر، ليتحوّل بذلك إلى مذكِّر لما كان أصيلًا فيك، ومرشدًا لمُرشدك الداخلي. بهذا الوصف، أُقْدِر أن أقول لك إني أُمثّل دور المعلم خير تمثيل ، ليس من كِبْر، وإنما من

الإقرار الصادق للطريق الذي سَلكْت، وسأسلك حتى الممات. فَدَوْر المُعلّم- أو بالأحرى المذكّر- هو عَهْد أخذته على نفسي قبل الولادة، حتى إن لم أعِ بذلك، ولكن في النهاية، أنت وحدك القادر أن تَسْلُك رحلة اكتشاف الذات، فرحلتك أصيلة وذاتك أصيلة، وكيف لا؟ فالكون لا يُعِيد الخَلْق مرَّتَيْن، فكلمة «منسوخ» ليست موجودة في فهرس المعاجم الكونيّة.

والآن وفي هذا العهد الصادق، سأطلب منك المِثْل! ودَعْنِي أوضّح ماذا أعني بالمِثْل.

هذا الكتاب أتى من رَحِمِ الصّدق، ليرشدك إلى ذاتك الأصليّة الموجودة فيك منذ الأزل، وأَمَل الكتاب المتّقِد هو أن يَراك واضحًا مع نفسك، وصارخًا لحقيقتك الكاملة في أُذُن الحياة؛ ولذلك لا بُدّ أن تَصْدُقَ مع نفسك ليحقّق الكتاب هذا المبتغى.

وستظهر معاني هذا الصّدق جليّة لك عند القراءة.

لقد فضّلتُ أن أَخُطّ هذا العهد بيني وبينك، ليكون الصّدق هو البادئ والخاتم، وإن لم تكن قادرًا على مجاراة هذا المستوى من الصّدق، فهذا يُحترم، ومن دون أيِّ شعور بالأسى سأطلُب منك بِقلبِ المُحِبّ أن تترك الكتاب، وعلّ ما تمّ صرفه على شراء الكتاب يعتبر تبرُّعًا كريمًا من حضرتك لمسعى هذا الكتاب، وهو الارتقاء بالبشرية إلى روحها الأصليّة. وبالمقابل، إنْ كُنْتَ جاهزًا لهذا التحدِّي، وأنا أكاد

أجزم أنك كذلك (وإلّا لما جذبك الكتاب)، أعِدُك أن جميع كلمات الكتاب، وما بعد كلماته، ستعمل لخدمتك.
كي نكمل العهد بيننا، دعْني أرْجُكَ رجاءً حارًّا ألّا تقرأ هذا الكتاب من مكان تحليلي بَحْت، بل اقرأه كما هو بسكون واستمتاع، فالكتاب لا ينوي أن يحاكي عقلك التحليلي فقط، بل يذهب إلى بُعدَيْن آخرين، وهما العقل اللّاواعي، وما بعد ذلك إلى عُمق الروح. ولتحقيق هذا الخطاب المتكامل، فسيتعمّد الكتاب استعمال لغة شموليّة، يَمْزِج فيها بين الكلمات الشعريّة والعمليّة، بين الأرض والخيال، بين التحليل الذهني والروحي، علّه يَفتَحُ بذلك حواسّك الظاهريّة والباطنيّة، ويقودُك إلى رسالةٍ واحدةٍ مفادها أنّ «لا شيء أهمّ من أن تكون أنت».
فلا تسعَ أن تفكِّرَ في الكلمات، وتحلّلها كثيرًا، وإنما دعها تعمل كنوع من التأمل السّاحر، فما تبحث عنه لا يَقْطُن في التحليل، والمنطق البَحْت (ولا حتى بكلمات الكتاب!) وإنما في السكون المخبّأ خلفها. فَدَعِ الكتابَ يرشدك إلى هذا السكون، واقرأه كما تستمتع بالموسيقى: بقليل من التحليل، وكثير من الأحاسيس الرقيقة، ففي رِقَّةِ هذه الأحاسيس يَكْمُنُ المفتاح الأصليّ لبوّابات المعارف العظمى.
وسترى من خلال كلمات الكتاب أن العديد من المفاهيم قد يبدو فيها شيءٌ من التكرار، أرجو منك ألّا تخلط بين

الأسلوب الممنهج للكتاب والتكرار، فالكتاب يعمل بدوائر مغلقة، كلّها ترجع إلى نقطة التوحيد، وهي التوضيح الأعمق للأهمية المطلقة بأن تكون أنت. هذا الأسلوب قد يبدو للذهن السطحي كنوع من التكرار، ولكنه في الواقع هو إبرازٌ لمفاهيم معيّنة، ومن ثمَّ الغوص في أعماقها، وكأنّ الكتاب يزرع فكرة معينة في تُرْبَتك الذهنية، ومن ثمَّ يسقيها أكثرَ، وأكثر لتنْضج إلى ثمرة المعرفة. فلا تعتقد أن في «التكرار» محاولة لتعبئة الصفحات، بل هي معرفة ضمنيّة أنَّ في كلِّ «تكرار» عُمْقًا سيتجلَّى لك ثناياه من خلال الصفحات، لتسطع أمامك الأهميّة الكاملة لأن تكون أنت.

وأخيرًا، ولِحرصي عليك، سأطلب منك أن تقرأ الكتاب كما هو من البداية حتى النهاية ومن دون قفْز؛ لأن الكتاب مُهندَسٌ ليأخذك في رحلةٍ ممنهجة، وما طعم الرحلة إن قفزت إلى منتصفها، فكن صادقًا معه ليَصْدُقَ معك. وسترى من خلال صفحات الكتاب أنَّ رحلة حياتي ساكنة في كلِّ الكلمات، وكأنّ هذه الرحلة هي رحلة من أعماق قلبي، لتدخل في النّهاية إلى قلبك أنت، وفي الحقيقة، ليس هناك إلَّا قلب واحد، قلب الحياة الواحد، وإن كانت تعابيره فريدة.

وإن بدأ الكتاب بفتح ألغازه لك، فلا تعتقد للحظة أنَّ ما يضيء في سماء نفسك دخيل عليك من كلمات الكتاب ذاته، بل على العكس تمامًا، فهذه واحدة من الخرافات التي يسعى

الكتاب لتبديدها، فالحكمة لا يمكن أن تأتي من الخارج؛ لأن بيتها كان وما زال باطنيًّا، فكلُّ ما سَيُفْتَح في نفسك معروفٌ لديكَ أصلًا، وما على الكتاب إلَّا أن يذكّرك به، وشرفٌ لي أن تكون كلمات الكتاب تَذكارًا لما تعرفه منْذ أصل الزمان.

فلتضعْ يَدَكَ بيدي، ولنبدأ الرحلة سويًّا... رحلة التعبير الكامل عن الذات، أو بالأحرى ثورة التعبير الكامل عن الذات.

هي ثورة الصَّحْوة من الزيف إلى الصدق.

بداية القصّة

لو قال لي أيٌّ شخص قبل عام ٢٠١٢: «سوف تتحوَّل إلى وسيلةِ تغيير بالعالم، وتساعدُ الكثيرين في إيقاظ قوّتهم الأصليّة، وستشكِّل رسالة ثوريّة بعنوان: (رسالة كن أنت)، وهدفها تجسيد الذات الحقيقية على الأرض لحظةً بلحظةٍ، وفي كلّ نواحي الحياة، لتخلق جسورًا بين الحضارات، وتُذَكّر الناس بوحدتهم في الصميم، لَضَحِكْتُ حتى دَمَعَتْ، ليس فقط لبُعْدِ هذا الوصف عني آنذاك، بل بالأحرى لخوفي العميق من أن ما كنت أحسّه في أعماقي هو الحقيقة، وهو أن الحياة تخبّئ لي سرًّا كبيرًا في المستقبل. قد يكون هذا الضّحك نوعًا من الحماية لهذا الخوف الدفين، الذي سيأتي عليه يوم لينجلي فيه من زيفه، مثْبتًا لي أن ما يدور في قلب الخيال هو أقرب إلى الحقيقة، وللتوضيح، الحقيقة التي أعنيها هنا هي ليست إلَّا حقيقتك الشخصيّة، ذلك الجزء الأصيل فيك.

ومن المؤكّد أنّك اختبرت هذه الأفكار الصادقة في السابق، ربَّما اختبرتها في معزوفة صمتك الساكنة، تقصُّ عليك بصوتها الواثق: أنت هنا لشيءٍ أعظمَ ممّا تتخيل، أنت هنا للتغيير، أنت هنا للقيادة، ولكن الخوف الذي أَطْلَق عليه المُجْتَمع مسمّى: رجاحة العقل والتحليل الناضج، سرعان ما

يَنْقَضُّ بمخالبه، وأسنأنه محاولًا أن يقتل هذا الصوت الغامض، ولكن هيهات أن يفعل، فالمكان الذي انبثق منه هذا الصوت خالد، ولا يمكن لقوى الحياة كافة أن تُسْكِتَه.

فأنا، وأنت نَعْرف حقّ المعرفة هذا الصوتَ الساكن الذي ينادي في الخلفيّة إلى رحلتك الفريدة، ينادي إلى طريق المغامرة والمجهول، ومهما حاولت التخلص منه، تجده راسخًا خلف ضجيج الأفكار. وكثير من القصص والأفلام حاولت أن تجسِّد لنا صوت النداء الداخلي بطريقتها الخاصة، بفيلم «المصفوفة Matrix» مثلًا، نرى الهاتف يَرِنُّ طوال الوقت والبطل (نِيو) يَمُر بجانبه غير مكترث، ولكن هذا الفضول الوجودي لا يزول، والرنين يستمر حتى يُلَبّي البطل النداء. هذه كانت حالي، فهذا الرنين ينادي وينادي، ولكن ضجيج المجتمع بداخلي يصرخ ويقول: خلّيك «واقعي» وما تحلم.

في بداية المراهقة، كنت أسافر مع هذا الرَّنين، حتى إنّني كنت أَحُوم في غرفة الصف بتأمُّلات كونيّة لم أعِ وزنها، لدرجة أنّ الطلّاب أطلقوا عليَّ اسم «سرحانة» كنوعٍ من التهكم، مشيرين لانفصالي عن «الواقع»، وبهذا تحوَّل ترحالي الداخلي لنوعٍ من العار الذي وجب التخلص منه، وتحوّلتْ علاقتي مع الرنين المرشِدِ للعداونيّة. وإن عَرَضْتُ عليك شيئًا من قصتي، فهي لتعمل كَمُلهِم ورابط بيننا؛ كي لا

يكون الكاتب بعيدًا عنك والكتاب باردًا في طرحه، وترى أننا نتشارك في الإنسانيّة، وفي القيود المجتمعيّة، وفي المعاناة، وفي الأحلام، وإن اختلفت طرق التعبير عنها.

فاسمح لي أن أسافر بك في رحلتي الخاصة.

ولدت في إحدى بقاع الكرة الأرضية ،في مدينة صغيرة يعرف الغالبية بَعضهم البعض، وكأي شخص طبيعي، تجد هناك، القوانين والمكبّلات الذهنيّة التي عليك التقيّد بها. فهذه القوانين تُحْقَن في وَرِيد نفسك على أنها قوانين كونيّة، لتُحدّد بشكل قاطع ما يجوز، أو لا يجوز فِعْلُه على مدار الحياة، وربما هذه المعاناة هي نفسها التي يمُرّ بها الكثيرون في البلاد القبلية من كثرة المقبول، وغير المقبول. وقد نُطْلِق على هذه الحالة بـ «ثقافة العيب»، فالعَيْب هو ما تقترفه، أو حتى تفكر باقترافه، بالمعزل عن الموروث الاجتماعيّ.

تطغى ثقافة العيب على أشكال الحياة كافّة هناك، فالتصرف له طريقة معينة، والكلام له طريقة معينة، والتعامل مع الأكبر سنًّا له طريقة معينة، كما أن لكلٍّ من الرجل والمرأة أدوارًا محدَّدة، وحريّات محدّدة، ناهيك عن الخطوط الحمراء التي لا تُخترق، كالتعبير الجنسي، والأعراف العقائدية، وغيرها، وكسر هذه القوانين المبرمجة قد لا يكون مدعاة فقط إلى العار، بل حتى إلى التعنيف، أو القتل!

أنا لا أريد هنا أن أرسم لك صورة فظيعة عن مسقط رأسي، وكأنّي كنت أعيش بغابة من الوحوش، فطيبة القلب هي السائدة هناك أيضًا، والكرم اللّامحدود من الشّيَمِ الأصليّة، ولكن حالها حال أيّ مجتمع قَبَلِي التّوَجّه، هناك الكثير من القوانين التي تحكمه، والتي نسمّيها هناك بالعادات والتقاليد.
وغرضي من إظهار الخبرة التي عشتها، لأريك بصدق كامل نوعية القيود الشرسة التي كان عليَّ تعدّيها، لأفجِّر من داخلي رسالة كن أنت، وأساعد الآخرين في المِثْل، وهي رحلة مستمرة.
فلنعد إلى القصة: كان حالي كحال أيّ طفل هناك، فمنذ الصغر بدأت أُصدّق برمجيات العادات والتقاليد، حتى انطفأ بريق الحياة مني، وأصبحت كالروبوت المُوَجّه ببرامج الصحيح والخاطئ. والمشكلة أن هذه البرامج لم تقتصر على تكبيل الحياة، وخنق التعبير الصادق، بل كانت تصل إلى منحًى شديد الخطورة، بتجذيرها للكراهية بين الناس باسم الهوية العائلية، أو الدينية.
وبما أننا عهدنا الصراحة في هذا الكتاب، وعهدتك أن أُعرّي كلامي من المجاملات الكذابة، فدعني أوضح لك الصورة الكاملة، من ذكريات طفولتي هي حصّة الدين، التي كانت في كثير من الوقت تعمل كمُحرّض على رفض الآخر، وتُصَوّر لنا الأديان الأخرى على أنها عَدُوّ لَدود. فكان المعلمون في

حصّة الدين - وبحسن نيّة- يكرِّرون على مسامعنا المضمون ذاته: أتباع الديانات الأخرى مخطئون، وسوف يذهبون إلى جهنّم، ونحن أتباع الدين الصحيح، ولم يتوقف التحريض العنصري عند هذا الحدّ، فقد كان ينتشر بين من يتشاركون الدين نفسه، ولكن من طائفة أخرى، بوصفهم مقلِّدين، أو خونة للدين الأصلي، وهو ما ينافي الرسالة الأساسية لكلّ الأديان، ألا وهي الحب والوحدة.

استمرت رحلة الكراهية، والرفض للآخر خلال حياتي، متتبنّيًا أفكار الانفصال واحدةً تِلوَ الأخرى، معتقدًا أنّ من يعلّمنا في المدارس، والمجتمع قد وَصَل لأعلى مراتب النضج والدراية، فكيف لي أنا الصغير الجاهل أن أرفضها؟

ولم تتوقف ثقافة الكراهية المكررة عند حصّة الدين وحسب، وإنّما استَشرت في جميع أركان الحياة، وبذلك، لم تقتصر العداوة على الأديان الأخرى، بل طالت العائلات الأخرى كذلك. ففي أي بلد عشائري التوجه، ترى فيه العائلة رمز للفخر، ويسري الاعتقاد الظاهر، أو الباطن أن الأشخاص من العائلات الأخرى هم المخطئون، ونحن على حق، وكما قلت، فإن المقصد هنا ليس إظهار مسقط رأسي على أنها غابة من الوحوش، فهناك الكثير من الجوانب الجميلة للحياة هناك، ولكن الغرض هو إضفاء نوع من الوعي على المقيّدات الموجودة فيها.

ومع تبنيَّ لكلِّ هذه الأنظمة الفكرية، بدأتُ فقدان الاتصال بذاتي الأصليّة، وغدا إحساسي بالخوف، والضعف كالعنوان السائد في حياتي. وممَّا يدعو للغرابة أننا نطلق كلمة «ضعيف» على صاحب الجسم النّحيل، وبما أن جسمي نحيل، كانت الجملة التي تتكرر على مسامعي يوميًّا:
«إيهاب، صاير ضعيف»، لتمكّن بذلك من صورة الاستضعاف التي أحملها أصلًا، ليس تمكينًا إيجابِيًّا، بل تمكينًا للضعف الداخلي، حتى انغرست صورة الضعيف في وجداني. ومن هذا الإحساس بالضعف، بدأت سلسلة أخرى من المعاناة، وهي قصتي مع التنمُّر.

ففي حوالي عمر الحادية عشرة، بدأ التنمُّر يقتحم حياتي، وبالرغم من محاولاتي لفهم سبب وقوعه، إلّا أنه كان يزداد يومًا بعد يوم، حتى أنّ سؤال «ليه بصير معي هيك؟» أصبح يتكرر في رأسي كالشريط، وبِتُّ معروفًا بِكَوني الشاب اللطيف، ولكنه الفريسة الأسهل للتعليقات. كنت أتمنى أن ينتهي هذا الحلم المزعج، وكان اشتهائي للاحترام الخارجي، كعطش الظمآن للماء، لكن لم يكن لِوَاحَةِ الماء أن تظهر... ليس بعد!

أذكر أنّه في يوم من الأيام، كنت أشارك بمبارة كرة القدم ضمن دوري المدرسة، وكعادتي كنت أحلم بهذه اللحظة لأسابيع عدّة، فالانطلاق إلى الملعب يوازي أعلى درجات

الحريّة عندي آنذاك. عندما بدأت المبارة بدأت الركض بكلِّ طاقتي لأخدم فريقي للفوز، كنت كالصقر الذي يُحلّق في الملعب، حتى أصابني سهم في الرأس!

ما حدث أنه في نصف المبارة بدأ طلاب المدرسة، وحتى بعض الأساتذة، يغنون باسمي، لا تخطئ هذا الغناء بالتحميس، فهو كان النقيض من ذلك؛ لأنه كان للاستهزاءِ طبعًا، ولك أن تتخيل شعور طفلٍ في قمة وَهَجِهِ، يواجه جموعًا كاملة تستهزئ منه.

عدت ذلك اليوم إلى البيت مسرعًا، وإحساس الخِزْيِ، والغضب يُغلّف ضلوعي. لم أدرِ ماذا أفعل حينها، فقمت برسم صور الأشخاص الذين أكثروا الاستهزاء منّي في المبارة، وبدأتُ أُطْلق على صورهم الرصاص من بندقيّة الصيد الصغيرة خاصتي. طبعًا لم يشفِ هذا وجعي، وكان إحساس الخوف من الناس يتزايد يومًا بعد يوم، وإحساسي معه بالقيمة يتهاوى، حتى انعدم تقريبًا، أمّا القيمة الوحيدة التي بقيتُ متشبِّثًا بها، فهي إحساسي بأني ابن القاضي، فأبي كان قاضيًا معروفًا في المنطقة.

مع أن القصة قد تبدو مليئة بالدراما، تذكّر أن الغرض ليس الظهور بمظهر الضحيّة، وإنما تعميق المعرفة، فكلٌّ فينا قد مرّ بمعاناته الخاصة التي تتفق مع رسالته الفريدة. وأنا أرى الآن بوضوح كيف أن هذه الأحداث، وإحساس الضعف، هما

النعم الكبرى في حياتي؛ لأنهما ألم المخاض الذي وُلِدَتْ منه رسالتي العليا التي تتمثل بالتمكين في صميمها.
فلنكمل...
كبرت وأنا أحاول أن أخفي هذه المعاناة عن نفسي والناس، بوضع الأقنعة الزائفة تلو الأخرى، كاستراتيجية للمُضِيِّ في الحياة. وكي أَصْدُقُكَ القول، فقد ارتقت قدرتي على التعامل مع التنمُّر، وخفّت حِدَّتُهُ كثيرًا، إلّا أنّ الحاجة الجارفة لكسب الاحترام لم تهدأ البتَّة؛ لذلك اخترت أن أدرس ما يعتبر في ذهن الناس بالوظيفة المحترمة، وهو إمّا الطب، أو الصيدلة، أو الهندسة، وأنا درست الهندسة.
لم يكن عندي أيّ اهتمام حينها بالهندسة، أو حتى بالحياة بشكل عام، وأذكر أنني عندما كنت أذهب إلى المحاضرات، كنت أركض إلى الدُّرْج الخلفي وأنام، وحتى الآن ما زال لدي الكثير من الصّور وأنا نائم في المحاضرات! وعندما تخرّجتُ في الجامعة، عادت الصدمة من جديد، عندما أدركتُ أنّ حتى لقب المهندس لم يَشْفِ إحساس الضّعف، وقلَّة الاحترام في داخلي.
في خلال سنوات العمل بالهندسة، بقيتُ ذلك الشاب الطيب المستكين، حتى إنه في عملي الأخير، ناداني المدير من الأسبوع الأول، وقال لي:»إيهاب، أنت طيب، وهذا لا ينفع هنا، كما أنني لا أرى أن لديك أية قدرات لتصبح أكثر من

سكرتير، وتلك مشكلة عليك التعامل معها،» طبعًا أنا لا أقصد هنا الانتقاص من دور السكرتير، فأنا أرى الناس الآن كَرُوحٍ واحدةٍ متكاملة، ولكن ما عناه المديرفي ذلك الوقت هو أنني لا أصلح لشيءٍ في مجال الهندسة.

أذكر حينها أني رجعت للبيت، وبدأت التأمّل في حائط الغرفة، وأنا أفكر في قرارة نفسي: «متى ستنتهي هذه المعاناة؟»، فقد كنت متوهّمًا أنّ الهندسة ستجلب ليَ الاحترام، ولكنها هي الأخرى انقلبت ضدي. هنا بدأت الاستيعاب أن أسلوب الضحية الذي كنت أتّبِعه لم يعد مُجديًا، وأن البحث الخارجيّ عن الاحترام، والتمكين آن أن تنتهي صلاحيته، وبات عليّ التفكير باستراتيجية جديدة.

وربما - وأقول ربما - لِصِدْق تأملي في تلك الليلة؛ ولأن وقت الخطّة القَلبيّة قد حان، حدث التغيير المفاجئ.

لحظة التغيير...

بعد هذه الحادثة، أحسست بنوع من الرغبة الحدسيّة للسفر، مع أنني كنت أجهل معنى الحَدْس في ذلك الوقت، فتكلَّمْتُ مع صديقي فَرَح في ألمانيا، وقلت له: «إني قادم للزيارة، فمتى الوقت المناسب؟» فقال لي: «الآن في الصيف». ومن دون تأخير سافرت إليه، كان السفر فرصتي الدائمة لأنسى الماضي، وأَغيب عن الواقع، فهناك «في الخارج» الناس لا تعرفني، وأستطيع أن أكون من أشاء، وأفعل ما أشاء

خصوصًا بالاحتفال الصاخب قدر ما أشاء. ولكن هذه المرة ولسبب غريب، لم أسعَ للاحتفال، كأنّ شيئًا في صدري كان على يقين أنّ في ثنايا هذه الرحلة شيئًا جديدًا سيغيّر مسار حياتي للأبد، وهذا فعلًا ما حدث...

لظروف لا أصفها إلّا بالغامضة، ومن دون الخوض بتفاصيلها، اضطرّت فتاة للنوم في بيت صديقي فرح، ولسبب غامض آخر، بدأت هذه الفتاة بالتحدث عن قصتها، وكيف تطوّر الوعي لديها في رحلة حياتها. إني أذكر تفاصيل هذا اللقاء حتى هذه اللحظة، فقد كانت الفتاة تجلس على كنبة جلدية سوداء تروي لنا ما عندها من معرفة، وأنا وصديقي فرح نجلس على الأرض نصغي إليها كالتلامذة النجباء.

مرّت ثلاثة أيام على هذه الحالة، بالكاد خرجنا فيها من الغرفة، وقلبي يرقص ويغنّي باكتشافه الجديد، فهناك سمعت ما لم أسمعه في حياتي، ولكني عرفته منذ الأزل، وكأن مارِدَ الحياة فتح لي بوّابةً جديدةً لعوالم خلّابة لم أعِ بوجودها من قبل. حتى أنني بعد اللقاء، عندما كنت أسير إلى طريق المطار بقصد العودة، تثبَّت نظري على شجرة راسخة في منتصف السوق، وكأنني أرى الشجر لأول مرة في حياتي، إذ رأيت الجمال خَلْف قشرة المظهر. فنظري حينها انتقل من الظاهر إلى الباطن ليرى الجمال الخالد في كل شيء.

ومع انتهاء هذه الرحلة الغريبة، عدت إلى عملي القديم في الهندسة، لكن هذه المرة حاملاً شعلة جديدة في قلبي تناديني للبحث العميق، فلبَّيْتُ النداء، وقضيتُ ذلك الأسبوع بالبحث الجادّ عن أي شيء له علاقة بكلمة الوعي، غير آبهٍ بالعمل البتّة. فكنت موجودًا بجسمي هناك، ولكن روحي تُحَلّق في مكان آخر.

كنت أدير اللابتوب باتّجاهي متظاهرًا بالعمل، منغمسًا في الواقع بالبحث عن أي شيء له علاقة بما قالته الفتاة، وفي خِضَمِّ البحث، استهوتني عباراتٌ ساحرةٌ لشخصٍ اسمه: «إيكهارت تولي Eckhart Tolle»، لم أَكُنْ أدري حينها أنّه من أَشْهَرِ المعلِّمين الروحانين في العالم، واعتقدت اعتقادًا ساذجًا أنه مدوّن لطيف، يخبِّئ في كلماته سحرًا جذّابًا تملَّكَ قلبي.

منذ تلك اللحظة، بَدَأَتْ وَتيرة التطوّر بالتسارع الجنوني، لترمي يد الحياة أمامي مفاتيح الصحوة في كل مكان.

فبعد قرابة الأسبوع من البحث المستمر، كنت أتسوّق في المجمّع التجاري، وإلى يميني كان يوجد متجر للكتب، ولمعلوماتِك، فحتى تلك اللحظة، لم أكن قد قرأتُ أيَّ كتاب خارج المناهج الدراسيّة، فلم تكن فكرة النظر إلى متاجر الكتب من أولوياتي بتاتًا. ولكن لسبب ما، سنسمّيه أيضًا بالغامض، نظرْتُ إلى اليمين، ومن بين أكوام الكتب في

المتجر، لم تقع عيناي إلَّا على كتابٍ واحدٍ، واسمٍ واحدٍ، ولك أن تحزر ما هو، نعم! إنه اسم «إيكهارت تولي» على كتابه (قوّة الآن).

أحسستُ بطاقةٍ حقيقيّةٍ تشدُّني إليه، فاندفعت معها واشتريت الكتاب، أَنهيْتُ التسوُّقَ في تلك اللحظة، وركضْتُ إلى البيت لاهِثًا لأقرأه، في منتصف القراءة بَدأَتِ الدموع تَنْهمر من عيني، كأني عرفت أن الرحلة بدأت، والشوق إلى الذات الأصليّة قد استوى. ما شَدَّني إلى الكتاب في ذلك الوقت، وإن كنت غير قادر على ترجمته حينها، هو أنني لمسْتُ ما بعد أفكاري... ويا لها من حريّة! قد لمست ما يَقْبعُ خَلْفَ الأفكار الشخصيّة، وهي الوحدة مع روح الحياة، مع خالق الحياة، وهذا هو حبِّي الأزلي، ربما لأنّي ولدت بروح تشتهي الوحدة والتوحيد، وتشتهي النظر إلى أصل الأشياء، لا قشورها.

بعد تلك اللحظة، انغمستُ بكلِّ جوارحي في هذا الطريق، فكلما وَقَعَتْ يدي على مادة تساعدني في التطور، كنت أغوص فيها. وبهذا انفتحت أمامي عوالم التأمّل والروحانيّات، والخيمياء، والطاقة، والحضارات القديمة وعلومها السرّية، إلى جانب السيكولوجيّة الحديثة، والقيادة، وقمّة الأداء والريادة، ولم يكن البحث لمسًا سطحيًّا، بل غوصًا مستمرًّا؛ فعندما بدأتُ التأمّل، كنتُ أجلسُ قرابة

الأربعين دقيقة، أستمتع فيها بعالم السكون، ومزاميره المرشدة.

وكلما غُصْتُ أكثر، ابتعدت أكثر عن الأجواء المحيطة، فأخذتُ أعتزل أصدقائي تدريجيًّا، واعتزلت معها متابعة المباريات، والذهاب إلى المقاهي، وذلك ليس من باب الغرور، وإنما لأنّ شغف البحث استحكمني وسيّرني، حتى ظن أصدقائي وعائلتي أني جننت! ومهما حاولت أن أشرح لهم ما أفعله بالخفاء، كانت محاولاتي تبوء بالفشل، وكأنني أقول إنني أتدرب على عزف الموسيقي على كوكب الزهرة. فلم يكن هناك أي شبيه لما أفعله، على الأقل ضمن دائرتي، وخصوصًا أنّ مصطلح التدريب والطاقة لم يكن معروفًا في ذلك الوقت في الأردن.

قد يبدو لك من بعيد أنها كانت رحلة قاسية من الوحدة والمعاناة، أو حتى الشجاعة المفرطة منّي، ولكن الواقع لم يكن كذلك، فقد كنت منغمسًا (ولا أزال) في هذا الشَّغف، لدرجة أن الوحدة، وآراء الناس لم تكن تزعجني. بعدها بدأَتْ عمليّة التطوّر بالتحوّل تدريجيًّا إلى نوع من التعلُّم الممنهج، فنضجتُ بالدراسة مع أفضل المعلمين حول العالم، والذين ظهروا كالمعجزة في حياتي، وبدأتُ بِصَقْل مهارتي في التدريب والريادة وإعطاء الدورات وغيرها، بذلك تحوَّل الشغف العشوائي إلى شغفٍ مركَّز، ورسالة واضحة.

وفي منتصف هذه العمليّة، وُلِدَتْ رسالة «كن أنت»، وهي قصّة أخرى لوقت آخر، ولكن لإعطائك لمحة عمّا حدث.
كنت أتكلم مع صديقي في هولندا على الإنترنت، وفي خِضَمِّ الحديث، أخذ إدراكي بالتغيّر، وبَدأَتْ الكلمات تتدفّق من خلالي بطلاقة، حتى أَصبحْتُ كالفاقد للوعي، ولكن بوعي!
وكانت الكلمات تمثل نوعًا من التعاليم الصارمة، ترتكز على فكرة التعبير الأعلى عن الذات، أو كما تدفَّقَتْ عليّ الكلمات بالإنجليزية:
(noisserpxE elbissoP tsehgiH).
وبعد هذا الحوار، عرفتُ من دون أدنى شكّ، أنّ هذه هي الرسالة التي أَتيْت لأنشرها وأجسِّدها، فتصرفت سريعًا لأتبع هذا الإلهام؛ لأني أعي أن التفكير الكثير قد يعترض طريق الإلهام، فهو يعطي الفرصة لنظام الخوف للتدخل، وسرقة النبض الابتكاري. فبدأت بصفحة صغيرة على الفيسبوك أسميتها Highest Possible Expression، وبعدها تطوّرت تدريجيًّا إلى حركة تغيير بأكاديمية شمولية، وهو ما كانت تسعى إليه التعاليم في الأساس، حركة تغيير، تهدف للارتقاء بالنفس الإنسانيّة من نظام الخوف والانفصال، إلى نظام الحب والتوحيد. فالحركة أتت لخلق عالم يخلو من الأحكام من داخل الشخص وليس خارجه؛ وذلك كي يستطيع

كل إنسان على هذه الأرض أن يُعبِّر عن نفسه بحريّة، ويؤدِّي الدوْر الذي خُلِقَ من أجْلِه.
فالمسعى من هذه التعاليم هو أن تكون أنت، وفي هذا المسعى، سنرى العالم سمفونيّة متناغمة، يعزف كلٌّ منا فيه أداته الفريدة باحترافية.
أنا رأيت هذا العالم في خيالي، والهدف من رسالة «كن أنت» أن نجسّده على الأرض كعالَمٍ من الجَمال والتناغم المتكامل، وهذه ليست بالمهمّة المستحيلة، بل على العكس تمامًا، فهي روح البساطة، لأنّها تخلو من التعقيدات، وتُرجعك إلى ما كان أصيلًا فيك. هذا العالم الجديد يبدأ بك عندما تجسّد الأصالة، وتعيش هدفك ورسالتك الحقيقية، عندها ستتشعّ، وتتنفس هذا العالم الجميل الذي نهدف سويًّا لتشكيله.
رسالة «كن أنت» ليست وسيلة لتَعَلُّم شيء جديد، وإنما تذكيرٌ بما كان أصيلًا فيك، وإن كانت في ظاهرها نوعًا من التعاليم. رسالة «كن أنت» هي ليست قوانين جديدة تحدّد كيفية التفكّر، أوالتصرّف، بل كما قلنا، هو تذكير بحقيقة الإنسان الأصليّة، ومعها التمكين الواضح للتعبير عن هذه الحقيقة.
الحقيقة التي نعنيها هنا هي حقيقة روحيّة، فأنت تعبيرٌ سامٍ عن روح الحياة الواحدة، وواجبك أن تعطي المجال كي

تسري هذه الروح من خلالك، وهنا يأتي دور التعاليم، فهي المرشدة الحكيمة إلى فضاء السكون في داخلك، الفضاء الذي يَنْبُع منه التعبير الكامل عن ذاتك.

ولنرجع للبساطة، فالغاية هي: كن أنت...

هذا، ومن دون أدنى شكّ في ذهني، هو أسمى مسعى لك وللبشرية، بل حتى لعناصر الكون كافة.

الأمل من هذا الكتاب، هو أن يقدِّم إليك بصورة بسيطة وعمليّة كيف لك أن تكون أنت، ليأخذك في رحلة تمكين خالصة. فلن تكون أنت من دون تمكين مطلق، لترتقي بهذا التمكين من فريق القطيع المُقتاد، إلى القيادة من ذاتك، من قلبك، من حكمتك، من نورك، وهو عنوان القائد المستنير.

عندها سيرتفع وجهك للسماء، وتعلن بشموخ:

أنا الآن السيد على نفسي.

وأنا الخادم الوفيٌّ للحب.

أنا العنصر الحُرّ الذي وُلِد.

وأنا قوّة الحياة التي أُدْرِكَتْ.

تعاليم «كن أنت» ستعمل كالتكنولوجيا المسرِّعة لهذه المهمّة. فمثلما كنا نبعث الرسائل عن طريق البريد، ومن ثمّ تطوّرنا للإيميل، ستكون التعاليم كالتكنولوجيا الموفِّرة للطاقة والوقت، مغيّرة للنظام المحرّك لك وللجنس الإنساني ككلّ،

من القيود إلى الأصالة، ومن الخوف إلى الحب، ومن التقليد إلى الإبداع.

هي التكنولوجيا الأسمى لتكون أنت...

كن أنت ليست تعبيرًا مبتذلًا يُستَعْمل للإعلان، فأنا رأيتُ نتائجها العمليّة بأمّ عيني، رأيتُ ما يشبه السِّحر عندما يعيش الشخص من أصالته، ويقرّر أن يتسيّد نفسه. رأيت أشخاصًا تتغير حياتهم في جلسات معدودة، منتقلين من إحساس الضحية إلى الانفجار في قوتهم الأصليّة، بعد قضائهم سنين طويلة في تطوير الذات والعلاج النفسي، ورأيت رياديّين تتضخّم أعمالهم في زمنٍ قياسِيّ، ورأيت معاناة السنين تتلاشى، ورأيتُ ورأيتُ ورأيت... تذكّر أنَّ هذه ليست مبالغة، وإنما هي طبيعتك الأصليّة، وكيف تكون غير ذلك، وفيك القوّة الابتكاريّة التي تشكّل الأكوان كافَّة، المرئي وغير المرئي منها؟

الفكرة واحدة، المسعى واحد، الهدف واحد: كن أنت.

فهذا مكان السِّحر، وأنت الساحر.

كن أنت، فبقاء الإنسانيّة يعتمد على هذه النقلة في الوعي.

نحن نعيش الآن في زمن حرج بسبب الابتعاد المُفْرِط عن الذات الأصليّة، أو نسيانها، والإنسانيّة الآن على مفترق طرق، إمّا بالتذكّر، وخلق الجنّة على الأرض، وإمّا المُضِيِّ في الطريق المعاكس الذي لا ندري إلى أين سيأخذنا، وقد

يكون أكبر الكوارث. ودعني أحَيِّ جُرْأَتَك على أَخْذ طريق التذكّر، وإمساكك لهذا الكتاب الآن؛ لأن فيه تفعيلًا لَحْظِيًا لعمليّة التذكّر؛ فطاقة التذكّر مُشْبَعَة في كلِّ كلمات الكتاب.

وهذا لا يعني أن الطريق هيّن، بل على العكس تمامًا، فطريق التذكّر، وتعبير الروح هو أكثر الطرق تحدِّيًا، إذ تملؤه الكثير من العقبات والخداع. إلَّا أنَّ رغبتك «الصادقة» في الصدق ستكشف لك ألاعيب الزيف وتحدِّياته، وتُحرِق وَجْه الحياة المخادع أمام عينيك؛ كي تذيبه بالروح التي تشتهيها، وتجهلها في الوقت ذاته. حتى أنا أجهل أسرار الروح وتعابيرها الخفيّة، وأجهل أسرار القوّة المحركة للحياة، وأجهل ما سيتم توضيحه في الكتاب! ولكنني على يقين تامّ من أنّك لو عاندت الرضوخ لرُوح الحياة كما هي فستموت، وسيكون ذلك الموت البشع البطيء، الذي يأكل أجزاء جسدك بروِيّة. وليست الغاية من هذه الصورة البشعة أن نزرع فيك الخوف، بل لإظهار الأهمية الكبرى للاستسلام للروح وتعابيرها الجارفة، وهو تذكير للأهميّة الكبرى لأن تكون أنت.

مهما حاولتَ أن تعقِّد أو تُفَلسف القضيّة، فلا يُمْكِن الحياد عن هذا المبدأ: كُن أنت تحيا، كُن عكس ذلك تموت، فكيف تحيا مع قوّة الحياة؟ وكيف تركب موجة الروح الجبارة؟ وكيف تكون الخليفة على الأرض؟ هذه الأسئلة وغيرها سيشفيها

كلام الكتاب، فإن حقّقَتْ الكلمات ما جاءت لأَجْلِه، ستكون كالجسر الواصل إلى نبع ذاتك، تغذّي خلاياك بمعرفة قد يقال عنها بالحديثة، ولكن الأجدر أن توصف بالقديمة، فهي بِقِدَم الحياة ذاتِها. فَجُلّ هدف الكتاب هو أن يقودك إلى ذاتك الخالدة، لتَخرُجَ منك لمستك الخاصة، حالك حال الطاهي الماهر الذي جابت صورُه صفحات التواصل الاجتماعي بحركة يده الفريدة، وعلَّه اشتهر بهذه الحركة؛ لأنها ذكَّرَت الناس بِجَمال التعبير الفريد وقوته.

وحينها ستسطع المعرفة الضمنيّة من قلبك، وهي أنّنا بالرغم من فَرادَتنا، فنحن في داخلنا واحد. وهكذا تُتِمّ التعاليم رسالتها.

فاسمح لي أن أشكرك على المشاركة في خلق هذه الرسالة، فلو لم تكن رغبتك بالتغيير صادقة، لما كان
لهذه الكلمات وجود، ولما كان لهذا التعاليم مكان. هذه الكلمات أتت كاستجابة لشيء أردت سماعه، حتى لو لم يدرك ذلك عقلك الواعي، ولكنك في أعماق نفسك أردت، وقررت أن الأوان قد حان لتعيش التعبير الخالد عن ذاتك.

وبهذا سترى وتيرة الرسالة تتصاعد مع الترحال في فصول الكتاب، وفي هذا تناغم مع أسلوب الحياة نفسها، تبدأ خجولة لتحاكي ذاتك بهمسات رقيقة، حتى يشاء لها الوقت أن تفقد

صبرها، فتزلزل بصوتها الأركان. ومِن هذا الزلزال ستتدفق منك عصارة التغيير.

فما هذه العصارة؟

هي قوّة التغيير القاطنة فيك التي ستغير العالم إلى الأفضل، وكيف لا؟ والعالم انطوى فيك، وتجسد كاملًا في حقول وعيك، فكن أنت، وإلا جردتك الحياة بعيون الأم الصارمة من قيودك الضعيفة، وعرّتك من أقنعتك المجتمعية، لتفضح قوّتك أمام العلن في اسم الحب، فهل ستجيب هذا النداء؟

إن قررت أن تجيب، فدعنا نبدأ بالأساس، ألا وهو فهم الأنظمة المحركة لذهنك. هذا الأساس يمثّل المفتاح الرئيسي لقوّتك، وحقيقتك الأصلية.

الأنظمة المحرِّكة

ربما أنت من حالي، قيل لك في المدرسة إنّك لست بكافٍ، وقد تكرّرت هذه الرسالة، بصورة مباشرة، أو غير مباشرة، على أَلْسُن المعلمين والأهل والأصدقاء، وحتى لوحات الإعلانات، فكلها تقصّ الرسالة المحورِيّة ذاتها، وهي أنّ عليك أن تجاهد لتصبح شخصًا آخر، شخصًا مختلفًا عن معدنك الأصيل، فأنت كما أنت لستَ كافيًا. والوعد أنّك في نهاية هذا الجهاد البائس، ستجد بوّابة الاكتفاء، ولكن إلى متى؟ ألم تتعب؟ أنا شخصيًّا تَعِبت، وأرهقت من ثقل هذا الزيف.

لذلك سيستنفر الكتاب كلّ قُواه وأساليبه المخبَّأة، ليُسقط عَنْك غَثَّ هذه الرسالة اللعينة، حتى يراك صادقًا مع ذاتك، وما أحلاه من شعور أن تَعِي في يَقَظتك، وحلمك أنك صادق مع ذاتك! وفي هذا الصِّدق الرجوع إلى روح الطفولة، فنحن عندما نولد لا نسعى أن نقلّد أسلوب أي شخصٍ كان، علّهم يَرَون فينا الكِفاية، فنحن نَضْحَك ونَمْرَح ونتقافزعلى سجيَّتنا، فهل من الممكن أن تكون هذه السجيَّة التي أهملناها هي نفسها عبقريتنا الكامنة؟ وهل من الممكن أنَّ هذه العبقرية ما زالت متوهجة خَلْف إحساس «أنا لست كافيًا»؟

وأنا أقول هذا من خبرتي الشخصيّة، فأنا أَعِي تمامًا إحساس النقص، ومعاناته الحتمية، ليس فقط لأنّي صَدَّقته في كل حياتي (وأجزاء منِّي تُصَدِّقه حتى هذه اللحظة)، ولكن أيضًا لأني كُنْتُ أُصْدَم عندما أمشي في خطٍّ أيَّ مُقيِّد فكري، لِأَصِل دائمًا إلى النتيجة ذاتها: أن في عمق كل المقيِّدات الإنسانيّة، يعلو الصوت الصارخ، ليقول : أنتَ غير كافٍ. وفي جوهر هذا الصوت فكرة تقول: «أنتَ كما أنت الآن غَيرُ مَحْبوب»، وهذا يعادل إحساس الموت في السيكولوجية الإنسانيّة؛ لذلك يقال إن الحب يُحْيِي.

وإذا تعمَّقنا أكثر، سنجد الغضب مغلِّفًا لهذا الصوت، ولكن الغضب مِمَّن؟ إنه الغضب من مصدر الحياة ذاتها، ولك أن تسمّيها ما يميل له فؤادك (الله، الوجود، الخالق، المصدر، الحياة، الكون، القوّة العليا...)، نلومها كلّ دقيقة على فعلتها الشنيعة، فكيف لم تخلقيني كافيًا؟ كيف لم تخلقيني محبوبًا؟ وهل هذا نوع من الخطأ التكويني؟ وكيف لك أن تعذّبيني بغلطتك المريرة؟ ومهما ادّعَيتَ أنّ إيمانك راسخ، فتلك الملامة المبطّنة تلازم الإنسان منذ الأزل.

ولكن بغضّ النظر عمّا يصوّره الذهن على أنه خطأ تكويني، وبغضّ النظر عن ظنّنا الواهم بأنّنا لسنا كفاية، فنحن الاكتفاء بعينه، نحن الحب بذاته، وكافّة أشكال الحياة قد خلقت من رحم هذا الحبّ الطاهر. ولكن إن كانت الحال كذلك -وهي

كذلك!- فكيف لِصَوْت «أنا لست كفاية» أن يُولَد ويَعْلو، ليتحوَّلَ إلى النظام المستبدّ في ذهن الإنسانيّة؟

للإجابة على هذا السؤال، دعنا نأخذك إلى رحلة وجوديّة، علّها تكشف لك شيئًا من المستور، وتقدم لك التفسير الناجع لما حدث.

فتخيَّلْ معي للحظة وجودًا كاملًا من دون أي حدود.

وجودًا خالدًا ليس له بداية ولا نهاية.

قبل البدء لم يكن إلَّا هذا: وجود خالد وغير محدود، وفي قلبه تقطن الرغبة بأن يستشعر الوجود ذاته، وهنا بدأت عمليّة الخلق، كوسيلة للإثراء ومشاركة التنوير، فالخلق هو أرفع درجات الإثراء. في عمليّة الخلق انبثقت تعابيرالحياة المتنوعة، ومنها أنت، فالتعبير شهوة كونيّة، تتجلَّى فيها روح الحياة الواحدة من خلال أشكال، ومتضادّات كثيرة، تلتقي كلها في متَّسع الرحمة الحاضنة.

ولكن هنا تكمن المشكلة!

وما هي المشكلة؟!

فكي يُعَبِّر الوجود عن ذاته، يجب أن يحصل الضغط، فماذا نعني بذلك؟

الضغط هو أساس عمليّة التعبير، فإن تتبعت أصل كلمة التعبير، ستجدها تعني «أن تضغط»، وكأن فِعْل التعبير، هو المحاولة لإخراج عصارة الشيء بالضغط. وللتقريب، فَكِّر

بآخر مرّة عَصَرْتَ فيها برتقالة، أو فاكهة استوائية لذيذة، ألم تَحدُث عمليّة ضغط لاستخراج العصارة؟

وهنا تَكْمُن المعضلة الكونيّة، فكيف يحدث الضغط، إذا كان ما يراد ضغطُهُ غير محدود؟

فكِّر للحظة أنّك تريد عَصْر شيء ليس له حدود أو تضاريس، ولا حتى يوجد في أيِّ زمان! فماذا سيحدث؟ لا شيء، وهنا فُقِدَ التعبير.

ولكن هذه المعضلة انحلّت بك، وبأشكال الخليقة كافة، نعم، هذا دورك بالحياة، فأنت المخلوق المحدود الذي يعطي «اللّامحدود» فرصة التعبير الكامل من خلالك. فلولاك لا يستطيع اللّامحدود الاستمتاع بذاته، وحَقْن عُصَارته الأبدية في رُوح الزمان والمكان. ومن هنا أتت فكرة الزمان والمكان كـ»أدوات ضغط وهمية» يحدث فيها التعبير.

فأنت الخبرة المتجدّدة في حدود الزمان والمكان، وأنت ما بعد ذلك.

إن الخليقة كلها تعمل كوسائل تعبير كونيّة، أو متنفَّس للعصارة الإلهية لتعبِّرَعن ذاتها، وعلى الرغم من اختلاف تعابير الحياة المطلقة، إلّا أنها جميعًا تعود لتتلاقى في نقطة الوجود، في «الآن». بمعنى أنك تعبير فريد عن الوجود، تعبير فريد عن «الواحد»، وهذا سرُّنا الصغير.

أنت وكل أشكال الحياة كافة، وسائل تعبير فريدة عن «الواحد».

ولكن، بهذه الصورة الجميلة التي يزهو فيها الإنسان كجزء من عصارة الرحمن، كيف لفكرة «أنا لست كافيًا» أن تظهر؟

فهذه كانت بداية حديثنا إن كُنت تذكر...

بعد لَعِب الإنسان لدوره المتناغم كمؤدٍّ فريد للواحد، بدأت فكرة خبيثة بالتسلّل لوعي الإنسانيّة قائلة: «لا أريد أن أكون سواسية مع باقي الخليقة، لا أريد أن أكون جزءًا صغيرًا من مصدر الحياة اللّامحدود، هذه المساواة لا تمثِّلني، أنا أريد أن أكون مُمَيَّزًا، أريد أنا أكون مختلفًا، أريد أن أكون مهمًّا»، وقد نسي بذلك، أنه في وحدتنا تَقْطُن كودات التميُّز، والفَرادة، والأهميّة الحقّة. وكأنَّ وعيَ الإنسان الذي أصابه الدّاء في مرحلة معيّنة من التطوّر قال لنفسه: «أنا أريد الانفصال لأكون حرًّا بذاتي،» ولكن في خِضَمِّ هذا البحث الجاهل عن الحريّة ومعرفة الذات، وُلِدَ «وهمُ الانفصال» عن المصدر، الانفصال عن اللّامحدود.

ومن هنا يا صديقي وُلِد إحساس أنا لست كافيًا.

وكأنّنا أخطأنا طبيعتنا الأصليّة اللّامحدودة، بمحدوديّة الجسم الفيزيائي الذي نراه، وفي هذه الهويّة الزائفة ضمنيّة النقص، وهكذا بدأت قصة المعاناة الإنسانيّة.

وقد تكون هذه الواقعة قد طُرِحَتْ بطريقة، أو بأخرى من خلال قصّة السقوط، وتذكّر أنّ مهمة القصص، والأساطير أن تحكي غير المَحْكِيّ، وتُوصِّل معرفة باطنية قد يعجز العقل التحليلي عن إيصالها.

فالسقوط فيه رمزية الانفصال عن وعي الوحدة، وبهذا التخلي عن بَرَكَةِ الوجود، مقابل الهويّات المحدودة، وقيمتها الزائفة. قد يبدو السقوط كالحدث المروّع في التاريخ، وقد يكون كذلك، لكن إن بَدَأتَ بدراسة تاريخ الأرض القديم، وتأثيرات الحضارات الكونيّة على الإنسان، وعلى حمضه النووي «DNA»، ستتضح الصورة أكثر في ذهنك، لترى أنّ السقوط عمليّة من التدهور في وعي الوحدة، وقوتها الأصليّة إلى وهم الانفصال، إلى وهم الخوف والعبودية.

وبهذا التدهور في وهم الانفصال، بدأ مفهوم الازدواجية بالبزوغ، ومن تعابير الازدواجية: أنا والمصدر، أنا وأنت، الخير والشر، النور والظلام، الصحيح والخاطئ. نحن بهذه الازدواجيّة مغيَّبون عن حكمة الوحدة، أو الرحمة الجامعة لكلّ النقائض. فالحقيقة الحقّة تجمع النقائض، ولا تنقضها، وبذلك تقلّصتْ الاحتماليات التي نراها من اللّامحدود، إلى اثنين فقط، ومهما تطوَّرنا بالتحليل الجاف، فلن نستطيع أن نتعدَّى الازدواجية،

وندخل عالم الاحتماليات اللَّامحدودة، إلَّا عن طريق الرجوع إلى فضاء القلْب؛ لأن القلْب وحده القادر أن يستنبط وحدة اللَّامحدود.

ولكن لِبُعد الإنسان عن فضاء القلب، توارَثتِ الأجيال هذه المحدودية واحدًا بعد الآخر، حتى أصبحت جزءًا من المنظومة المحركة للإنسانية. على ما يبدو أن الطفل الوليد لا يتأثر بهذا المَوْروث، بل ما يحرّكه هو سجيّة الوحدة، حتى يبدأ بالسقوط؛ لذلك لم نسمع من قبل عن طفل عنصري، أو طفل يعاني من المحدّدات الفكريّة، وإحساس النقص المنهِك. وكأنَّ وعي الانفصال يظل نائمًا في إدراك الطفل، حتى تأتي مرحلة معيّنة من التطوّر يبدأ فيها تفعيل هذا الوعي، وتبدأ معها غيبوبة الانفصال.

ومن استفاق من وسادة هذه الغيبوبة، وإحساسها الجهنمي بالنقص المستمر، ينير جيلًا بأكمله، وبذور الصحوة سَتسْري في جينات أحفاده. ونحن نمشي الآن سويّة على هذا الطريق، لنحيي ذاكرة الوحدة فيك؛ كي تعود إلى فضاء الاحتماليات اللَّامحدودة، وصدّقني، فإن اللعب على هذا المستوى أحلى وأمتع، وفيه نَشْوة تأمليّة عظيمة.

لذلك تضع الكثيرُ من التعاليم الروحيّة الوحدة مع المَصْدَر، أو تَذْكُرُ الوحدة، في أعلى المراتب الإنسانيّة، ولكني لا أرى الاكتمال بذلك، بل أراه في تجلّي الوحدة بالفرادة. فَمِنَ الوحدة

تَنْبَثِق أصالة الحياة؛ ليسري التعبير النقيّ عن ذاتك، وهنا تكتمل الرسالة الإنسانيّة، ويصبح الإنسان حقًّا خليفة على الأرض.

فالوحدة والأصالة وجهان لعملة واحدة، نعم، بوحدتك تكمن أصالتك، وهذا ما لم ولن يفهمه العقل التحليلي؛ لذلك وجب علينا أن نعيد الأمور إلى نصابها، ونُرجع التحليل إلى الدور الأنسب له، وهو التابع، ونولي القلب إلى منصب القائد، لتنساب الحياة من خلالك بالتناغم الأرقى؛ لذلك قال آينشتاين مقولته الرائعة: «القلب الحدسي هو الهدية الحقَّة، والعقل التحليلي هو الخادم المطيع، ولكننا أقمنا مجتمعًا يقدّس الخادم وينسى الهدية».

دون أن نهتدي إلى قلْب الوحدة، وهو بيتنا الحقيقي، ستستشري غيبوية النسيان، ونبقى مصدقين أنّنا قطعة لحم تافهة تركض في مُعْتَرَك الحياة، مُحاوِلة أن تحقّق أهدافًا سطحيّة، وبهذا النسيان استهتار بقوّتك الخيالية، وكُفْر بأصالتك الروحيّة.

لهذا قلنا ونقول: كن أنت، فأنت الفضاء القلبي الذي تسري منه روح الحياة الواحدة.

كن أنت؛ لأن هذا أسمى المساعي الإنسانيّة، وغَيْر ذلك هو انجراف مع وعي العامّة، وسأطلب منك أن تَحْذَر من هذا الانجراف؛ لأن وعي العامّة هو وعي مُقسّم، إنه وعي مادِّيٌّ

بحث، يُختبر فيه العالم بفيزيائيّة الحواس الخمسة فقط. وكيف للمنظور الفيزيائي المحدود أن يحسّ بالوحدة والاكتفاء؟ وكيف له أن يستمتع بأعجوبة الحياة وسحرها؟ وكيف له أن يستشعر أبعاد الحياة الخالدة؟ وكيف له أن يرى القوّة الابتكارية فيك؟ وكيف له أن يَجِد الحلول لمشاكلك، ومشاكل الإنسانيّة المعاصرة؟ وكيف له أن يستأصل المقيّدات الفكريّة من جذورها؟

فالبعد الفيزيائي الخالص ليس القِصّة الكاملة، وإنّما صورةٌ ظاهريّة لما نسمّيه بالواقع، وبتعدِّي فيزيائية الحواس الخمسة إلى فضاء الذات (وهو ما نفعله الآن، وسنتعمّق فيه أكثر من خلال صفحات الكتاب) ستسطع قوّتك الداخلية، وسترى عشرات، وإن لم تكن مئات الحَوَاس الباطنيّة تتحرك فيك، وعندها سَتَظهَر الحياة لك كما هي: خبرة روحيّة كاملة، تُجسد نفسها بتعابير مختلفة.

نعم، الحياة خبرة روحيّة في النهاية، وأنت جزء منها، شاهدٌ عليها وعلى خلقها، ورجاءً لا تشوّه الخبرة الروحيّة، بمفهوم الروحيّة الذي اعتدنا عليه، فلسنا نتحدث عن مجموعة من الشعائر والطقوس المتوارثة أو ما شابه، وإنما نتحدث عن ذاتك الأصليّة، ذاتك التي جُبِلَتْ من المادّة الروحيّة التي شكّلت الحياة ذاتها. فأنت روح الحياة الواحدة التي تعبّر عن

نَفْسِها من خلال تجربة إنسانية، وليس العكس، وهذا سرُّنا الصغير.
أنت روح الحياة الواحدة، تعبر عن نَفْسِها من خلال إنسان، وليس العكس.
أَذكُر المرّة الأوّلى التي حُقِنَت فيها مصل هذا الإدراك في نَفْسي، كنتُ في مُعْتَزَل رُوحي أو «Retreat» في مصر لمدّة أربعة أيام، كان المشاركون قلّة لا يتعدّون عشرة أشخاص، ولذلك أصبحت العلاقة مع الجميع وطيدة، نتشارك خبراتنا وآرائنا، إلّا شخصًا واحدًا.
قَضَى ذلك الشخص الأيّام الأوّلى في صَمْت كامل، وابتسامة الغِبْطَة ترتسم على وجهه، ولِعُمق حالة السكون التي كان فيها، لم يحاول أحدٌ التطفّل عليه. في ليلة اليوم الثالث، جلسنا نغنّي حول النار التي أشعلناها، كانت ليلةً صافيةً، تتألّق النجوم فيها بالسماء، والنار تلتهب في منتصف مجلسنا، وأحد المشتركين يعزف موسيقى ساحرة على آلة البُزُقْ، تمتزج فيها هذه العناصر الخيميائية كافة؛ لتنسج أمسية خلابة ليس لها مثيل.
ومع مُضِيّ الوقت، بدأ المشتركون بالذهاب إلى النوم واحدًا بعد الآخر،إلّا أنا وزميلي في الغرفة «هانز»، والرجل الصامت، وعندها بدأنا بالتقرّب منه والتحدّث معه، وللمفاجأة كان يخبّئ في جعبته حكمة رهيبة، ولكن انغماسه بالسكون

أفقده الحاجة إلى الثرثرة كثيرًا، كما كنتُ أنا أفعل! بدأت بتجاذب أطراف الحديث معه، وعرفنا أنّه دكتور في السيكولوجيا، ولكن شغفه الرئيسي يميل إلى الروحيّة، ووعي الحضارات القديمة، فهناك تختبئ خفايا الحكمة التي نَسِيَتْها الإنسانيّة، ومن خلال الحديث سَألْتُه: «دكتور، ما هو الهدف من الحياة؟».

فنظر إليَّ، ثم إلى النار، ثم إلى النجوم، علّه يستنبط منها نوعًا آخَرَ من الحكمة، ورجع ليَنْظُر في عينيّ، ثم قال: «طُرُقٌ لا محدودة للتعبير عن الذات»، قد تبدو هذه الجملة عامة وغير مفهومة، ولكن لوضوح الطاقة التي أتت منها الكلمات، فهمتها، ولم أَحْتَج للسؤال أكثر؛ لأن إحساس الكلام دخل قلبي.

ففي عُمقك تتَّقِد طرقٌ لا محدودة للتعبير عن ذاتك، وأدوار لا محدودة لتلعبها، ولك الخيار.

فأنت الفضاء الكوني الذي تَحْدُث فيها تعابير الحياة كافة، بل تَحْدُث فيها الخليقة كافّة. وأمّا الابتعاد عن هذا الوعي الصادق، فسيزيد تعلّقك بالهويات الفرعيّة كمصدر للقيمة والأمان، فتراك منتقلًا من تعريف نفسك بمحدوديّة جسدك، إلى اسمك وعائلتك وبلدك، وفريق الرياضة الذي تشجّع، والقائمة تطول وتطول، باحثًا في هذه الهويّات الفانية عن إحساس القيمة، وهي قد خَلَتْ منه. لا نقول هذا لنمنعك من

التشجيع، أو لنسلبك حب البلد الذي ولدتَ فيه، فأنا أؤمن أننا ولدنا في بلدٍ معيّن؛ لكي نساعد في نهضة الحب هناك، ولكن ماذا نعني بأن ترى من أنت؟ أن ترى نَفْسك قبل تصديق كلّ هذه الهويات.

فبالنهاية، كلّ هذه الهويات ما هي إلّا تعابير فرعيّة في وعيك، تولد في الزمان وتموت بالزمان.

ولكن مَن هو «الخالد» فيك الذي لا يولد ولا يموت؟

سأترك الإجابة لك.

وتأكد مرة أخرى أننا لا ننادي هنا بخلع الهويات الفرعيّة مرّة واحدة، ولكن بالنظر إليها كما هي كتعابير فرعية لتنظيم المجتمعات، والاستمتاع بخبرة الحياة. حينها ستستطيع التلاعب بكلّ هذه التعابير السطحية، من دون التقيد فيها، فأنت لَستَ مَن تظن، أنت فيك الخليقة بأكملها.

نقول الخليقة في داخلك؛ لأن القوّة الابتكارية التي تشكل كلَّ الخليقة تَقْبَع في داخلك الآن.

فهل ستقبل الرضوخ إلى هذه الحقيقة؟

ونستعمل كلمة الرضوخ هنا؛ لأنّه رضوخ القوّة بالتسليم، وفي هذه العمليّة المستمرة من التسليم، سيزهو فيك شموخ الذات وقوتها، وفيه أحلى أشكال التواضع، وليس الغطرسة كما خُيّل لنا.

ولكي تتمَعّن بمعنى التواضع، لك أن تفكّر بأقوى المعلّمين بفنون القتال، أَتُراهُ يجول الشوارع ليتحدّث عن قوته؟ لا، فمن يفعل ذلك هو المتغطرس، الذي يبحث عن القوّة الخارجية، فالمتغطرس هو من تغطرس على ذاته، وقوّته الأصليّة، والحياة تَسْحَق كِبْر هؤلاء الأشخاص، لتسرّع من يقظتهم. الرفض لهذه القوّة المُطْلقة

بالتمسّك المتحجّر بالهويّات الفرعيّة، هو المعاناة، والمسبّب لهذه المعاناة له اسم واضح، هل أنت جاهز لسماعه؟

لِأُجيب عن هذا السؤال، دعني أقصّ عليك قصّة صغيرة:

التقيت مرّة بفتاة لطيفة، في مطعمٍ قريبٍ من بيتي، كان المكان جميلًا ويَضجُّ بالحياة، ناهيك عن حلوى التين الصحيّة التي يقدّمونها هناك، والتي أحبّها من كل قلبي. بدأنا بالأكل والدردشة سويًّا، وطعم التين الشهي يداعب فمي، وبالمضيِّ بالحوار، والتعمّق أكثر بحياة الفتاة، وصلنا إلى الجزء الصادم!

قالت الفتاة إنّها أمضت أربع سنين من عمرها في التأمّل بكوخ صغير شمال اسكتلندا، وحدها، نعم، وحدها، تتركه يومًا واحدًا في الشهر للتسوّق. والسبب في انطواء هذا الحوار على شيءٍ من الصدمة، هو أنّنا عادة ما نظنّ أنّ هذا النوع من المغامرات الروحيّة مقتصر على راهبٍ نحيلٍ بِلِحيةٍ طويلة، ولكن هذه الفتاة كانت عصريّة للغاية، وتستمتع

بالرقص والغناء وغيرها، ولهذا جذبني الحديث معها، وسألتُها حينها: «ماذا عرفتِ من خلال تأمّلكِ الطويل؟» فنظَرَتْ إلي، وبكلّ معاني الثقة قالت: «لقد عرفتُ السبب الرئيسي للمعاناة الإنسانيّة، وعندها تركتُ الكوخ، وبدأتُ عملي الخاص كمرشدة نفسيّة بغلاسكو»، إحدى مدن اسكتلندا.

هل لديكَ الفضول لتعْرف ماذا استنتجتْ الفتاة؟

لا تقلق، لن أبقيك على فضولك، ولكن تحضّر لإجابة بسيطة، فالحكمة دائمًا بسيطة، قالت لي: «إيهاب، سبب المعاناة الإنسانيّة هو الجهل!».

نعم، إنّه الجهل الذي يحرمك من قوّتك الأصليّة، ويبقيك معلّقًا بالهويّات الفرعيّة،هذا الجهل موجود فيك، وموجود فيّ، وموجود في كل إنسان على الأرض، ومن ينكر وجود هذا الجهل فيه، فهو الجاهل الأكبر. وعمليّة اكتشاف الذات، هي عمليّة مستمرة من تعدّي الجهالة إلى عنصر الوحدة.

الجهل الذي نقصده هنا لا يمت بِصِلة لقلّة الشهادات التي تَحْمِلها، أو شُحِّ المعلومات المخزّنة برأسك عن التاريخ، أو التكنولوجيا، أو العلوم، وإنّما الجهل الحق، وهو الابتعاد عن ذاتك الأصليّة، مشكّلًا بذلك، ومن دون دراية، المعاناة لنفسك وللإنسانيّة.

فلك أن تقول إنَّ الكتاب يعمل كمطهّر لهذا الجهل، ولكي يفعل ذلك بفاعليّة، دعنا لا نقفز سريعًا إلى المواضيع التالية، وإنّما نتروى، ونتوقّف برهة لنتذكّر أساس الحديث.

دعنا إذن نلخّص كلّ ما قيل من البداية حتى الآن بفقرة واحدة، نُرجِعُ بها الحوار إلى أساسه، ونُرجعه بها إلى طَيْف البساطة.

هنا روح الحياة واحدة ترنو للتعبير عن ذاتها، ولتفعل ذلك، خَلَقَتْ وهم الزمان والمكان، ليعمل كوسيلة ضغط وهمية تنساب منها عُصَارة الحياة الواحدة، وبأشكالها الفريدة، ومنها أنت. ولكنّ فكرة أخرى وُلدت في ذهن الآنسان، مضمونها أنّه لا يكيفني أن أكون وسيلة تعبير فقط، وبهذا وُلد وَهْم الانفصال عن مَصْدر الحياة، بتحريف الذات الجامعة لِأَجْل الهويّات الفرعيّة، وفيها إحساس النقص متجذّر.

وفي أسلوب عمليّ أكثر، وبِلُغة سيكولوجية أَوضَح: هناك فكرتان تحرّكان حياتك بالكامل: فكرة الاكتفاء بالذات، وفكرة النقص، واحدة صادقة، والأخرى زائفة، واحدة مُحبّة، وواحدة خائفة، واحدة معبّرة، والأخرى باحثة. وللتسهيل، سنطلق على هاتين الفكرتين، مُسمّى النظامين المحرّكَيْن.

قد يظهرالنظام المحرّك في مخيلتك كشيء ميكانيكي، وقد تكون صورته كآلة من القرن السابق، تتدفق من مَدْخَنَتها سحابة الدخان، ولكن ليس هذا النظام الذي نتكلم عنه، لأنّه

ليس نظامًا مكيانيكيًّا، بل هو نظام فكري، وإن كان له صفات ميكانيكية. النظام الفكري هو سيد الأنظمة؛ لأنّ الفكر أساس الخليقة، فلا شيء يُخلق في العالم الفيزيائي دون الأفكار، لا شيء البتّة؛ هذا كود كوني ولايمكن تشفيره، ، فكلُّ شيء يبدأ على مستوى الأفكار.

قف وفكر بهذا لبرهة، وحاول أن تجد أيَّ شيء لم يبدأ على مستوى الأفكار، حاول!

فالعمارة التي بالطريق بدأت كفكرة برأس مُنشِئها، والكرسي الذي تجلس عليه بدأ بفكرة، وكلّ شيء بدأ بفكرة، حتى جسمك بدأ بفكرة! فهناك «عنصر خلّاق واحد» في الكون كافة، وسنسمّيه الفكر، تخرج منه كل الأفكار. الفكر هو الجسر الابتكاري بين المستور والمنظور، وسنُعرّج أكثر على هذه «الفكرة» في الصفحات القادمة.

ولكن لغرض هذا الحوار، حاول أن تتذكر أنَّ كلَّ الأفكار على مستوى السيكولوجية الإنسانيّة، تأتي من مصدرين: إمّا من الوحدة، أو وهم الانفصال، أي من مكان الأصل أو الزيف. الأصل يَهوى التعبير عن ذاته، أما الزيف، فيركض باحثًا عن ذاته في الخارج؛ لذا نستطيع أن نقول إن كل السلوكيات البشرية -على كثرتها، وتعقّدها- تمشي باتجاهين: التعبير عن الذات، أو البحث عن الذات، وكلاهما نوع من التعبير. وللتسهيل، سنطلق على التعبير الأوّل بالحب والثاني

بالخوف، فالحب هو نظام الوحدة، والخوف هو نظام الانفصال، أو وهم الانفصال، وهذا سرٌّنا الصغير.

كلّ السلوكيات الإنسانيّة تنبع من مصدرين: إما الحب، أو الخوف.

لذلك تتنوع الأحاسيس الإنسانيّة من الحب إلى الخوف، وكل ما بينهما، فكيف لك أن تستعمل هذه الحكمة البسيطة لصالحك الآن؟ للتوضيح، دعنا نطرح هذا المثال:

تخيَّل أنك تمشي في الشارع، وفجأة بدأت معدتك بالانقباض، وبالمراقبة، استنتجت أنّه نظام الخوف تفعّل فيك، وفيه إحساس النقص الضمني. في هذه اللحظة بالذات، قد تحاول التخلص من هذا الإحساس، وقد يكون عن طريق تخدير الإحساس وقمعه، أو الهرب منه عن طريق فتح موبايلك لتكتشف كم «لايك» جديدة كسبت على الفيسبوك.

أو قد تختار طريق القوّة؟ لك الخيار.

فإن اخترت القوّة، عليك بالبداية أن تعترف بإحساس النقص الذي تختبرة الآن لكي تحيد شحنته العاطفية، وبعدها ابدأ بأخذ نَفَس عميق داخل هذا الإحساس، والزفير خارجه، وكرّر «تكنولوجيا التنفس» هذه حتى تَفْقِد شُحنة النقص سطوتها عليك، لتتذكر الفضاء المراقب من داخلك. هو فضاء الذات الساكنة خلف إحساس النقص (أو قد نسمّيه عدم الأمان)، ونقول كلمة «خلف» كنوع من الرمزية.

وإن كنتَ صادقًا مع نفسك، ستجد أن ما تحتاجه حقًّا، وما يحتاج إليه كلّ إنسان في المعمورة، هو ليس الشيء الخارجي الذي تظن، بل إنك تبحث عن الطمأنينة الآن، وللدقة، فإنك تبحث عن فضاء الذات الأصليّة، والتي يقطن فيها الأحاسيس الروحيّة من الطمأنينة، والحب، والقيمة الخالدة- وكل هذا أنت. أنت فضاءُ الوعي الخالص، ومهما بَعدتَ عنه، فلن تبعدَ عنه أكثر من فكرة واحدة، نعم، فكرة واحدة، ففضاء الذات الأصليّة على بُعد فكرة واحدة منك الآن، أليس في هذا قمّة الرحمة؟

وقد «تفكر» الآن: «ولكن، إيهاب، ماذا عن إحساس النقص الذي أحسُّ به؟ فهو حقيقي،» وهذا صحيح، ولكن من أين يأتي هذا الإحساس؟ من الأفكار، فكل أحاسيس الكون هي نتاج الأفكار، وليس العكس. فالحلُّ إذًا، ليس في أن تقاوم إحساس النقص، أو أيّ إحساس مؤلم آخر، ولكن أن تسمح لنفسك أن تحسَّه تمامًا كما هو، فإن قاومت الشيء ازدادت شِدَّته، أو كما قال السيكولوجي اللّامع كارل يونغ: «إن ما تقاومه يستمر».

وبعد أن تسمح لنفسك باختبار هذا الإحساس، اسمح لنفسك أن تكتشف أن إحساس النقص ليس حقيقة مطْلقة، وإنّما فكرة، مجرّد فكرة تقول لك إنك لست كافيًا، ولك أن تصدّقها، أو لا تصدقها. عندها، لن يقود هذا الإحساس سلوكك، ولن يستعبد

حياتك، فالقوّة الحقيقية لا تكمن بمقاومة إحساس النقص، أو حتى إنكاره، وإنّما في تذكر الحقيقة، إن مصدر إحساس النقص هو»فكرة» مثل باقي الأحاسيس، وفكرة النقص لا تثبت شيئًا عنك، أو عن قيمتك الأصليّة. فما الأفكار إلَّا طاقة ماضية، تَظْهَر وتتبخر كالسحابة.

تذكَّر أن الإحساس نفسه لا يقتلك، وإنّما التصرف على أساس هذا الإحساس، أمر قد يؤدي إلى قتلك!

فغالبية مشاكل الناس تأتي من التصرف على أساس أن أحاسيس النقص حقيقة، فترى الشخص عندما يشعر بأنّه ناقص وغير محبوب، يركض للقيام بكل السلوكيات الساذجة للتخفيف من ألم هذا الإحساس، وقد تتنوَّع هذه السلوكيات، وحسب الخريطة الذهنيّة للشخص، من المخدرات إلى العلاقات المرَضيّة إلى البحث الأعمى عن السيارات والمناصب، والإنجاز، والثروة.

أرجو ألَّا تفسّر المكتوب هنا على أنني ضد الحصول على أيّ شيء في العالم المادِّيّ، بل على العكس تمامًا، فأنا مع الاستمتاع الكامل بالحياة، وتحقيق الرغبات. فالاستمتاع بالحياة، يتضمَّن الاستمتاع بالثروة الروحيّة والماديّة على حدٍّ سواء، حتى أنني أرى الفصل بين عالم الروح، والمادة مقيّدًا هائلًا، ومنظورًا مُضعِفًا ومتأخِّرًا، لا يتماشى مع حقيقة

الذات. لكن المقصد هنا ألَّا تبحث عن المادة كوسيلة لإشباع القيمة؛ لأن هذا طريق العذاب.

كن أنت، ونَلْ الفيراري والعلاقة والمنصب، وعندها ستستمتع بها أكثر؛ لأنك لن تعلّق إحساسك بالقيمة والأمان على أيِّ مصدر خارجي، فأنت القيمة، أنت الأثمن، أنت الخالد الذي لا يضاهيه شيء.

فعندما يسكن ذهنك، ويلمس بيت الأمان الداخلي، ستتوقف عن البحث في الخارج؛ لأنّك لمست المادة التي كُوِّنت منها، وهي روح الذات، يمكن أن نسمِّيَها أيضًا بالوعي الخالص، أو السكون، أو حتى الحب الخالد. كلُّها كلمات ترشدك لما وراء الكلمات.

السكون التدريجي إلى الذات ليس «حدثًا» يحصل مرة في الحياة، وكأنّه صاعقة تنزل على رأسك، تستفيق بها من خوف النقص إلى الأبد، وتنتهي القصة (وإن كان في حالات نادرة كذلك، ولكنّني سأنصحك ألَّا تعوِّل على هذه المسألة)، وإنّما هي عمليّة احتراف مستمرّة لباقي العمر، يرتقي فيها وعيك تدريجيًّا من الخوف، إلى الذات المطمئِنَّة في داخلك.

ففي كل مرة يتفعَّل فيها الخوف من داخلك، لديك الخيار، والقدرة على التذكّر أن مصدر الإحساس فكرة، وليس «العالم الخارجي»؛ ولذلك ننصح بتكنولوجيا التنفّس لترويض نظام الخوف، وتسريع التذكّر، وبهذا تَبني احترافيتك الذهنيّة.

فالمحترف ليس مَن يحارب أحاسيس عدم الأمان، وإنّما هو مَن وَعى بوهمها. حيث ستعرِفُ حينها أنّكل ما تبحث عنه من الأمان والقيمة المصونة، موجود في داخلك الآن، قيمتك مكتملة في هذه اللحظة.

وقد يخطر لك الآن: إذا كانت قيمتي كاملة ومحفوظة في داخلي، ولا يُضاف عليها ولا يُنتقص منها، فماذا يبقى ليحرّكني بعد هذا؟ وهل سيتلاشى من عندي الطموح حينها؟

هذا السؤال هو أحد الأوراق التي قد يرميها لك نظام الخوف، ليُقنعك بصحَّة تفكيره، فكأنّه يقول لك ببراءة مصطنعة: «لو عرفتُ أنني معجون من كمال الحياة ذاتها، فماذا سيدفعني بعدها؟» ولكن ما لا يفهمه نظام الخوف، هو أن الكمال يستمتع بإفراغ عُصارته من خلالك، فالرغبة الضمنيّة للتعبير الكامل عن الذات قائمة ومستمرة للأبد، لأنّها الطاقة الدافعة للتكوين، والعطاء والتنوير، تماشيًا مع قانون التطور المستمر.

فلماذا تظن أن البذرة تنفجر مخرجة الساق والزهرة؟ وما بالك بالشرنقة التي تَخنُقُ نفسها لتخرج الفراشة؟ هل الطبيعة تفعل ذلك لتغطي نقصًا فيها؟ لا، وإنّما هي الرغبة الجارفة للتعبير الكامل عن الذات، هذه رغبة كامنة في رحم الطبيعة، وأنت جزء من الطبيعة. فلا تخفْ عندما تسترخي في حَيِّزِ الكمال الداخلي أن تفقد الحافز، بل على العكس، فإن الحافز

سيرتقي إلى مستوى جديد من التعبير والشغف والخدمة، وسترى طاقة الحياة الابتكارية تتموّج فيك، لترسم في كمالها أجمل الصور في الحياة، وهذا سرُّنا الصغير.

الرغبة الكاملة للتعبير عن الذات، كامنةٌ في رحم الطبيعة، وأنت جزء من الطبيعة.

فعِش من الطبيعة فيك، وستأخذك على عجل إلى بُعد الإبداع، وابدأ بترويض نظام الخوف ونقصه التقليدي؛ كي لا يجرفك معه إلى بُعْدِ التقليد.

للتذكير:

* هناك نظامان يحرِّكان حياتك: نظام الحب، ونظام الخوف.
* كل سلوكيات الإنسانية تسلك منهج التعبير عن الذات، أو البحث عن الذات.
* ذاتك الأصلية في فضاءٍ من الوعي الخالص، لا يضاف له، ولا يؤخذ منه.
* النقص هو مجرد «فكرة» قد تنتهي قوتها بمراقبتك لها.

أسئلة للتفكر:

ماذا سيختلف في أسلوب حياتك، إن عرفت أن النقص في داخلك هو فكرة وهمية؟

كيف ستختلف خبرتك الحياتية، إن أيقنت أن مصدر الأمان داخلي مئة بالمئة؟

كيف ستتصرف إن عرفت أن ذاتك هي وعي خالص ليس لها حدود؟

ماذا لو كان كل البشر في العمق واحد، من مصدر واحد، خلف هوياتهم الفرعية؟

بُعد الإبداع، أم بُعد التقليد؟

الإبداع كلمة قلّما نسمعها في البلاد العربية، فمنذ الصّغر والكلمات التي تتردد على مسامعنا: نحن دول عالم ثالث، نحن دول مستهلِكة ومقلّدة، لا مبدعة، الإبداع هو «للأجانب» كما نُسمّي البلدان الأخرى. أليس مضحكًا أن يُصدِّق المجتَمع فكرة واحدة، تتحول بَعدَها إلى الكود المبرمج لوعي الجميع، إلّا من استفاق من هذا الحلم؟

وَعْيُ «التقليد الجَمْعي» يتجلّى بأشكال عديدة في البلاد العربية، فأماكن بيع الأقراص المنسوخة هي ليست الدارجة فقط، ولكنها «الطبيعية»، فإذا بَحثْتَ عن الأصلي، استغرقك إيجاده وقتًا طويلًا، وهذه الظاهره الغريبة، جعلتني أتأمّل كيف استشرى وعي التقليد السرطاني على مستوى أُمّة كاملة.

وبالتأمّل بهذه الظاهرة، فَهمتُ أن بُعد التقليد، والنِّسخ هما نَتاج نظام الخوف، فكلما ازدادت أشكال الخوف والأحكام بالمجتمع، ازدادت أشكال التقليد، وتقلّص الإبداع.

ولكي نمحّص في هذه الفكرة أكثر، دعْنا نضع أنفسنا مكان نظام الخوف، وأكاد أجزم أنها ليست بالمهمّة الصعبة؛ لأننا استُعبِدْنا بنظام الخوف لسنين طويلة. فإذا نظرنا إلى عُمق الإحساس المحرِّك لنظام الخوف، وهو النقص، فمن المنطقي

أن ننطلق حينها في رحلة شَرِهة لإسكات جوع النقص من مصدر خارجي، دون التَّيَقُّن أن لا شيء يملأ هذا الجوع الواهم إلَّا ذاته؛ لذلك نبحث عن التقبّل الخارجي طوال الوقت كحلٍّ لأزمة النقص، وفي هذا البحث سنرتضي أن نغيّر ذاتنا. وهكذا يا صديقي يولد أول أشكال التقليد والتزوير في ذهن الإنسانية، فالبحث الخارجي عن التقبُّل سيستعبد ذاتك، ويُسقِطك عن بُعد الإبداع والأصالة فورًا، وهذا سرُّنا الصغير.

البحث الخارجي عن التقبّل والحب، يخلق أول أشكال التزوير في ذهن الإنسانية.

فالبحث الخارجي عن التقبّل، وفي عمقه البحث عن ذاتك، لا يبعدك فقط عن الأصالة، بل هو طريق الجحيم، فإذا ارتضيت أن تغيّر نفسك مرة كي تكسب التقبّل من الخارج، فستفعلها مرة ثانية، وثالثة، حتى يصبح ذلك منهجك في الحياة، وستجد نفسك كالسّوق المفتوح، تبتاع قوانين الأهل، والناس، والمجتمع، وتتبنّاها، وما أكثرها من قوانين، وما أقلّ حكمتها! وبهذا التبنّي تُثْقل نفسك بلوازم دخيلة عليك، في محاولة صبيانيّة منك لكسب التقبّل الخارجي. ولكن هل تظن أنه إن أتاك التقبّل حينها، فستحس فعلًا بأنك مقبول؟

الإجابة لا...

فالتقبّل والحب لا يمكن أن يكونا مشروطين، وخصوصًا إن كان الشرط أن تغيّر نفسك.

فكيف يكون التقبّل تقبّلًا، إن خلا من عنصر التقبّل الأساسي، وهو قبول نفسك كما هي؟!

وعند إدراكي لهذه الحقيقة اهتزَّ كياني، ربما لأنّ منطق الأرضاء كان يستعبدني، أو بكلمة أدقّ سمحتُ له أن يستعبدني.

فقُبيْل رحلة الصحوة، كانت حياتي متمحورة حول تغيير نفسي لطاعة الغير، وكنت أسعى بهذه الطاعة للحصول على التقبّل الخارجي، حتى أنّني في السنة الثالثة للجامعة، عندما كنت أُحضّر حقيبتي للسفر لأمريكا في برنامجٍ للتبادل الطلابي، قمت بترتيب حقيبتي أربع مرات، فكلّما أتى شخص من عائلتي وأقاربي أخذ يقترح عليّ ماذا أضع فيها، لأقوم بفتح الحقيبة وتغيير محتوياتها! فهذا يقول لي: «إيهاب، لا تأخذ الكثير من الجينزات»، وغيره يقول: «خذ هذا»، وثالث يقول: «لا تأخذ ذاك»، وأنا أقول في كل مرة نعم (حاضر)، كي يرضى عني الجميع.

أنا أَقصُّ عليك هذه القصة ليس فقط للتسلية، بل لأريك كيف عِشتُ حياتي في السابق كنسخة زائفة، لا تبحث إلّا عن إرضاء الغير، وهي المهمة المستحيلة، وعلّ هذه المعاناة ذاتها، هي ما علمتني أن أعشق الأصالة ببساطتها وسحرها

وإبداعها. وهذا لا يعني أن البحث الخارجي عن التقبّل انجلى تمامًا من نفسي، فهو موجود حتى هذه اللحظة، ولكن بات هناك الآن غلبة في نفسي، لترويض هذا المَسْلَك، والالتزام بخيار الأصالة.

الموضوع إذًا بغاية البساطة، فعندما تحسُّ أنك غير كافٍ، ستغير نفسك بحثًا عن الاكتفاء الخارجي، وعن التقبّل، والحب، والاحترام، وستفعل ذلك بوعي، أو دون وعي، ولكن من هنا يولد التملُّق والرياء، وهما مخالفان لصفات الفارس فيك. إنها صفات مَقيتَة لا تمتّ للذات الأصلية بصلة، ولا تضيف لها إلّا القرف، ونقصد من هذه الصورة البشعة أن نغذّي حبَّك للأصالة.

فهل ستستفيق من هذا القرف، وتلتزم بدفع تذكرة الأصالة، لدخول مسرح الإبداع وعروضه المثيرة؟

قبل أن تجيب بنعم، يجب أن تَعرِف ماذا يتطلّب هذا الالتزام، وأَذْكُر هنا ما قاله أحد المشاركين في كورس «القائد المستنير Enlightened Leader» الذي أعطيه في أكاديمية كن انت، فقد قال: «قبل أن نُقْدِم على أي خيار، عليك أن تَعي ماذا يترتب على هذا الخيار، فمثلًا، لو قرَّرتَ أن تصبح مليونيرًا، عليك أن تعي ماذا يتطلب وعي المليونير، من تفكير، وسلوكيات، وتضحيات، ومن ثمَّ لك أن تقرِّرَ الالتزام بهذا الاتِّجاه أم لا».

لذلك طلبتُ منك أن تتروَّى قليلًا قبل اختيار ثمن الأصالة، فلو سألت الكثير من الناس: هل تريد أن تعيش في بُعد الأصالة؟ هل تريد أن تعيش حقيقتك، وتعبّر عنها بشكل كامل؟ فالجواب المتوقع هو نعم، ولكن قلّة مَنْ تعي بمتطلبات هذا المستوى من الحياة. فعندما تختار طريق الأصالة، عليك أن تقوم بالاختيار المتكرّر لذاتك، على حساب التقبّل الخارجي، وهذا من أصعب المهمّات الإنسانية.

هو الأصعب؛ لأنك بهذا الخيار ستتحدَّى منظومتك العاطفية، وفيها الميْل المتكرِّر لنظام الخوف نحو التقبّل الخارجي، ولكنه في الوقت نفسه هو الخيار الأبسط؛ لأنه عندما تظهر لك ذاتك كما هي، ستعود الحياة إلى سِحْر البساطة، وستتبخر العُقَد من نفسك تدريجيًّا. فالعُقدة هي الطريق «المعقّد» للبحث عن ما فيك! وبزوال العقدة الطاقيَّة ستتدفق الطاقة بيُسْرٍ في نفسك.

وما يحدث داخل نفسك، سيُسقِط نفسه على ما حولك، فهذا قانون كوني اسمه قانون التطابق، فإن كانت طاقتك متدفقة بيُسر، فسيَتيَسّر «عالمك». ولك الخيار في أن تذهب مع السّهل المعقّد، أو الصعب البسيط.

فإن اخترت الثاني، وهو طريق الأصالة، وإن كان فيه تحدٍّ عاطفي مستمر، فإن احترامك لنفسك سيحلِّق لمراحل غير مسبوقة، وبهذا المستوى الجديد من الاحترام، سيرتقي تلقائِيًّا

مقياس ما ترتضيه لنفسك، لترى كلّ نواحي حياتك منتعشة بهذا المقياس. فتراك مندفعًا بسرعة غير مسبوقة فيما هو أفضل لك في الصحة، والعلاقات، والأعمال، فكلها مرتبطة في العُمق باحترامك لنفسك، وفي احترام نفسك شرط الالتزام بأصالتك.

حتى أنَّ الآخرين سيحسّون بهذه الأصالة، ففي الأصالة بصمة خاصة على الهالة الطاقيَّة للشخص، أو كما يسمّيها الناس باللغة الدارجة «الكاريزما»، أو الجاذبيّة. فالشخص الجذَّاب المغري المثير هو نفسه الأصيلة، وعكس ذلك هو التصنُّع، الذي سيفقدك بريقك في سبيل الخوف، وهذا سرُّنا الصغير.

طاقة الكاريزما، ما هي إلَّا طاقة الأصالة.

وعلى المستوى العملي، تعني الأصالة: الخيار المتكرر لأن تُعبِّر عمّا صَدَقَ فيك، ألا تظن أنك ستحب نفسك بهذا التعبير؟ بل ستعشقها. وإن كان في صِدقك مخالفة لرأي العامة، فهذا جزء من التحدي الطبيعي للأصالة، وأنا أعي صعوبة هذا التحدّي، فهو كما قلنا فيه خيارٌ صعبٌ متكرّر، حتى فيما نعتبره أسخف المواقف.

فقبل فترة ركبت سيارة أجرة لأذهب إلى بيت صديقي، وفي اللحظة التي دخلت فيها، بدأ السائق بالقول: «أتعرف؟ إن جميع النساء غبيَّات، ولا يعرفن كيف يَقُدن السيارات، وهنّ

سبب المشاكل كلها، وهَلُمَّ جَرًّا...» ، ولكن لأنني كنتُ في عقر ذاتي، لم أنجرف مع كلامه، وبقيت في موقع المراقب.
فبدأتُ بمراقبة أحاسيسي الداخلية، وعدم الأمان الذي تحرك في جسدي، فَحِوار نظام الخوف كان في نفسي حينها: «كيف لي أن أُعبِّر عن رأيي لو سألني السائق؟ فرأيي مختلف كل الاختلاف عنه، وهذا يضعني في مأزق، فماذا لو عرف أني شخصيًّا مؤمن أن الطاقة الأنثوية هي الأمل لنهضة الإنسانيّة، والأساس للصحوة التي نَعيشها الآن، وتمكين المرأة هو تمكين للإنسانية ككل»، وأَخَذَ نظام الخوف في داخلي بالتسارع للتفكير،
والتحضير للإجابة، إِنْ وجَّه السائق الحديث لي.
فلك أنْ تتخيّل الوطأة الشديدة للبحث عن التقبّل الخارجي، حتى في أسخف المواقف، ومع الأشخاص الذين لا نعرفهم!
لم أدخل حينها في الحوار مع السائق، وبقيتُ صامتًا ومركِّزًا على تكنولوجيا التنفس للتعالي على نظام الخوف فيّ، ولَمْسِ فضاء الوعي خَلْفه، وبالرغم من أنني لم أشارك في الحوار؛ لأنني لم أحس أن أصالتي تدفعني لذلك، لكني ضمنيًّا شاركت وبقوّة، وأحسست بالانتصارعلى نظام الخوف؛ لأني قرَّرتُ أن أقول رأيي كما هو، هذا إن سُئِلتُ عنه.
فكما ترى، فإن اختيار الأصالة لا يعني الدخول في «معاركَ فكريّةٍ» مع الآخر، أو فقدان الذكاء الاجتماعي ودماثة

الحوار، فإن تقبُّل آراء الأشخاص كما هي، وإعطاءهم المساحة الآمنة للتعبير واحترامهم، جزء من الأصالة. ولكن الأصالة تقتضي ألّا تقول ما لا تؤمن به، والأصالة تعني أن تتكلم بصدق وقوّة، إن كنتَ ملهَمًا للكلام في هذه اللحظة، والأصالة تعني الصمت والمراقبة، إن كان هذا المطلوب.

وإن راقبتَ أحاسيسك بتمعُّن، سترى أنّه كلما تفعّل إحساس الخوف، أو عُدِمَ الأمان فيك، تُبْرِز لك الحياة الخيار: إمَّا بالمُضِيّ باتّجاه الذات أو الزيف، وكأنّه مفترق طرق للذهاب بهذا الطريق أو ذاك، إما باتّجاه التقبّل الخارجي، وفيه السقوط إلى بُعد التقليد فورًا، أو باتّجاه الأصالة وفيها الارتقاء بالذات. وفي كل خيار تأخذه باتّجاه الأصالة، ستقوّى عضلة الحقيقة فيك، لتغدو المحرِّكَ الأقوى لحياتك، ولكنك في الوقت نفسه، ستأخذ المجازفة الأكبر للسيكولوجيّة الإنسانية، وهي أن تكون أنت.

من وجهة نظر نظام الخوف، أكْبَرُ مجازفة هي أن تكون أنت، لأنّك قد تَفقد التقبّل والحُبُّ حينها، ومعها فقدان القيمة، ومَن يريد أن يحسّ بهذا «الموت»؟ ولكن رويًّا رويًّا سترى أنها لم تَكُنْ مجازفة البتّة، فمَصْدَر التقبّل داخلي، مَصْدَره دائم وخالد الوجود، وهو أنت، أنت الحقيقية. عندها سترى ميزان الحكمة يَرْجَح في ذهنك، وسيرجع خيار الأصالة ليكون

الخيارالأهمّ، والأثمن في وجودك، ففي خيار الأصالة يتجلّى حُبُّ الحياة من خلالك.

عندما أعمل مع الناس من خلال الكورسات أو التدريب الفردي، أبدأ عادةً بترسيخ هذا الوعي، وتذكيرهم بالخيار الدائم الذي سُيبْرَزُ أمامهم، إمّا للأصالة أو الزيف، وعندما يبدأ المتدرب بتجديد الالتزام بخيارالأصالة، تجده يقول: «أحسُّ أنني لا أستطيع أن أكون شخصًا آخر بعد الآن، فالكذب على نفسي يحسّسني بالاختناق؛ لذلك أُفضّل أن يكرهني كل الناس على ألّا أكون أنا».

ولا تخف أن يكرهك الناس؛ لأنه إن أحبَّكَ الناس على تغيّر ذاتك، فذلك ليس بالحُبُّ، فتَحَلَّ بالرُّشد، وتذكَّرْ أنَّ الأصالة هي كَسْبُ الذات، حتى وإن بَدَتْ للوهلة الأُولى خسارةَ واهمةً في الخارج. وأمّا تغيير الذات، فهو الخسارة الحقيقيّة، هي الخسارة التي لن تُعوَّض، حتى لو هلّل كل العالم لك، ووقفوا في صفك، وكما قيل في الكُتب: ما فائدة أن يَكْسِب الإنسان العالم، ويخسر ذاته؟

كن أنت، فهذا أفضل خيار ستأخذه حتى إن ازدراه الناس.

دعنا نوضِّح أنَّ الناس إمّا تزدري الأصالة، أو تعشقها حتى النخاع؛ وذلك لأنّ الأصالة تهزّ أركان الخوف، وتزلزل «أَلَمَ» التقليد المخزَّن في وعي العامّة، وهذا ليس شأنّك، فإذا كان الشخص على قَدْرٍ مِن الوعي، سيرى بأصالتك مذكِّرًا

لأصالته، وسيتعامل مع الأَلَم من داخله بحكمة، وإنْ لم يَكُن على هذا الوعي، فسيرى بأصالتك وحشًا يؤذيه. وكما قلت، فهذا ليس شأنّك، لأنّ لكل شخص في الكون رحلته الخاصّة التي يخوضها، وهذا سرُّنا الصغير.

شأنّك الوحيد أن تكون أنت، بِغَضِّ النظر عن ردود فعل الآخرين.

وفي هذا الالتزام بالأصالة، ستلاحظ أنّك ستتخلّى عن طبقة الوسطية، فلن تبقى ذلك الشخص اللطيف الذي يُحِبُّه كلُّ الناس حُبًّا سطحيًّا، ولكنّهم لا يحترمونه، وإنّما سيكون لك كيانُك الخاص، وستكون لطيفًا من دافع القوّة، وليس من دافع الحاجة، وهذا اللطف الحقيقي. عندها ستَسْطَعُ آراؤك الخاصّة، لا المَوْروثة، وسترى أن فئةً مِنَ الناس ستحِبُّك، وأخرى لن تحِبُّك، وعليكَ التعامل بالحياد مع الاثنين، فهذا حالُ كلِّ قائد مرَّ على التاريخ؛ لأنه لو كُنْتَ أَطْيَب ثمرة دُرّاق بالعالَم، ستجد أشخاصًا لا يحُبُّون الدرّاق، وهذه ليست مشكلة ما دام التقبّل داخليًّا. إلّا أنَّ المشكلة الكبرى تقع، عندما تُحاول أن تدّعي أنّك مشمش بدل الدرّاق!

وبهذه الانتفاضة في الأصالة والتعبير الصادق، سَيُشِعّ عَمَلك الريادي، أو الريادة التي تَعزِم أن تفعلها، فالتعبير الصادق عن الذات، هو الفرق الرئيسي بين النجاح المستدام للريادي من عدمه، أو كما يقال في البرمجة اللغويّة العصبيّة، هو

الأَمْرُ الواحد الذي يشكّل كلّ الفرق. وأقول هذه الكلمات بثقة، ليس فقط من خبرتي الشخصيّة، بل أيضًا لأنّني درَّبتُ العديد من الرياديين على هذا منهج كن أنت، والنتائج شبيهة بالسِّحر.

فإذا كُنتَ في أعمالك الريادية تحاول أن تكون شخصًا زائفًا لتُرضي الناس، فأنت مُقلِّد، والمُقَلِّد رخيص، وستكون أوَّل مَن يحسُّ بإحساس الرّخص في عُمْقِك، وسَيَشْتَمُّ الناس ذلك من جهتهم، فيبدأ عملك الريادي بالتراجع؛ لأنه فقد القيمة. وما الريادة الحقَّة إلّا إعطاءٌ للقيمة.

فكيف لك أَن تَخلُقَ قيمة متجدّدة، وأنت تَبْعُدُ كلّ لحظة عن مَصْدَر القيمة الأصيل، وهو أنت؟

ومِن ناحية التسويق، سَيُرهِقُك البُعْدُ عن الأصالة بمحاولاتٍ زائفة لجذب الناس للعلامة التجارية «Brand» الخاصّة بك، ولكن إن بَدأتَ بالتعبير الكامل عن ذاتك، فسترى التسويق يتحوّل من الرِّياء، إلى وسيلة جميلة لنشر رسالتك، حتى يأتيك ما يتوافق معها في الطاقة. هنا سيتحوّل الهوس من الأرقام، إلى التركيز على عُمقِ العلاقات، وستتحوَّل علاقاتك مع العملاء إلى ضَربٍ من الأُخوَّة، لأنّكم تلتقون على أساسٍ واحد.

وليس هذا وحسْب، وإنّما بأصالتك ستَرى القُوى الطاقيَّة في صفِّك، فعندما تُعبِّرعن نَفْسَك كما هي، فأنت تضع «بَصْمَتَك

الطاقيَّة الفريدة» في الخارج، وهذه البصمة الطاقيَّة هي سلاحك السرِّيّ في الرّيادة والحياة، وهي ما سيقوم برفع الأثقال عنك. ومن لا يتوافق مع هذه البصمة، ليس من المفترض أن يكون جزءًا من حملتك الرياديّة.

وبهذا سترى أن التميّز والإبداع ليسا بالأمر الغريب عنك، بل سيُصبِحان النهج الطبيعي في أدائك، فالإبداع ليس نتاج فكرة عظيمة تلتقطها يومًا ما، وإنّما هو إظهار لحقيقتك كما هي، فكيف لك أن تتجرَّأ على طلب الإبداع، ولم تنضج بك الجرأة لتكشف حقيقتك كما هي؟

الجرأة التي نقصدها هنا، ليست ضربًا من الغباء، بل هي نظام مُمَنهج لإظهار نَفْسك أكثر وأكثر، بالإلقاء التدريجي لأغطِيَة الخوف بعيدًا عنها، وركز على كلمة «تدريجيًّا» وضع تحتها مئة خط! نطلب منك هنا أن تعبِّر عن آرائك القلبيّة في الحياة والأعمال، تدريجيًّا. بمعنى ألّا تكون مع كلّ شخص بوجه مختلف، ولا نقصد هنا الذكاء الاجتماعي، كما يعني ألَّا يكون لك حسابان على الفيسبوك، تَظْهَرُعلى كلٍّ منهما بشكل مختلف.

خذ قرارًا للتوقف عن هذا الهراء الآن، وأقول «الهراء» عن حُبٍّ واحترام؛ لأنّي لا أريدك أن تعاني، ولا حتّى ثانية واحدة بعد الآن، بالمحاولة الزائفة لتكون شخصًا آخر.

ولكن قد يخطر لك الآن: ولكن آرائي قد تتغيّر، فكيف أتعامل مع هذا التغيُّر، وأبقى أصيلًا؟

آراؤك حتمًا ستتغيّر، إِنْ كُنتَ تمشي في رحلة تطوّر مستمرّة، ولكنّ المهمَّ أن تعبّر عمَّا تحسُّ بأنه «الصادق» بالنسبة لك الآن. فأنا شخصيًّا كُلّما تسلّلَتْ إلى نفسي معرفةٌ أكثر عن ذاتي، أشاركها كما هي ببراءتها، مع حركة التغيير، والتدريب التي أديرها.

أتظنُّني لا أحسُّ بالخوف من المشاركة؟ بالطبع أحسُّ بالخوف، ففي كلِّ مرّة أكشف فيها عن براءتي أكثر، يبدأ الخوف بالتسارع إلى عقلي، مقدِّمًا حُجَجَهُ الأمينة قائلًا: هكذا ستخسر الكثير من الناس من مجموعتك، وقد لايُقدِّر الناس ما تقول!

وقد تبدوهذه الحُجَجُ دقيقة، إلّا أنّها تبعد كلَّ البعد عن الدقّة، فَنَعَم، عندما تعبّرعن نفسك كما هي، ستخسر البعض من المتابعين، وبالتأكيد ستُنتقد أكثر، ولكن هذه ليست خسارة، وإنْ بَدَت في ظاهرها كذلك، إنَّما هي تضحية مُمنهجة بمن ارتبط بك بدافع غير أصيل، أو بذلك الذي لا يستطيع أن يجاري مسارك الطاقيَّ القادم، لتودِّعه بِقَلْبِ المحُبّ المسامح. وبهذا سَتخلُق مساحةً جديدةً لمن يتناغم مع حقيقتك، ليأتي إليك راكضًا.

هذا قانونٌ كَوْنيٌّ اسمه «قانون التضحية»، فَلِكَي تحصُل على شيء من طبيعة عُليا، عليك أن تضحّي بشيء من طبيعة سُفلى، وإنْ نظرنا إلى الروح المحرّكة لهذا القانون، سنرى أنّ الطبيعة العليا هي الأصالة فيك، والطبيعة السفلى هي الزيف فيك، فاستمتع بتضحيتك المستمرة.

لذلك نرى أنَّ كلَّ عمل ريادي شكّل فرقًا أسطوريًّا في العالم، عَمدَ إلى تنقية الناس من خلال الصدق في الطرح والتعبير، فترى البعض يعشقه، والبعض الآخر ينتقده، وهذا ما يجب أن تكون عليه أيّة خطوة ريادية مؤثرة.

واحذر أن تخلط بين البناء على حكمة السابقين، وعدم الأصالة، فهذا يُدعى الاستعانة، ولكن تنبَّه أن تنوّه دائمًا لمَصْدَر المادة التي اقتبست منها، وإلّا فستقع في بُعد التقليد مرّة أخرى، وستحسّ بالخداع الداخلي.

وأقول هذا عن خبرة؛ لأنّي في مرحلة معيّنة كُنتُ أستعملُ مواد من متحدثين آخرين من دون النَّسَبِ إليهم، خوفًا من ألّا يبقى لأصالتي مكان، والغريبُ في الأمر، أنّني عندما بدأتُ أنسبُ المواد إلى أصحابها، بدأ أسلوبي الخاص بالظهور أكثر. والآن لا أخاف أن أَذْكُر الأشخاص الذين أستعين بتعاليمهم؛ لأنَّ طريقتي وأسلوبي الخاص حاضران. فَقَولُك من أين أَخَذتَ المادّة لا يُنقِص من أصالتك شيئًا، وإنّما يزيدها زَهْوًا، ويزيد احترامك لذاتك، وسيرى الناس ذلك، فالأصالة

لا تعني أن تُهْمِل كلّ الجهود الإنسانيّة والتطوّر في المعارف، وإنما أَنْ تستعملها وتبني عليها، لتساعدك في إيضاح أسلوبك الخاص.

وفي نهاية المطاف، فالتأثير لا يأتي ممَّا تقول، بل من الطاقة التي تحملها كلماتك، فإن تحدَّثْتَ من أصالتك، حتى لو كُنتَ تتكلم لغةً غير مفهومة، ستصل إلى قَلْبِ المستمع الجاهز، وهنا تتجلَّى قوّتك. هذا دَرسٌ تعلَّمتُه سريعًا في بداية مسيرتي كمرشد ومُعلِّم، ففي المرّة الأولى عندما قدَّمْتُ «كورس» لمدة ٣ أيام، كنت أحسُّ أنَّ طاقةَ الغرفة تغدو واضحة كالكريستال، عندما أُعبِّر عمّا في قَلْبي دُونَ الإضافة أو التلفيق، وبِغَضِّ النظر عمَّا كُنتُ أقول، وعندما أذهب بنظريات معقَّدة تُبعد عن أصالتي، كُنتُ أرى الطاقة في الغرفة تتشوَّش، وحتى التعابير على وجه الناس تُصبحُ مشوَّشة، وهذا سرُّنا الصغير.

عندما تعبّر عن ذاتك بصدق، سَيَبْرُزُ مِنْكَ وُضُوحٌ طاقيٌّ يساعد الناس على تذكُّر حقيقتهم في حضورك.

وإن كان في الأصالة وهج الوضوح الطاقي، وأساس التأثير والإبداع، فلمَاذا هي إذًا من أصعب الفنون التي يمكن احترافها؟

كما قُلنا من قبل، السبب هو التحدّي العاطفي الذي يُبرزه نظام الخوف أمامك، ولكن للتعمّق هنا سنرتحل من نظام

الخوف الشخصي إلى نظام الخوف العام في وعي الإنسانيّة، وكلاهما مرتبطان. فاستعد أن نأخذك إلى ما خلف الستار.

بدايةً، دعني أسألك هذا السؤال: تخيّل أنَّ جميع سكان الأرض استفاقوا غدًا، وإحساس «أنا لست كافيًا» مُنْجَلٍ تمامًا من أنفسهم، فماذا سيحدث؟ هل لك أن تتخيّل؟

من وجهة نظري، أتوقع ثورة غير مسبوقة في تاريخ الإنسانيّة، فالكثير من الأنظمة والأعمال ستُدَمَّر بلحظة، لتولد أنظمة إبداعية وشمولية أكثر. ولك أن تفكر فيمن «لن يستفيد» من هذه الثورة، وسَيَحرِص أن يُخمدها بتوجيه العامّة نحو الخوف، كي يبقى كود النقص فعّالًا في وعي الإنسانيّة.

وأُحِبُّ أن أُشَبّه هذا الكود المُبَرمَج، بـ»عبادة الأصنام».

في السابق كانت الأصنام تماثيل يصنعها الناس، ويعبدونها، ويدافعون عنها كالآلهة التي تَملِك قوّة عليهم، وقد يبدو هذا الشكل من العبادة مضحكًا الآن، وخصوصًا بعد وضوح سخف هذه العادة، ولكن الواقع أنَّ عبادة الأصنام لم تنتهِ، بل اتّخذت شكلًا آخرَ فيه ذكاءٌ أكثرُ، ذكاء يُناسب عَصر النهضة التكنولوجيّة التي نَعيشها الآن، لتتحوّل عبادة الأصنام من الخارج إلى الداخل، وفي ذلك خطرٌ أكبر. فعندما تأخذ العبوديّة الشكل الداخلي، يصبح لها ستارًا جديدًا، تَصْعُبُ رؤيته على العيون غير المدرَّبة، التي تخاف أن ترى خَلْفَ الواقع الفيزيائي، وهي حالة العامّة.

فما العبودية التي نتكلم عنها؟ هي العبودية لفكرة النَّقص، ومفادها أنّك لست كافيًا كما أنت، وكيف لا تكون الحال كذلك، وهذه الرسالة مَصْدَر رِزقٍ لكثير من الجهات؟

فبالطريقة نفسها التي كان يستفيد منها الكَهَنَة من عبادة الأصنام، تستفيد جهاتٌ عِدّة من وَهْمِك بالنقصان.

فما العقليّة الاستهلاكية إلَّا وليدة النقص، والجري لتعبئة «فراغ الذات»، وفي هذا ضمان للاستهلاك، حيث إنه من هنا تولد المادية، والمادية ليس كما يظنها البعض بالطموح المشروع، والحب الصحي للتطور، وبناء الثروة، وإنما هي تعبير عن النقص، والانفصال عن طبيعة النفس الروحية.

ويتجسَّد هذا النقص لغالبية الناس في تجميع «الأغراض» لتعبئة الفراغ. ولكن من عرف ذاته وفضائها الشاسع، تلاحظ أنه يُحبّ خَلق المساحة في البيئة المحيطة به، بدل السعي لتعبئة «أيّ غرض» في أيّ «ركن وفراغ»، وبالتعلق بأثاث قديم وأوراق قديمة؛ خوفًا من زوالها، لكشف فضاء الذات الذي لم يعتدْ عليه.

المادية هي أكبر مرض في تاريخ البشريَّة، وقد يكون السبب الذي سيقضي على الجنس البشري إن لم يستيقظ. حان الوقت لتستيقظ من هذا الموت الرحيم، وتستفيق على حقيقتك الجميلة: أنّك كامل، فكيف تكون غير ذلك، والعنصر الذي جُبِلْتَ منه هو روح الحياة الواحدة؟ غَيْرُ ذلك ستجري سنين

طويلة، باحثًا عن الدواء لداء النقصان من الخارج، ولن تجد في هذا البحث إلّا الإحباط المتواصل، فلا السيارة التي ستشتريها ستستر عيبَ النّقْصان، ولا العَلَاقة المثاليّة التي تَبحَث عنها، ولا حتى النجاح الخارق وإن تحقّق.

فلا شيءَ يفضح عيبَ النّقْصان، ويحرّرك من مخالبه القبيحة، غَيْرَ تذكّرك لذاتك، والتعبير الكامل عن أصالتك، لتحطِّم بهذه القوّة صنم النقص الذي عشَّش في الإنسانيّة لسنين طويلة.

فهل ستكون الشجاع الذي كسر هذا الصنم، غَيْرَ آبِهٍ برأي الكَهَنَة والسادة؟

فإنْ لم تفعل، ستكون كصورة الماء الذي نسي أنَّ أصله من الماء، وبهذا أصبح فريسة لكلّ أنواع التلاعب. فتخيَّل لِوَهْلَة أنَّ الماء نسي حقيقته، وشَعَر بالعطش، فصار يبحث عمّا يطفئ ظمأه من غَيْرِ ذاته، وهذا هو البحث العقيم كما نحب أنْ نسميه.

وبهذا البحث، سيوافقُ الماء على فعل أيِّ شيءٍ للحصول على مَصْدَر الحياة الثمين، فحتى لو أتاه الزّرْنيخ، وقال له اتَّحِدْ معي، وامشِ خلف شروطي، وأنا سأعطيك الماء الذي تشتهي، فما لهذا المسكين إلّا أنْ يوافق، فهو يعاني الظمأ على كلّ حال، فخوف الماء من فقدان الحياة سيبعده عن قيمه الأصيلة، ويؤرجحه يمنةً ويسرةً.

ولكن تخيَّل أيضًا أنّه في ساعة معيّنة من الفجر، زارت جنيّةُ الظلام الماء، وأخذته معها إلى رحلةٍ في أعماقِ قلبه، وهُنا حَدَث َالتذكُّر، وانجلت الأوهام، وتذكر الماء أنّه عُمِلَ من نفس المادة التي يَبحثُ عنها، فحَدَثَ التوافق مع الذات. فلا داعي أن يَكْذِبَ الماء على نفسه بعد اليوم، أو ينصاع لأوامر دخيلة، فهو وجد ما يبحث عنه، وكلّ السلوكيات التي بُنِيَت على الحاجة المريضة، ستسقط عنه كالبرج الذي ينهار في غمضة عين، ومهما حاول الزرنيخ بعدها أن يغريه، فلن يستطيع أن يحيّد الماء عن ذاته. فقد تذكَّر الماء أنَّه مَصْدَر الحياة، ولا شيءَ سيسلبه ذلك، ولا حتى أنامل الموت تستطيع أن تسلبه هذه الحقيقة.

وهنا قرَّر الماء، من دون أيّ قرار، أن يكون ذاته، ويُنشر هِبَتَهُ للعالَم، فيروي ظمأ كلّ من يأتي في طريقه.

فهل تريد أن تقول لك هذه القصة نوع من العبرة؟ سأترك الجواب ليستيقظ في داخلك، فأَعطِهِ المساحة ليَفعل.

وقد تُفَكِّر الآن:»ولكن ما هذه الصورة السوداويّة التي يَرسمها الكتاب؟» من حقِّك أن تفكّر بذلك، ولكن تذكَّر أنَّ الكتاب عاهَدَك َعلى الصدق في الطرح، والغاية هنا، أن نساعدك كي ترى بوضوح التلاعب الذهني الحاصل، وهذا ليس لنخيفك، بل لنساعدك على خَلقِ منظور متّزن، فطريق النّور هو ليس طريق الإيجابية العمياء، وإنَّما طريقُ كَشْفِ

المستور. فإن أضأتَ النور بالغرفة، فسَتَرَ ما فيها، ونور الحقيقة يكشف الأمور كما هي، وفي هذه الحقيقة ما لا يَسُرُّ في البدء، ولكن عندما ترى الأمور كما هي، فسترجع لك قوّتك الحقيقيّة، وعندها، لا قوّة بالعالم من كَهَنَة التزييف، والطُفيليّات الروحيّة تستطيع التغذّي على كِذْبة «أنّك ناقص»، فالنقص في النهاية مجرّد فكرة، مجرّد وَهْم.

وهنا يأتي الخبر السّارّ، فجزءٌ منك يعي ذلك أصلًا، فتراه واقفًا بقوّة، وتواضع في داخلك بعيدًا عن الأوهام كافّة، كاشفًا طبيعته الأصليّة، وكيف لا وهو ابن الحياة نفسها. فأنت تعرف في قرارة نفسك أنّك كامل، أنّك خالد، وأنّك ماء الحياة نفسها، فارقص فرحًا بهذه المعرفة، أو بالأحرى بالذاكرة التي بَدَأَتْ أزهارها المنسيّة بالتفتّح فيك.

وبهذه الذاكرة ستغدو عنصرًا حُرًّا في المجتمع، لا يُمكِن تكبيله، ولا إرغامه على قبول الأصنام الفكريّة، هو حُرٌّ؛ لأنّه خَلا مِن الاحتياج المزيف، هو حُرٌّ بالتعبير عن ذاته، واتّباع قوانينه الخاصّة، ورغباته الصادقة. هذه الحرية تهلهل بُنيان الاستهلاكيّة، وتَقْلِبُ الطاولة على العبوديّة الفكريّة التي اسْتَشْرَتْ في الإنسانيّة.

فلا تَخَفْ من تَذَكّر حُرِّيَّتِكَ، فهذا حَقُّك الأصيل الذي سَلّمتَه بِوَعيٍ، أو من دون وَعي.

وإذا كُنْتَ تجد صعوبة في ربط هذا النقاش بالجانب العَمَليّ، فدعنا نُطَبِّقْه على المواضيع النمطيّة، فإن كُنتَ على علاقة مع شخصٍ ما، وفيك افتقار لشيءٍ يأتي منه كالحُبِّ أو المال، ماذا سيحدث؟ سترى نفسك ضعيفًا، هذا إن لم تتعامل مع هذا الاحتياج العاطفي من مكان غِنى، وانفتاح وقوة، لتحققه لنفسك، وتطلبه بعِزَّة.

عندما تراقب إحساس الافتقار، وتَعرِف أنَّه نَتاج أفكار، وليس حقيقة، ستنتشي بحقيقتك، ولك أن تفعل ذلك عندما تُغمِضُ عينك لدقائق، وتَنقُل تركيزك لهذا الجزء، وتتنفَّس في داخله وخارجه بِحِنيّة، وتقول له بالتكرار: أنا أحِبُّك. حينها سترجعُ لك تدريجيًّا قوّتك الكاملة بالدِّراية أن ما تحتاج إليه هو في داخلك الآن، فالحُبُّ في داخلك الآن، وعندها ستكون قادرًا على التعبير عن حاجتك العاطفية للحب من مكان قوة، وليس افتقارًا له. تذكَّرْ أنك لستَ فقيرًا لأيّ شيءٍ، فالحبُّ هو أنت، وقوّة الفكرالابتكارية لتَعَلُّم المهارات لخلق المال في داخلك أيضًا، وعندها، سَتَرجِعُ علاقتك إلى مكانها النَّقِيّ الصَّافي، كفضاء للتعبيرعن الذات، ومساحة لمشاركة الحُبّ، وفي هذا حفاظٌ على قوّتك الأصليّة، وهذا سِرُّنا الصغير.

القوّة الحقيقية هي أن تعرف أنّ كلّ ما تبحث عنه، هو في داخلك الآن.

قوّتك على هذا المستوى ليست من مَنصِب، أو ممتَلكات، ولا من نَسَبٍ، أو اسمِ عائلةٍ، أو عِرقٍ معيّن، فَكُلّ هذه ألعابٌ فانِيَة، وستندثر مع غبار الزمان، ولكن قوّتك الأصليّة تأتي من معرفتك بذاتك، وهذه هي القوّة الوحيدة الصادقة والمضمونة؛ لأنّها تأتي مع شهادة الخلود، فهل أنت جاهز لتستلم بفرح ضمانتك الخالدة؟ فمع هذه الضمانة يكاد يكون من المستحيل التلاعب بك، ولك الخيار. لك الخيار أن تَخْرُجَ من لعبة التلاعب القديمة، فهي أصبَحَتْ مُمِلّة ومكرّرة، ولك الخيار أن تختار لعبة جديدة، هي لعبة الاحتماليات اللّا محدودة، تَصعد فيها مع الإنسانيّة إلى مرحلة جديدة من التحدِّيات الممتعة.

لك الخيار أن تأخذ أهم خيار في الوجود، وهو أن تكون أنت.

للتذكير:

* نظام الخوف هو أساس التقليد، والزيف.
* تجسيد أصالتك هو خيارٌ متكرّرٌ تأخذه لحظة في لحظة.
* عندما تجسِّد حقيقتك أكثر، وأكثر ستجذب الفرص، والأشخاص المناسبين لك أكثر.
* عندما تتعدَّى وهم عدم الاكتفاء ستتعدّى طاقة الاستهلاكية، وتعود لبساطة الذات، وثرائها.

أسئلة للتفكر:

ماذا سيتجلَّى في حياتك أنك أصبحت نسخة فريده عن ذاتك؟
ماذا تكسب من تمسكك بخيار الزيف؟
ماذا ستحس إن بدأت التعبير عن نفسك أكثر؟
ما الذي يخيفك إن كنت حقيقتك كما هي؟

اللَّا خيار إلى اللَّا خيار

يتدرَّج الفهم الإنساني لمفهوم الخيار إلى ثلاثة مستويات، وكلّ مستوى يحكمه منطق، ورؤية مختلفة للواقع، فكلٌّ من هذه المستويات يعبّر في باطنه عن درجات التمكين، والقدرة على أخذ القرار.

يتمثل المستوى الأول بكلمة «اللَّا خيار»، وفيه يرى المرء نفسه كدُمْية خشبيّة تتقاذفها أمواج الحياة، فليس له حول، ولا قوّة على أيّ شيء، وكأنَّ كلمة الخيار لم تصل إلى الشخص في هذه المرحلة البتة. هنا تكون الحياة وظروفها مُكرهٌ ليس إلّا، وتكون ردود الفعل أوتوماتيكية ومكرّرة، وتخلو من أيِّ أشكال التفكير.

ينطوي اللَّا خيار على حالة ذهنيَّة من الشؤم واليأس، والتي يُطْلِق عليها العامّة بالواقعية، غير دارين أنَّ الواقع ما هو إلَّا تصوّراتك الفكريّة. هنا يَدبُّ الضعف الكامل في أركان الشخص، فيرى نفسه كالضحيَّة، ويَقعُد منتظرًا «أمل المعجزة» أن يهلّ ويجلب معه حياة أفضل، وأقل تعقيدًا.

على هذا المستوى نرى كلمة «الواجب»، و»اللازم» كثيرة التردُّد في معجم الشخص، فالذهاب إلى العمل واجب، والخروج مع الناس واجب، والمباركة واجب، والتعزية واجب، والزواج واجب، والإنجاب واجب، وكأنّ هذه

الأحداث قُدِّرت بقوّة كونيّة، وليس للشخص أيَّة قوّة للاختيار بينها. أنا أعرف هذه المرحلة خير عرفان منذ طفولتي، حتى أننا في عائلتي اعتدنا على أن نطلق على كلمة الهديّة بالواجب، فإذا أردنا أن نُهدي شخصًا آخر نقول: إننا نريد أن نشتري «واجبًا»!

لا نبالغ عندما نقول إن هذه المرحلة شبيهة بالسجن، ولكنّه على مستوى ارتقى قليلًا من السجن الحديدي، إلى السجن الفكري، وإن كان فيه خطورة وحِنكة أكثر. في هذا السجن قَتْلٌ لروح الإبداع، فكيف للشخص أن يكون معبِّرًا ومبدعًا، إن كانت الحياة مجموعة من اللوازم التي فُرِضَ عليك السير على خطاها، حتى إن لم تكن خادمة لك ولرسالتك؟

هنا تكون الحدود الصحيّة شبه معدومة، فَتخْلو الحياة من المساحة للتأمل والتنظيم، وأخذ القرار، فنرى الشخص مجاملًا للعامة، ومنفصلًا عن رغباته الأصيلة، مكرّرًا ما يعتقده الغالبية نافعًا، أو لازم الفعل. فما اللّوازم إلّا رغبة شخص آخر، يتردَّد صداها في ذهنك.

هنا يُعشّش إحساس الاستضعاف في أعلى صوره، والأحلام لا تَجِد أيَّ متّسع للتنفّس، فكيف يُحلِّق طائر الأحلام في قفصٍ ذهنِيٍّ مادّته الإكراه، وحديده الأوامر؟ فالأحلام إن مقتت شيئًا في الحياة، فهي الأوامر والإحساس الخاطئ أنْ لا دخل لك بالواقع، وهذا سرّنا الصغير.

طائر الأحلام يمقت الأوامر الدخيلة.
قد عشتُ أوّل أربع وعشرين سنة من عمري على هذا المنوال، من دون أيَّة دراية بقوّة الخيار، ظانًّا أنّ الحياة كالتالي: تدخل المدرسة لتأتي بعلامات جيّدة، بعدها تدرس الطب، أو الصيدلة، أو الهندسة، مثل الطلاب النجباء في الأردن، ثم تتزوج، وتؤسس بيتًا، وتتطوَّر في عملك إلى أن تتقاعد، غير منتبهٍ إلى أنَّ في هذا السيناريو التقليدي سَلْبًا للإرادة، وقمعًا لجوهرة الاختيار.
وعادة يُكمِل المرء حياته في هذا الاتّجاه، إلى أنْ تتسلّل كلمة الخيار خِلْسة لنفسه لسببٍ ما، فكأنّه يفيق حينها إلى بهجة الخيار، ليرى في هذه الكلمة نوعًا من الحرية غير المعتادة. فتُحرِّك قوّة الخيار ضربًا جديدًا من الحماسة في مَعِدَتِه، وتُحطِّم معها وَهْمَ الطرق التقليدية، فالعمل خيار، والزواج خيار، والأكل خيار.
قد يتبادر إلى ذهنك السؤال: لكن ليست كلّ هذه خيارات، فالعمل واجب، والأكل واجب، أليس كذلك؟
وهذا سؤال مشروع، ولكن كي نفهم معنى الخيار، دعنا نَفصِّلْه عن مفهوم النتائج. نعم، إن لم تذهب إلى العمل، من الممكن أنْ تُطرد، ولن تكون قادرًا على إعالة نَفسِك وعائلتك، ولكن هذه نتيجة الخيار، ولا تنتقص البتّة من كون الخيار

خيارًا، وحتى المأكل ينطبق عليه المفهوم نفسه، فإن لم تأكل، فمن الجائز أن تموت، ولكن هذا أيضًا خيار.
وبهذا الوعي سترى الحياة من منظور أنَّ كلّ شيء خيار، وهو كذلك، وهنا سيرتفع إحساسك بالتمكين، وستزداد قدرتك على النظر إلى النتائج بعقلانيَّة، ومعها القدرة على رؤية اللحظات التي اتَّخذت فيها خيارات خوفًا من آراء الناس، أو بصورة أدقّ، أوهمتَ نفسك بأنّك فاقد للخيار؛ خوفًا من مواجهة آراء الناس. فهنا سترى بوضوح أنّك إن رفضت الذهاب إلى تلك «العزومة»، فمن الممكن أن يقول الناس عنك إنّك غير محترم، ولكن هذا لا يسلبك القدرة على الخيار، وإنّما سيتيحُ لك مواجهة نفسك بصدق، وإدراك الحقيقة الكاملة أنّ مصدر الاحترام، والتقبّل من داخلك.
وبفتح باب الخيار، ستتصاعد قوته السِحريّة لتصل بك إلى المعرفة الضمنيَّة، بأنّ جميع أنواع الخيارات التي تقوم بها على المستوى الخارجي، لا تَحكم قوّة الخيار الأصيلة، فقوّة الخيار تقَطْن على مستوى الأفكار، أو على نوعيّة الخبرة التي تعيشها في اللحظة، وهي من الأفكار. فخبرة الحياة لا تُفرض عليك من الخارج، وإنّما هي خبرة أفكارك الخاصّة في اللحظة.
للتوضيح، تخيَّلْ أنّك خسرت مبلغًا من المال، إنّ الأحاسيس التي ستختبرها حينها هي داخلية بحتة، وليست من الموقف

ذاته؛ لأننا بالنهاية نحسُّ أفكارنا، وليس المواقف الخارجية، وهنا يبرز أمامك الخيار، إمّا بالتمسك بالمعنى الذي أطلقتَه أوتوماتيكيًّا على الموقف، ولنفترض هنا أنه «خسارة» - الخسارة فكرة - أو التخلّي عن هذا المعنى، والسماح لمعنى جديد بأن يظهر من أعماقك.

وقد تُفكّر الآن: «ماذا تعني بأن الخسارة فكرة؟ فأنا قد خسرت المال بالفعل».

لفهم المقصود، سأطلب منك أن تتخيَّل أنّك وُلِدْتَّ في جزيرة صغيرة، لم تتعلم فيها كلمة الخسارة، أو الربح قَطْ، كأن هذه الكلمات ليست موجودة في معجم اللغة هناك، فكيف ستختبر هذا «الحدث» حينها؟

على الأرجح أنّك لن تحسَّ بالتعاسة، وإنّما ستكون محايدًا، وستتعلم، وتعدل وتجرّب، حالَك كحال الطفل الذي يتعلم المشي. فلو كان الطفل يفسّر السقوط بالخسارة، فلن نرى أي شخص في العالم يمشي!

فالخسارة وُلِدَتْ مع ولادة فكرة الخسارة، أو كلمة الخسارة، وكلّ الكلام في بادئه أفكار، ولك أنْ تُصدّق فكرة الخسارة، أو تستشفّ ما بعدها، وعندها ستعرف أنَّ كلّ موقف - مهما كان - فيه بذرة الخير المخبّأة للتعلم والتطوّر. هذا لا يعني أن تُنكر أحاسيسك قَطْ، أو حتى أن تُجبِر نَفْسَك على رؤيةِ ما خَلفَ الخسارة، وإنّما هو ازدياد الوعي بأنّ المواقف تَخْلُو ضمنيًّا

من المعاني، حتى نُسقَطْ عليها المعنى، ما سيعطيك القوّة، والسرعة للعودة إلى دائرة الخيار، للتعامل الرَّاقي مع المواقف.

وعلى هذا المستوى من الخيار، على مستوى الأفكار، سيولَد اللِّين في التّعامل مع الحياة، فالموقف الواحد يحتمل تفسيرات متعددة، وقد يُنظر إليه من زوايا مختلفة، بل على الأحرى من زاويا غير محدودة، وكلّ فكرة جديدة ترسم معها واقعًا جديدًا، تفتح في ثناياه أبعادًا جديدة للحياة. وشيئًا فشيئًا، سيتحول هذا اللين إلى انفتاح ذهني عظيم يحرِّرك من مُكَبِّلات الإجبار. فهل يستوي الخيار والإجبار؟

وقد تتبادر إلى ذهنك الآن فكرة من مثل: «ولكن ما بال الذين زُجّ بهم بالسجون، فكيف يكون بهذا خيار؟».

الخيار يكمن بالطريقة التي يستنبط فيها خبرة السجن، فالتاريخ حافل بالأمثلة على أشخاصٍ سُجِنوا، وقرّروا أن يَختبروا السجن كفرصة للتطهير، والتطوُّر، واكتشاف الذات، وعندها تحوّل «السجن» في نفسهم إلى «مساحة للشفاء».

أترى كيف أن فكرةً جديدةً تُشكِّل واقعًا جديدًا؟

وإن كان ذهنُك شديدُ الدّقة، ويسعى إلى فكِّ كود الخيار بأيّة طريقة، فقد يقول: «ولكن ماذا عن ولادتي على الأرض، فكيف بذلك خيار؟».

وسأطلب منك هنا أن تفتح ذهنك إلى احتمالية فكريّة ربّما لم تَرَهَا من قبل.

كيف لك أن تَجزِم أنّ روحك لم تختر القدوم إلى الأرض في هذا الزمان، وفي هذه البلد والعائلة بالتحديد، عارفةً أنّ في ذلك الخيارِ الصقْل الأنقى لنفسك، لخدمة الرسالة التي «اخترت» التعبير عنها؟

فشخصيًّا، لو لم أُولَد في مكان يتجلّى فيه وعي الانفصال والضعف، لَمَا كان لشغف الوحدة، والتمكين أنْ يجد مكانًا في قلبي.

أترى الآن أنّ كلَّ شيءٍ خيارٌ؟

وقد تفكر الآن: «لقد بدأتُ بفهم المقصد، ولكن كيف لي أن أُفَعّلَ قوّة الخيار الآن بشكل عمليّ؟».

هذا سؤال حكيم، وسيعيد النقاش كالعادة إلى واحة العمليّة.

في البداية انتبه إلى اللغة التي تستعملها؛ لأنّ الكلمات تعكس أفكارك في تلك اللحظة، وابدأ تدريجيًّا بتحويل الكلمات التي فيها نوع من الإجبار، مثل كلمة «لازم»، إلى: «أنا أختار». فعندما أعمل مع المتدربين، عادة ما أوقفهم كلّ مرّة يقولون فيها «لازم»، أو «يجب»، وأطلب منهم أن يحسّوا وقع تلك الكلمة في جسدهم، ومن ثمَّ أطلب منهم أن يستعيضوا عن كلمة لازم بـ»أنا أختار»، ومن ثمَّ يحسّون الفرق الذي تُحدِثه

كلمة الخيار في جسدهم، وعادةً ما يُصعَق المتدرِّب من الفارق في الإحساس.

تنبَّه لكميّة اللّوازم التي تعيش فيها من دون وعي، والجميل أنّه في اللحظة التي يستوي فيها وعيك، بأنّك أَلزَمتَ نفسك بشيءٍ واهمًا، تتجلّى أمامك مرة أخرى قوّة الخيار، وهذا سرّنا الصغير.

عندما تعي أنَّ ما تُلزِم نفسك به هُو وَهْم، ترجع لك قوّة الخيار.

درِّبْ نَفْسَك قبل القيام بأيّ عمل، بالتذكر أنّه خيار، فالذهاب مع هذا الشخص خيار، والرَّدُّ على الهاتف خيار، وفتحُ صفحات التواصل الاجتماعي خيار، وطريقةُ التعامل الداخلية مع الأحداث أيضًا خيار، والصدقُ بالتعبير، أو الزيف خيار. بهذا ستتعالى قدرتك على التقييم الطاقيّ لنتيجة الخيار قبل الخَوْضِ به.

وبالتعمُّق أكثر بالتدريب على الخيار، ووعيه الحرّ، ستنتقل كُليًّا من اللّا خيار إلى الخيار، وبهذا انتقال أيضًا من ذهنيَّة الفقر إلى ذهنيَّة الوفرة، فالفقر والوفرة وصفان لتوفّر الخيارات من عدمه. وبالرَّغم من روعة هذه النقلة في الوعي، إلّا أنّها لا تصل إلى أعلى حالات التسخير لقوّة الخيار، فالمستوى الثالث يُحلِّق فيه الخيار إلى مرحلة جديدة، إلى مرحلة القوّة المطلقة، وهذه القوّة المقدسة تُعرف بالتسليم.

نعم، هنا دَبَّ الوعي الكامل بقوّة الاختيار، وخيارات الحياة اللَّا محدودة، ولكن من باب الحكمة، فالشخص استنار، واختار تسليم نفسه لروح الحياة الواحدة وخياراتها، وكأنَّ العجلة تعود من اللّا خيار إلى اللّا خيار، ولكن من منظور جديد، في صُلبه التمكين، وليس الاستضعاف، فالتسليم التدريجي يأتي من موضع خيار تاللار لا إجبار. فقد أَدْرَكَ الشخص هنا أنّه مهما ازدادت حنكته، وتطوَّرت قدراته الذهنيَّة على اتّخاذ خيارات راقية، فإن الخيار الأفضل يبقى خيار الروح.

هنا نَرى هدف الشخص الدائم أن يسلّم نفسه لخيارات الروح، فهنا تحوّلت نشوة الخيار، إلى حالة خارقة من التسليم، والتناغم مع الحياة، فالطاقة ليست مبعثرة بين خيارات لائحة الطعام، بل فيها السماح لروح الحياة لتقديم الوجبة الأفضل، حتى لو لم تَبدُ كذلك ظاهريًّا.

عنوان هذه المرحلة هو الدقّة في التصويب، فترى الشخص غير آبهٍ بخيارات الحياة المتنوعة، فالإشباع تَمَلّكه، والحكمة أرشدته لما هو أهم، وهو التوازي مع خيارات الذات الأصيلة، لترى الشخص هنا كالناي الذي تُغنّي من خلاله شفاه الحياة الواحدةِ الأَغنية التي تريد. هذا الشخص هو الأداة التي يتم عبرها القرار، وليس المقرر؛ لذلك قد تبدو حياته للناظرين غريبة، أو حتى تخلو من النضوج، ولكن لأسباب

تجهلها العامة، فهذا النوع من الحياة فيه الكثير من البساطة، والقوّة، والوفرة، والفاعلية، التي تَخْفَى عن ذلك الذي يَلهث في البحث الخارجي. فَهُنا تُصبح الصدف الكونيّة الرفيق الدائم للذي ارتضى بتسليم أمره، وهذا ما يسمّيه العامّة بالحظ، وكأنّ الحياة تُيسِّر حياة الشخص بالبركة، وهو المشاهد المستمتع بها.

وأَذكُر هنا أحد أفلام « جيم كاري Jim Carrey »، التي توضح المستويات الثلاثة للخيار بدقة، ففي البداية، كان يبدو أنّ حياته مجموعة من العُقَد التي «وجب» عليه أن يتقبّلها على مَضَضْ. وفي مرحلة معيّنة التقى بالخالق الذي سلّمه القوّة الكاملة، وهنا بدأ «بروس Bruce»، وهو اسم الشخصيّة التي كان يُؤدّيها «جيم كاري»، بالاستمتاع بالحياة، فالآن هو السلطان، ولديه الخيارات كافّة والقُدرة على تحقيق أيِّ شيء يرغبه. يستمر «بروس» بالاستمتاع، حتى يبدأ وعيه باستباحة الخيارات، لتنهال عليه النتائج العكسية بِشِدَّة، وذلك لعدم فهمه لثوابت الحياة وقوانينها، وهنا يبدأ الألم والمعاناة، حتى يستنفد «بروس» نفسه، ويَسقَطْ على ركبتيه صارخًا للخالق: «لتكن مشيئتك هي مشيئتي».

فكما ترى، خيار التسليم لم يأتِ من حالة الفقر الذهني، بَلْ من المعرفة الكاملة بوفرة الخيارات.

والسؤال الذي قد تسأله الآن هو: «هل التدرُّج بتلك المستويات الثلاثة واجب؟ أفلا تستطيع الوصول إلى المستوى الثالث، إلّا إذا مررتَ بالمستويين الأول والثاني؟» قد يُخيّل للمنطق أن الإجابة نعم، ولكن السيكولوجية الإنسانيّة أعقد قليلًا من ذلك، فَتَراها تعمل على المستويات الثلاثة سويًّا.

فهل يمكنك التفكير بموضوع معيّن تَحسّ أن لا خيار لك فيه، وآخَر لك فيه كل الخيارات، وآخَر تُسلِّم نفسك فيه لتدفّق الحياة، وأنت واعٍ بخيارات الحياة اللّا محدودة؟ أكاد أجزم أنّ الإجابة نعم.

السِّرُّ أن تدعَ الوعيَ العام يسحبك في مختلف نواحي الحياة إلى المرحلة الثالثة، لا بالدفع الطائش، بل بالتسليم التدريجي الحكيم. فعمليّة التسليم هي عمليّة مستمرة، من التخلص من الظن الواهم أنّ لديك السيطرة على الحياة، والرجوع إلى التدفُّق الأصيل، الرجوع إلى ذاتك الأصيلة. فأنت لست السائق لحافلة الحياة، وإنّما الراكب المستمتع.

عادة ما يتّقد المستوى الثالث من التسليم تلقائيًّا، عندما ينمو الحُب في قلبك لِمَا هو أصيل فيك، وما هو أصيل في الحياة «وهما واحد»، أي عندما ينمو حُبُّك للحقيقة كما هي، من دون شروط أو توقعات، هذا أعظم حُب سيعرفه أيُّ بشري، وهذا سرّنا الصغير.

أعظم حُبٍّ في الخليقة، هو حُبُّ الحقيقة كما هي.

ولتسريع عمليّة الانتقال الشمولي إلى المرحلة الثالثة، مرحلة التسليم، دعني أُعرّفك على ما نسمّيه بالنيَّة السِحريّة.

لو أنّ الكتاب أراد أن يختصر نفسه في صفحة واحدة، لكان عرّفك على النيَّة السِحريّة للتناغم مع خيارالحكمة، ففي هذا الخيار يقظة لذاتك، وذات الإنسانيّة كافّة.

النيَّة هي كلمةٌ أخرى للاستغلال الماهر لطاقة الخيار، وما بالك إن كانت هذه النيَّة، هي أسمى، وأذكى النوايا التي قد يتَّخذها الإنسان؟ ولذلك أسميناها بالنيَّة السِحريّة.

فما هي النيَّة السِحريّة؟

هي ببساطة تسليم كلّ خياراتك إلى خيار واحد، وهو التعبير عن الذات الحقيقية، وهذه رسالة كن أنت، هو خيار حُبّ الذات، لتصبح هذه النيَّة المحرِّكة لك.

فكيف لك أن تُطبِّق هذه النيَّة السِحريّة على أرض العمليّة؟

الإجابة، بالتدريب المستمر لتوجيه الطاقة لنيَّة التعبير عن حُب الذات، عندها، لن تغدو خياراتك مبعثرة، أو عشوائيّة، أو حتى كثيرة، بل هي واحدةٌ أساسية تنبثق منها كل الخيارات الفرعيّة. فَهُنا قد احتدّ التركيز، وسُخِّرت ذخيرة العزيمة في الاتجاه الأسمى.

هل يمكنك أن تتخيَّلَ أنّ هذه قد تكون أسرع طريقة للجريان في نهر الحياة، والانقياد الكامل نحو رسالتك الخاصّة، التي

أَتيتَ إلى الأرض توّاقًا من أجلها؟ ألا تُوقِن الآن أنّ هذه هي الوسيلة الأكثر يسرًا لعيش حياة كاملة؟

وهذا لا يعني أن تكرّر هذه النيَّة كنوعٍ من التدريب الذهني البارد، بل أن تُخْلِص النيَّة الصادقة بهذا الاتّجاه. وهذه ليست بالمهمّة السهلة، فَنِيَّة التعبير عن حُب الذات، عن ذاتك الأصلية، سَتُعرّيك، وتكشف لك كل الأماكن التي امتنعت فيها عن التعبير الكامل عن ذاتك، بسبب الخوف؛ لذلك هي رحلة مستمرة للتعبير الصادق، وتطهير الخوف الموجود فيك.

وواحدة من أكثر الطرق العمليّة، وبساطة لتطبيق النيَّة السِحريّة، هي السؤال الدائم لنفسك:

لو كان الشخص يُحِبّ ذاته، فماذا سيفعل الآن؟

ثم حَوِّل هذا السؤال إلى العنوان الأسمى لحياتك، والنيَّة المحرِّكة لكل سلوكياتك.

فمثلا كُنتُ البارحة أعبِّئُ البنزين بالسيارة، وقام أحد العاملين هناك بتنظيف زجاج السيارة من دون سؤالي، فتفعّل نظام الخوف بداخلي غاضبًا، كيف يقوم هذا الشخص بذلك الفعل من دون إذني.

رويّا رويّا تذكّرت الذي أُعلِّمه، وتَنفَّستُ، وسألتُ قلبي:

ماذا سيفعل الشخص المحُبّ لذاته الان؟

وأعطيتُ المساحة للإجابة الصادقة أنْ تظهر، وليس ما أريد أن أسمع، لتأتي الإجابة: بالإكرام، فسألتُ كيف؟ فأتت بالكلمة اللطيفة، والمال، ففعلتُ ذلك.

هذا لا يعني أنّ خيار حُب الذات سيكون على هذه الشاكلة دائمًا، فقد يختلف، حتى في نَفْسِ الموقف، قد ترى حُب الذات يرشدك، لأنْ تقول للشخص من مكان المحُب الصارم: رجاءً لا تُنظِّف الزجاج لأنّي لم أطلب ذلك، فترسم حدودًا طاقيّة جديدة في عقلك الباطن. أترى كيف السؤال فيه خصلة الديناميكيَّة حاضرة؟

ولا تَخَفْ إن لم تجارِ الإجابة كل مرة، فالفرصة دائمة الوجود للتعديل، والانصياع لسيادة الحُب.

على بساطة هذا السؤال، إلّا أنَّه ومن دون أيّة مبالغة، قد يكون أعظم وأسمى التدريبات الإنسانيّة، وإن أُخلص له، فهو طريقك المباشر للتنوير، فحُب الذات، والمُضِيّ بتعابيره اللحظيّة، هو التنوير ذاته. في مرّة من الأيام، سألتُ أحد المعلمين الذين أضافوا لي الكثير، واسمها «هيرا Hera»، عن سرِّ التنوير، فقالت بكلِّ ثقة: «انْسَ التنوير يا إيهاب، وركِّز على حُب الذات، واحترام الذات، وتقديس الذات،» هذا مع العلم أن «هيرا» راهبة أمضت غالبية حياتها في التأمل، للوصول إلى التنوير!

لذلك على بساطة سؤال: ماذا سيفعل الشخص الذي يحُب ذاته الآن؟ والانقياد بطريق الإجابة، فهو طريق التنوير، طريق الصراط المستقيم، وما أزهد الثمن الذي تدفعه، مقابل نتاج هذا الطريق، فهو طريق الحقيقة. الحقيقة وحُب الذات هما وجهان لعُملةٍ واحدة، الحقيقة هي الحُب، والحُب هو الحقيقة.

فالحُب الذي نعنيه هنا ليس نوعًا من الرومانسيّة الخجلة، وإن كان هذا شكلًا من أشكال الحُب، ولكن الحُب الأصيل هو العطاء الصادق في سبيل الحياة، والتسخير الكامل للنفس في سبيل الحُب، وما أعظم هذا العطاء، وما أهيب وقعته**!** فمن سَلَكَ مَسْلَكَ النيَّة السِحريّة، وسَخَّر قدراته الكاملة لخدمتها، لخدمة الحُب، فستكافئه الحياة بحلاوة عيشها وإلهاماتها اللَّا محدودة، لتأخذه إلى عروش السماء العليا. وأعلى عروش السماء مخصصة لخادم الحُب، ورسالته الكونية، ذلك الخليفة على الأرض. وليس المقصد من هذه الصورة أن نيَّة التعبير عن حُب الذات سَتَضُخُّ فيك فجأةً مشاعر ورديّة فجأة، بل ستُحرق كِبَرَك، وتُهيمن عليك بسطوته.

وما أحلى هيمنة الحُب...

كما قلنا، فإنّ هذه النيَّة ستأخذك إلى طريق سريع من الصحوة، تنكشف فيه كلّ مخاوفك ومحاولاتك لإثبات نفسك ظاهريًّا، وأَيُّ مكان أَغلقتَ فيه صدرك أمام تعبير الحياة

المتأجّج. ستأخذك نيَّة التعبيرعن حُب الذات إلى طبيعتك الأصلية، لترقص معها، وبها بصورة لم يعهدها غير النبلاء، أولئك الجند المجهولون، الذين في نِيّتهم المستورة كسبوا غِبطة الحياة بصدقها، غير آبهين بكل المكاسب بعد ذلك، فكل المكاسب تصبح هنا ثانوية، فلا جاه، ولا سلطان يعلو على الصدق مع الذات، ولا ارتواءَ أكبر من تعبير الحُب.

وسترى بهذا الالتزام حتى نوعيّة أسئلتك - أو تكنولوجيا السؤال - سترتقي لتأخذك في هذا المنحى، فترى أسئلتك تتموّج بين:

كيف أُعبِّر عن حُب الذات أكثر، فأكثر؟

كيف أستطيع أن أُعبِّر عن حُب الحياة الآن؟

كيف أعيش بالتناغم مع تعبير الروح لحظة بلحظة؟

ما هو خيار الذات العليا الآن؟

ما هو خيار الذات الأصلية الآن؟

كيف أستطيع أن أُعطي من كل قلبي الآن؟

كيف أستطيع أن أُعبِّر عن الحُب الصادق الآن؟

أو قد تَنضُج نوعيّة الأسئلة إلى ما يسمّيه الصوفيون بالعشق الإلهي، فترى السؤال الذي يتردَّد في ذهنك هو: كيف أُعبِّر عن العشق الإلهي الآن؟

مفردات، وتراكيب هذا النوع من الأسئلة ليس لها حدود، وسَيَفتحُ لك ما يناسب فكرك وذوقك، وكلّها تَصُبُّ في اتّجاه

واحد، كلها تَصُبُّ بخيار الذات الحقيقية، بخيار حُب الذات، والتعبير الصادق عنه، وعندها ستستحقُّ أن يُطلَق عليك لقب «العنصر الفعّال».

وماذا نعني بالعنصر الفعّال؟

كما لعلم الإدارة الحديثة ثوابته ومعاييره الخاصّة للفاعلية، فالإدارة الكونيّة أيضًا لها ثوابت ومعايير أَدقّ، فالكون يعشق التدفّق في ذلك العنصر الذي ينبثق منه العطاء الرشيد، ويَبْعُد عن الإهدار المشين. فترى الحياة تُلهم ذلك الذي يشارك إلهامه بكثرة، فهو عنصر فعّال، وتراها تعطي أكثر، وأكثر من خيراتها، لمَنْ يستعمل المال للخدمة القصوى، والتأثير الكبير، فهو عنصرٌ فعّال، وتراها تضع قوّتها، وتمكينها في قلب ذلك الذي ارتضى أن يُذَكِّر الناس بقوَّتهم الداخليّة، فهذا أيضًا عنصرٌ فعّال.

وماذا تعتقد أنّ الحياة فاعلة بذلك الذي انتشى بخيار الحُب وتعبيره النقي، ليسَخِّر حب الذات كمهمَّته الرسميّة؟

مِن منظور الحياة، ذلك هو رمز الفاعليّة الأسمى، فهذا الإنسان فَهِمَ قوانين اللعبة، ونضجت فيه الحكمة لتسخير الطاقة لأعلى استعمالاتها، فهو ناشدَ رغباته الدنويَّة، لتتماشى مع رغبة الحياة الأصيلة بالتناغم الكامل مع تعبير الروح.

فكيف لن تكرم الحياة ذلك الذي ارتضى أن يمشي في هذا

الطريق الجريء، فهو العنصر الفعّال، بل أكثر العناصر فاعليّة على الإطلاق.

على هذا المستوى من الوعي يتلاشى إهدار الطاقة، والتكرار للطرق التقليديّة، بل على العكس تمامًا، فهنالك خَلْقٌ فريد متجدِّد، يتحوّل فيه هذا العنصر إلى آلة مجنَّحة لِخَلْقِ القيمة، ومساحة يَخرُجُ من رحمها الإبداع. وبالمقابل الحياة تنهمر عليه بِنِعَم فريدة قَلَّما تراها العامَّة، لا من باب التمييز، بل من باب الإدارة الحكيمة البحتة.

وقد يتبادر إلى ذهنك الآن: «أليس في هذا شيءٌ من العجرفة والغرور؟ فأين كرم المسعى، وحُب المساعدة إذا كان حُب الذات هو المحرّك فقط؟».

وللأسف فهذا برنامجٌ آخر من البرامج الفكريّة الهزيلة، التي فسَّرت حُب الذات على أنَّه نوع من الأنانيَّة.

ورغم زيف هذه البرمجة إلّا أنّها - وبجهلها - قد تَحمِل في ثناياها نصف الحقيقة، فنَعَم، حُب الذات فيه من الأنانيَّة الكثير، ولكنّه ما نسمّيه هنا بالأنانيَّة الفضلى.

والأنانيَّة الفضلى هي النقَطْة التي تلتقي فيها المصلحة الشخصيّة، مع مصلحة الأكوان كافّة، فهي النضوج الكامل، للالتحام مع نقَطْة الخير الجامع. هنا نرى مفهوم (رِبح- رِبح- رِبح) يتجلّى بأروع صوره ليصل إلى اللّا منتهى.

فكيف للخير أن يكون جامعًا، إنْ لم يشمل معه خيرك الشخصي؟ فمعاناتك لا تضيف للحياة سعادة، وفقر حالتك الذهنيَّة لا يزيدها تناغمًا وثراءً.

أذكر بوضوح المرة الأولى التي بدأ بها مفهوم الأنانيَّة الفضلى في فتح بوابتها في نفسي، فكُنتُ وقتها في حصّة لتدريس نوع خاص من الرقص اسمه « بيودنزا Biodanza »، وهو مزيج بين الرقص، والاتصال، والشفاء العاطفي. في نهاية الحصّة، ذهبتُ باتِّجاه الشباك؛ كي أشرب من زجاجة الماء، وكان يوجد هناك لوحة صغيرة عليها جملة قالها « دالاي لاما Dalai Lama »، إن كنتُ لا أذكرها بالتفصيل، ولكنّها حملت المحتوى التالي: إنْ كنت ذكيًّا في أنانيتك، سترى أنَّ العطاء هو قمّة الأنانيَّة؛ لأنَّ أوَّل من يستمتع بهذا العطاء هو أنت. كأنَّ في هذه الجملة سِحرًا رتَّب أفكاري المغلوطة، وبعثر المفهوم التقليدي للأنانيَّة، ليتّخذ منحًى جديدًا، باتّجاه المكان الذي تتلاقى فيه قمّة الأنانيَّة بقمّة الكرم.

وعندها أيقنت أن لا أنانيَّة أكبر من حُب الذات وتعبيره، ولا عطاء أكثر إخلاصًا من حُب الذات وتعبيره.

وكأن الحياة ترشدك إلى قلب الخير، لتريك أن لا تناقض بين رفعة النفس، ورفعة البشريّة كافّة، ولا تناقض بين حُب الذات، وحُب البشرية كافّة، فحُب الذات يشمل حُب

«الواحد»، ويشمل «الذكرى» أن في روحك أصلًا حبٌّ كاملٌ، وخالصٌ لذاتك، سواءً عَرفت، أم لا.

فهنا يتحوَّل حب الذات من فعل تعمله، إلى انفتاح على تدفّق حالتك الأصلية وتعابيرها: حب الذات، وهنا تصبح القدرة على رؤية الأماكن التي قمعت فيه حب الذات وتدفقه، لخوف في نفسك، وألم يغطِّيها أوضح، وأوضح. الحب هو أنت والكون وخالقه، فالحُب بالنهاية واحد؛ لأن الحُب يَجمَع ولا يُقسَّم، فالحُب يجذب الإدراك إلى فضاء الروح الواحد، وراء تقسيم الأحكام الوهمية، وهذا سرّنا الصغير.

حُب الذات هو نفسه حُب البشر، والحياة الواحدة؛ لأن الحُب واحد، وغير مقسَّم.

وإن تعمَّقتَ أكثر في خيار حُب الذات، وحكمته الجامعة بين النقائض، ستدرك أيضًا أنَّ هذه النيَّة هي الحلُّ الشافي للتردّد في القرارت، طبعًا، فالتردُّد يكون بين خيارين، أو أكثر، وأنت هنا ليس لديك إلَّا خيار واحد فقَطْ، ليس من باب القلّة، وإنّما من باب الحكمة.

وعندها سترى بأمِّ عينك أن السؤال الذي ينبغى التمحُّص فيه، هو ليس ماهية القرار الذي ستتخذه، بل هل القرار الذي ستتخذه هو من كل قلبك، أم من نصفه؟ فالأول هو التعبير عن حُب الذات، والثاني عكسه. فنوعيّة القرار، ليست مهمة بقدر الاندفاع في القرار بكلِّ وجدانك، وإن ظَهَرَ لك فيما بعد

أنَّ القرار ليس بالصائب، فسستعلم بسرعة، وتعدّل، وتندفع مرة أخرى إلى القرار الأصدق بكامل وجدانك. وحتى إن قرّرت عدم القرار، فدعْ ذلك يكون من كلِّ قلبك، وليس نصفه، وعندها ستستطيع تقدير نتائج القرارت بفاعلية أكثر، وستتمكن من تقدير المناسب منها بسرعة. فأنت على هذا المستوى من الاندفاعيّة، تُلقي بروحك كلِّها في القرار، وترمي بذاتك كاملة في معترك الحياة، وهنا تتجلَّى قوّة القرار الصادق.

فالانفجار الكامل باتّجاه القرار، هو نفس الحالة الذهنيَّة في التعبير الكامل عن الذات، وأمّا الحالة الأخرى، فهي المتردّدة، فتراها تتقافز بين الألعاب التحليلية، وتدور في أحكام وتوقعات لا تنتهي؛ لذلك هي تَخْلُو من النضج، الذي لا يولد إلّا مع شجاعة الحب واندفاعه.

وسأنصحك هنا بأن تدرّب نفسك على أخذ قرارت سريعة، وحدسيّة أكثر، فعندما يسأل أصدقاء أين تريدون الذهاب للأكل؟ اقترح المكان سريعًا، ليس استبدادًا، وإنّما للتدرّب على القيادة المستنيرة، وهكذا ستتعدَّى نظام الخوف الذي يعيش في قلق مستمر بين القرار الصحيح والخاطئ. والسبب في ذلك أنه يُعلِّق قيمته على صحة القرار من عدمه، ولكنّ اللعبة التي قرّرنا أن نلعبها سويًّا أكبر من نظام الخوف، ونقصه الواهم.

فاللعبة التي نلعبها الآن هي لعبة المتعة والاندفاع، هي لعبة كن أنت، وفي هذه اللعبة القيمة مضمونة، والخطأ غير موجود.

في لعبة القرارات القلبيّة تتسارع العجلة قُدمًا، وتظهر روح الحُب للعمل بوضوح، والتي قد يُطلِق عليها البعض مسمَّى: الإخلاص في العمل. ولكننا هنا سنتعدّى حتى مفهوم «العمل» إلى الإخلاص ذاته، فالمُخلِص هو الذي آثر تسخير قراراته التحليليّة لهدفها الأصيل، ليُعطي من قلبه في اللحظة، ويَخدم روح الحُب؛ لذلك كان يردِّد أبي لنا دائمًا: «إن سر النجاح، هو أن تعتبر ما تفعله الآن قدَرك، وتُخْلِصَ له في لحظته، وهكذا سيبادلك الحُب والقيمة».

نتكلم هنا عن الإخلاص هنا بصيغة «الخيار من البُعد الثالث»، الخيار الدائم لرفعة النفس.

فلماذا لا تأخذ الخيار الأسمى بالتعبير عن حقيقتك الان، وبالتدريج؟

هو خيار، كحال أي خيار...

نعم أنت دائم التواجد في دائرة الخيار، حتى إن بدأنا الحديث باللّا خيار للإيضاح. أنت دائم الوجود في دائرة الخيار، وحتى إن اخترت «خيارعدم الخيار»، وهو خيار الضحية. هو الخيار الذي سيبقيك في غضب مستمر، وهذا التعريف

الدقيق للشخص المغضوب عليه، ولكن للحفاظ على منطق ما بدأنا دعنا نُبْقِ على تدرج مستويات الخيار.
وعند المُضِيّ بخيار الحب، ستكتشف أن ما يعرقل السريان في حقيقتك هي الأحكام الملتصقة ضمنيًّا بنظام الخوف.
فشيطان الأحكام تبعدك عن خيار الحقيقية، تبعدك كل البعد عن ذاتك الأصيلة؛ لذا من المهم أن تتعمَّق في ميكانيكية عمل الأحكام؛ كي تعرف كيف تتخطَّاها.
للتذكير:
* هناك ٣ مستويات للخيار، تبدأ باللَّاخيار، وتنتهي باللَّاخيار. ولكن الأول من ضعف، والأخير من التمكين.
* أرقى استخدام لمَلكة الخيار هو التركيز على خيار الحب، وتعبيره اللحظي.
* في حب الذات تلتقي المصلحة الشخصية والكونية من دون تضاد.
* الذي يعيش من نظام الحب يضع كلّ طاقته في أيّ قرار بدل التردد في صحة القرار من عدمه.
أسئلة للتفكر:
هل يعقل أن روحي تحبني كما الآن، ومن دون شروط؟
ماذا سيختلف في واقعي، إن بدأت أخذ خيارات متناغمة مع حبِّ الذات ٣٠٪ أكثر من ما أفعل الآن؟

ماذا الذي يوقف حب الذات الذي في داخلي الآن أن يتدفق لنفسي بكل يُسْر، وانفتاح؟
هل أستطيع أن أتخلَّى عن هذا السبب الذي يوقفني؟

التحرّر من قيود الأحكام

الأحكام هي إحدى الوسائل المحُبَّبة لنظام الخوف، تُبقيك في أفقِ المعروف المكرّر، الذي يُعتبر من منظور الخوف أمنًا، ولكن لو نظرنا أعمق من «أجندة الأمان الزائف»، لرأينا أنّ الأحكام هي أكبر مُكبِّل للتعبير الحُر.

لذلك بنضوج قُدرتك على تَعدّي جرثومة الأحكام، ستصبح أُفقًا للتعبير الخالص، تنساب منك روح الحياة كانسياب الأنهار.

لتحقيق ذلك فلنبدأ إذًا بفهم الأحكام على مستوى الوعي، وليس الأخلاق، فالكِتاب ليس نداء أخلاقيًّا للتوقّف عن الأحكام، وإنّما هو بوّابة لرِفعة الوعي، لتأخذك بعيدًا عن غرفة الأحكام المظلمة. وبتغيُّر الوعي، يتغيّر السلوك ضمنيًّا، دون الحاجة إلى منظومة أخلاقيّة متحجّرة.

ومن القصص التي أُحِب مشاركتها للتأكيد على هذا المفهوم، هي قصّتي مع نسيم:

قبل بضع سنين كنت في زيارة لبيت أختي وزوجها نسيم في قَطَر، وكان جزءٌ من غرض هذه الزيارة، مشاركة أحدث الاستراتيجيات في الريادة والقيادة مع شركة نسيم. كنت في كلّ صباح أذهب مع نسيم لشركته، وفي الطريق للخارج، كنت أطلب المصعد، ولكن كعادتي أضغط على الزرّين

الأعلى والأسفل، وكلّ مرّة أقوم بذلك، يقول نسيم: «توقف عن هذا الفعل،» فيأتي اليوم التالي، وأعيد الكرة، فيعيد نسيم التعليق ذاته: «كُفّ عن فعل ذلك». وفي أحد الأيام وبعد الضغط على الزرّين، قال نسيم: «إيهاب، عندما تضغط على الزرين، فأنت تُؤخِّر شخصًا آخرَ عن المصعد،» واستمرَّ في تفسير الأمر وإحداثياته. في تلك اللحظة أصابني الوعي الكامل بنتيجة سلوكي، ومن بعدها وحتى اليوم لا أضغط إلَّا على زر واحد للمصعد، للأعلى أو الأسفل.

هذه القصّة، وعلى بساطتها تُظهر لك أن السلوك يتغيّر تلقائيًّا، بتغيّر الوعي، أو مستوى التفكير لديك، وإن طبّقنا هذه القاعدة هنا، فَسَعْيُنا لِلإنارتك بِأَثرِ الأَحكام المدمِّر، سَيُضاءِل هذه العادة تلقائيًّا من حياتك.

هذا ما اختبرته في حياتي شخصيًّا...

كما عَرَفتَ سابقًا، فلقد وُلِدتُ وترعرعتُ بالأردن، ومستوى الأحكام هناك غير مسبوق، فعندما تَذكُر اسمك وعائلتك، يستطيع الشخص عادةً أنْ يَعرِفَ من أية مِنطقة أنت، وما هي خلفيَّتك العقائديّة والفكريّة، وكأنَّ قَولَ اسمك لوحده كافٍ ليحرِّك وعي الأحكام في العقل الباطن. هكذا شهدت مباشرة أثر الأحكام المدمّر على الفرد والمجتمع والبلاد، فعندما تستشري الأحكام في المجتمع، تنتشر أنواع العنف كافّة، كنوع من تفريغ الاختناق الجمعيّ للطاقة، ليس هذا فحسب،

فبارتفاع وتيرة الأحكام يستشري الفقر أيضًا، فما الفقر إلّا فقر المنظور، ووهم الموارد المحدودة، وهذا ما تمثّله الأحكام، وهذا سرّنا الصغير.

كلّما ازدادت الأحكام، ازداد الفقر.

ولكن لولا خبرة الأحكام المجتمعيّة التي مررتُ بها، لما تفعّلت رسالتي القلبيّة، رسالة كن أنت، ومن ضمنيتها خَلقُ كوكبٍ خالٍ من الأحكام من داخل الشخص، فعندما تلمس البُعد الخالي من الأحكام من داخل ذهنك، يتطهّر كوكبك فورًا منها؛ لأنّ تجربة «الكوكب» داخليّة. عندها سينساب منك ينبوع التعبير الصادق.

فعلى مستوى الطاقة، التعبير الحُرّ هو تدفّق طاقيّ مستمر من دون أيِّ اختناق، وأمّا الحُكم، فيَخلق شكلًا من الاختناق في الطاقة، وأينما حدث الاختناق، تبدأ الطاقة بالتجلّط، وبهذا تجلّط لتعبيرك الحر. فالتعبير الحر هو حالة من التدفق الطبيعي المتجدّد.

فإمّا أنْ تَسلك طريق التعبير الحُّر أو الأحكام، وإن اخترت الأخير، سترى نَفْسَك تَتجلط يومًا بعد يوم بحُكم جديد، حتى تتصلب كورق الشجر اليابس، وهذا ما حدث معي. فمن الصغر بدأتُ أتصلّب من ضيق الأحكام، وبأشكالها وألوانها المختلفة، كالأحكام على الطوائف الدينيَّة الأخرى، فكلّهم ضالّون، ونحن على صواب، وقد صدَّقتُ ذلك، وكذلك

الأحكام على الغرب، فهم الأجانب الغرباء، ونحن الشرق الأصيل، وقد صدَّقتُ ذلك، والأحكام على العائلات الاخرى، فكلّهم على خطأ، ونحن على صواب، وقد صدَّقتُ ذلك، والأحكام النمطيّة عن الكيفيّة التي يجب أن يتصرّف بها الرجل في البلاد العربية، بالانفصال عن حساسيّته العاطفيّة، وقد صدَّقتُ ذلك. وصدَّقتُ أيضًا الأحكام عن أسلوب الحياة والعمل والمال ودور المرأة والطاقة الجنسيّة، صدّقتُ كلّ هذه الأوهام الفكريّة، حتى فقدتُ لين ذاتي تحت ثقل الأحكام، وأنا متأكد أنّك مررت بهذه التجربة بطريقتك الخاصّة.

وماذا تتوقع أن يحدث عندما تتراكم الأحكام بوزنها الثقيل في ذهن الإنسان؟

الإرباك...

نعم، الإرباك، فتارة تحاول أن تتماشى مع هذ الحُكم، وتارة أخرى تخاف أن يُحْكم عليك، وستَجدُ نَفْسك بهذا سجينَ الأحكام التي صدَّقتها، وغذَّيتها، وأسقَطْتها يوميًّا على الغير. ولا تظن أني أتحدث معك بصفة الواعظ هنا، فأنا حتى اللحظة لست بريئًا من جُنحة الأحكام، فما زلتُ أحكم حتى الآن.

ففي هذه اللحظة بالتحديد، أنا أحكم على الأشخاص الذين بجانبي في الفندق، لأنّهم أجانب وأنا عربي، ونحن مختلفون، وأحكم على أسلوب كتابتي الشعرية، خوفًا من ألّا يتوافق مع

مدارس الكتابة التقليديّة. ولكن بالرغم من هذه الأحكام المتكرِّرة، فالوعي الراسخ يقَطْن وراءها دائمًا، وهو الوعي الذي نضج على مدار السنين، ويدفعني لأبقى في موقف المراقب للأحكام دون الانجراف معها. ففي فضاء المراقب يتكشّف المنظور النقي الطاهر للحياة، المنظور الذي لا يتنازل إلى مستوى الأحكام وتقسيمها الازدواجية.

فالسر لتخطِّي الأحكام إذًا هو ليس بقتلها، وإنّما بمراقبتها من مكان خلا من الأحكام في صدرك، مكان لم ولن يَتبع أيَّ حُكم على الحياة، فهذا المكان هو روح الحكمة فيك، وروح الحكمة تستمتع بحرّيتها الخالدة من العبوديّة، هي حرَّة؛ لأنّها فَرَغَت من الأحكام، فلا تقع في وهم التقسيم، ولا تحاول أن تُبرهن، أو تغيِّر من ذاتها، بل هي كما هي، واحدةٌ وواثقةٌ بنفسها، ومعبِّرة عن ذاتها.

فكيف تَبلغُ هذه المرحلة من الحكمة، واليَقَظَة على الأحكام؟

تبدأُ العمليّة كما قلنا باتساع الوعي بـ»الأذى» الذي تَخلِقه الأحكام، وإن بَدَت على السطح بالمتعة البريئة، ولكن الأحكام بعيدة كلّ البعد عن البراءة، فهي كالقاتل الماكر الذي يَبكي في جنازة القتيل،

فعندما تَحكم، أو على الأقل تنجرف وراء الأحكام من دون وعي، فأنت تغلق على نَفْسِك الاحتماليات اللّا محدودة للحياة، وتعابيرها النقية.

دعنا نوضح المقصود هنا!

تخيّل للحظة أنّك تمشي في الشارع، والجو رائع، والغيوم تخيطُ أشكالها الساحرة في قلب السماء، وأنت تمشي باستمتاع، وتحسّ بالغبطة. في هذه الأجواء الجميلة تنظر حولك لترى الشارع ممتلئًا بالمارَّة، فهذا أحد الشوارع الرئيسيّة المخصصة للمشي، وهنا تلتفت إلى اليمين، لترى شخصًا على الناصية يعزف موسيقى جميلة، يَطربُ لها سمعُك، وتتمايل لها دقات قلبك. تبدأ الموسيقى بأخذك إلى ذكريات رقيقة من الماضي، ولكن هذه الحالة الرومانسيّة تنقَطْع فجأة، عندما ترى شخصًا أمام العازف يرقص بجنون، فيصيبك الاستياء، وتقول لنَفْسِك: «ماذا يفعل هذا المجنون؟ فهذه الموسيقى راقية، ولا يُفترض الرقص عليها هكذا، وما باله لا يدري إننا في منتصف الشارع؟ هذا المجنون لا يحترم الناس، ولا مشاعرهم بالمرة،» وتتسارع الأفكار فيك حتى تَجِدَ كتفيك قد َتَشنَّجتا، ويديك قد تصلَّبتا، ولولا الحياء لركضت إلى الراقص وأبرحتهُ ضَربًا، علَّهُ يتَّعظ، ويَعرفَ الصحيح من الخاطئ!

كلّ هذه الشحنة العاطفيّة حَدَثَت بسبب أحكامٍ واهمة، لا تَمُتُّ للحقيقة بِصِلَة، فالأحكام قد غيَّرت حالتك النفسيّة في لحظة، وأخذتك معها في تيّارها الخبيث، لتجرِّدك من إنسانيّتك، وتُشعِل فيك أحاسيس العنف، والعدوانيَّة، والانغلاق.

من الممكن أن تقول الآن: « ولكن هذا الشخص فعلًا مجنون، وليس به حياء،» ولكن ليس هذا المهم، بل المهم أن تَعِيَ كيف تجرفك الأحكام إلى حالات متدنيَّة من الوعي، تُبعدك عن حالتك الأصيلة. وليس هذا وحسب، وإنّما تُبرمجك الأحكام على مُكبِّلات فكريّة أنت في غِنًى عنها؛ لأنّك لا تحكم على الشخص فقط، وإنّما على التعبير الذي يمثّله الشخص، وهذا سرّنا الصغير.

عندما تَحكم على أحد، فأنت لا تحكم على الشخص فقط، وإنّما على التعبير الذي يمثّله.

ففي هذه القصة مثلًا، فالحكم هو على التلقائيّة، والاندفاع، والرقص العفوي، وكلّها تعابير فيك. وسترى أنّك بعد أسبوع، عندما تتطلب منك اللحظة التلقائيّة والعفويّة، فستنكمش على نَفْسِك، وتحاول إيقاف طاقة التعبير المتدفّقة؛ لأنّك في عمقك حَكَمتَ عليها بأنّها خاطئة، أو شريرة. هذه العمليّة تَحدُث بِرُمَّتِها في العقل اللّا واعي، ومن دون معرفتك، ولك أن تتخيل كمّية الأحكام التي نُطلقها في اليوم الواحد، وكمّية الكوابل الحديديّة التي تَلفُّها على نفسك، بكلّ حُكم يستشري فيها.

وعندما تَنظر إلى ما خلف الأحكام، سيتَّقد وعيك بشعلةٍ من الوضوح، لترى أنَّ الحياة فيها إتاحة ضمنيَّة لكلّ تعابيرها، وهذه الإتاحة، أو التقبّل الأصيل، هي مُصانة من روح الحياة

نَفْسِها. وعندما تَستشعر الحياة من فضاء التقبّل هذا، سترى كلّ الاختلافات في الكون على ما هي: تعابير مختلفة من روح الحياة الواحدة، جاءت لتزيدها إشراقًا وثراء.

وعمليّة تعدّي الأحكام تنطبق أيضًا على ما نسمّيه بالأحكام الإيجابية؛ لأن جميع الأحكام تعطيك منظورًا غير متَّزن، وترمي بك من عالم الاحتماليات اللّا محدودة، إلى منظور محدّد بالازدواجيّة، وفي الازدواجيّة تُختزل الحياة إلى هذا أو ذاك فقَطْ؛ أبيض أو أسود، إيجابي أو سلبي، جيّد أو سَيِّئ، خير أو شر، وهو منظور بدائي لا يتناغم مع زمن الصحوة التي تمر بها الإنسانيّة الآن. فكن صبورًا، وانظر خلف ازدواجيّة الأحكام، لينكشف لك عالَم الوحدة، واحتماليّاته اللّا محدودة، وعندها سترى أن العالم ليس أبيضَ أو أسودَ، وإنّما مساحة رماديّة، ولا محدودة بينهما، وحينها لن تُجبَر على الاختيار بين هذا «أو» ذاك، بل لك أن تختار هذا «و» ذاك وما بينهما، فكلّ شيءٍ متاح لك في هذه اللحظة.

فهنا قد تختار أن ترقص بجنونٍ وعَفْوِيّة، وتكون بنفس الوقت راقيًا وروحانيًّا، فليس عليك أن تختار بين هذا، أو ذاك بسبب الحُكم، وهنا تُولَد الحرية الحقّة.

وهذا الحرية لا تعني الطيش، بل هي النضوج الأسمى للمنظور، الذي لا يَسطع إلّا من الرفعة على الأحكام، وهذا النضج سيرتقي بك وبالإنسانيّة ككلّ، ليعلمك أنّ أكبر

«الأشرار» الموجودين في الخارج ما هُم إلَّا تعابير ظاهريّة عن مستوياتٍ فكريّةٍ موجودة فيك الآن، ورفضك لذلك هو رفضك لنَفْسِك. وفي نفس الوقت أكبر الأخيار الذين داسوا، أو سيدوسون الأرض، هم أيضًا تعبير عن مستويات فكرية موجودة في داخلك الآن. وعندها ستتعالى على ازدواجيّة الخير والشر، لترى أن هناك الأفكار المتناغمة وغير المتناغمة، والمساحة اللَّا منتهية بين الاثنين، وهي متاحة لك لتختار منها ما شئت الآن.

نعم، كلّ أفكار الكون متاحة لك الآن؛ لأنّ العنصر الابتكاري الذي يشكلّ الأفكار، وهو الفكر، متاح لك الآن، طبعًا بشرط ألّا ترفض ذلك بالأحكام الهزيلة، فالحُكم هو رفضٌ للعنصر الابتكاري الذي فيك، وفي هذا رفض لميراثك الكوني.

وبهذا المستوى من الوعي سترى نَفْسَك ومن دون أيّ جهدٍ تنأى عن أحاديث النميمة ومحبِّيها، وكما قلنا، فذلك ليس لأنّك أصبحتَ خلوقًا، وأمّا الناس فلا، بل ببساطة؛ لأنّك اختبرت بنفسك أثر الأحكام المدمّر.

وبهذا ستبدأ تدريجيًّا بالتحرّر من «الخوف» من أحكام الناس أيضًا، فما الخوف من أحكام الناس، إلَّا الخوف مِن حُكم تحمله على نَفْسِك، وتُسقَطْه في الخارج. فمثلاً، عندما تَحْكم على شخص بالكسل، فلن تسمح لنَفْسِك أن تسترخي، وتأخذ الوقت للراحة؛ لأنّك حَكَمت على فعل الاسترخاء بالكسل،

وبهذا ستخاف أن يُحْكم عليك بالكسل، فيصبح هذا الحُكم كالسجن لك، وخصوصًا عندما يكون «الكسل» هو المطلب الطاقي الأهم لتجديد الطاقة. وليس هذا فحسب، فعندما تَحْكم على أيِّ إنسانٍ بهويّة واحدة، كالكسول، فهذا سجن لك أيضًا؛ لأنّك تُقلِّص الإنسان حينها إلى حُكم واحد، وهو روحٌ لا محدودة، وفي هذا عَمَى عن حقيقتك الروحيّة الجامعة.

وقد تقول في نَفْسِك الآن: ولكن ذلك الإنسان حقًّا كسول! أو ذلك الإنسان حقّا كاذب، أو ذلك الإنسان كذا وكذا.

على مستوى معيّن من الوعي، ذلك صحيح، ولكن على مستوى أرقى هو وهم؛ لأنّه بالحقيقة السلوك شيء، والشخص شيء آخر، فإن كَذَب الإنسان فهذا سلوك يُعَبّر به عن الحاجة للتفخيم، والتضخيم لكسب الرضا، وعند فصلك السلوك عن روح الإنسان، ستراه كما هو، ومن دون أن تُلبِسَه قفص الحُكم الواحد، لتحوّله من قلب الروح الواحدة إلى صِغَرِ السلوك الواحد، وبهذا تصغير لنَفْسِك! فما تُصَغِّره بالناس تُصَغِّره بنَفْسِك، لأنّك أوّل من يَختَبر التصغير داخل أفكارك.

أضِفْ لذلك، أنّ الحُكم على السلوك هو نوع من الشيطنة الخارجيّة له، وهذا سيعميك عن الأماكن التي تسلك فيها أنت نفس السلوك في مكان آخر، بدلًا من كشفها للنور، وتطهيرها.

فكن حكيمًا في اختيار الطريق الذي تسلكه، وروّضْ أحكامك قبل أن تروّضك وتُضعفك، وتصبح كالفيل الذي يأتون به إلى السيرك وهو صغير، ويبرمجونه على أنه غير قادر على كسر سلسلته الصغيرة، وهو في الأصل قادر على هدم السيرك كلّه، إنْ وعى بقوّته الحقيقية. فقد سُلِبَت قوته الحقيقية بِحُكمٍ بُرمِجَ على نفسه، فالأحكام تسلبك قوّتك الحقيقة، ووفرة الاحتمالات الفكريّة.

ولكي تروّض الأحكام أكثر فأكثر، سأقترح عليك اقتراحًا، هو المبدأ ذاته الذي سنستعمله خلال الكتاب لترويض نظام الخوف، وهو محرّك الأحكام.

في لحظة الأحكام، ابتعد بإدراكك عن القصة التي تَحْكم فيها، واجلس مكان المراقب من داخلك، وإنْ كان هناك إغراء للذهاب في ذلك الطريق في تلك اللحظة، فتذكّرْ أن تعدي إغراءات الأحكام هي مطلب من مطالب اكتشاف الذات. وقد تقول جملة مُعيّنة في نَفْسِك، كنية واضحة لتخطي الحكم لحظة تفعيله مثل: أطلب تبديد طاقة الحكم الان، من كل مكان، وزمان، وبُعد، وواقع.

وإن أردت أن تأخذ التدريب على محمل الجد، فلك أن تلتفت لإحساسك لحظة الحكم، وإن كنت صادقًا مع نَفْسِك، فستجد إحساسَ الحُكم فيه شيءٌ من التشويش والثقل، حتى لو بدا في ظاهره مريحًن، وفيه شيءٌ من التفريغ.

عندما تنقل إدراكك من الأفكار إلى نوعيّة الإحساس، سيرتفع ذكاؤك الجسدي، وسيسجِّل جسمك هذا الإحساس بغير المفيد، كما في حال الأحكام، ليبدأ تدريجيًّا بمساعدتك على الارتقاء منه، وهكذا تَفضح أفكارَ الأحكام على حقيقتها، بدل أن تسمح لها بأن تغلِّف ذاتها بالشرعيّة الزائفة للحُكم.
فالإحساس هو بوصلتك الأمينة لنوعيّة الأفكار، حتى لو بدت في ظاهرها بالصحيحة، أو حتى النبيلة، وهذا سرّنا الصغير. الإحساس هو بوصلتك الأمينة لنوعيّة الأفكار وطاقتها.

وإن أردت دليلًا أقوى على ذلك، فإن كنت في جلسة وبدأ فيها الأشخاص بإطلاق الأحكام والنميمة، فسوف أطلب منك أن تراقب ما يحصل لطاقة المكان، وإن تمعّنت جيّدًا، فسترى الطاقة تهبط إلى الأسفل والأسفل والأسفل.

فابدأ رحلة التطهير من الأحكام الآن ليظهر العالم لك بطُهره وعنفوانه، وتكون العنصر المغيّر في البشريّة من مستوى الأحكام الخائفة، إلى وحدة التقبّل الأصيل، فتحرّر العالم كلّه من الأحكام، بتخطيك لأحكامك في عالمك، وهذه رحلة وتدريب مستمر من اليَقَظَة، ، فلا تُحوله إلى سعي المثالية.

تذكَّرْ أنّ الأحكام هي مرضٌ كونِيٌّ؛ لأنّها تخلق نوعًا من الاهتزاز الطاقيّ على كل المستويات الكونيّة، المرئي، وغير المرئي منها، «نعم الأحكام بهذه الخطورة». فخذ قرارًا صارمًا الآن لتَتَحرّر من قيد الأحكام على نَفْسِك، والناس،

والحياة، والكون، وهي واحدة، ولا تتبع أيّ قانون عن كيفيّة سير الأمور، أو طريقة التعليم
الصحيحة، أو في أي عُمر «ينبغي» أنْ يحصل الارتباط، أو، أو، أو...، ارمِ بكلّ هذه القوانين وراء ظهرك، واخلق قوانينك الخاصّة، القوانين المستقلّة التي تنبثق من قلبك، وروحك الأصيلة، وليس قوانين الأحكام.

أتمنى أنه بهذا التوضيح التفصيلي قد تبدأ عملية الارتقاء عن الأحكام، ولكن قد يتبادر السؤال لك الآن: «إن كانت الأحكام بهذا التطرّف والتقييد، فلماذا يبقى تخطّيها تحدّيًا كبيرًا، ومستمرًّا استمرار الحياة؟».

لتعرف الإجابة العميقة لا السطحيّة لهذا السؤال ، عليك أن تتأمّل بالكلّمات التالية:

الأحكام على اختلاف أشكالها، وألوانها هي مخفِّف عن أَلَم فكرة «أنا رافض لذاتي».

سأطلب منك بحُبٍّ، واحترامٍ ألّا تقفز عن هذا الجملة، وتأمّل بها مرة أخرى:

الأحكام على اختلاف أشكالها، وألوانها هي مخَفِّف لِأَلَم فكرة فحواها: «أنا رافض لذاتي».

وهنا يكمن التحدِّي العاطفي، فعند تفعُّل الرفض الذاتي، تبرز في ذهنك إبرة الأحكام سريعًا كالحلّ المؤقت، والجرعة المخفّفة للألم، وإن كان في هذه الجرعة تخفيف لألم «رفض

الذات»، لكنه يُدفع فيها الثمن باهظًا، وهو الإدمان؛ الإدمان على الأحكام.

قد غُرِزت إبرة الأحكام في جسد الإنسانيّة مرارًا وتكرارًا، حتى أخذ إدمانها شكلًا من العبوديّة والطغيان، ولكن الأجدى من ضَرْبِ محلول الأحكام في وريدك كل مرة، هو التيقّظ لِوَهْمِ رفض الذات. نعم، هو وَهْم؛ لأنّ مصدر التقبّل الحقُّ في داخلك، وهو خالد الوجود؛ لأنّ روح الحياة الواحدة خالدة، فروح الحياة لا تَخلق أيَّ مخلوق دون التقبّل الضمني له.

وقد يخطر لك الآن: «إن كان التقبّل مُعطى ضمنيًّا لجميع المخلوقات، فكيف نوجِد الرادع لأيّ سلوك؟» ولنجيب على السؤال، دعنا نتذكّر أن التقبّل شيء، ونتائج السلوك شيء آخر، فالكون يعمل في تنظيمٍ طاقِيٍّ فائقٍ، ويَعتبر كلّ فكرة وسلوك فيه «كمُدخل» ولها مُخرجاتها الطاقيّة. فمن كان بعيدًا بفِكره وسلوكه عن التناغم، سيحصد النتائج الطاقية لهذا المَنْحى، والذي يبدأ مباشرة بإحساس الألم كنوع من التغذية الراجعة، ومن اقترب من التناغم سيحسُّ ببركة العيش، وستعكس نتائجه العملية هذا التدفق، ويبقى التقبّل خارج حسابات النتائج، فالخَلق لا يَحدُث من دون التقبّل التام؛ لأنّ طاقة الخلق هي طاقة الحُب، وفيها طاقة التقبّل حاضرة.

مثلًا إن قام شخص ما بالسرقة، وهذا يطبق طبعًا على شراء الأقراص، والكتب المنسوخة، فهو سيوقع نفسه ضالًّا بالنتائج

السلبية لقانون التبادل، وبعدها سيَحصد نتائج هذه السرقة بطرق أخرى قد لا يعي عليها، مثلًا في حالة القرص، أو الكتاب المنسوخ، سيعوض ثمن التبادل الذي لم يتم دفعه بانخفاض ابتكاره وطاقته الجنسية مثلًا، كتبادل عن الطاقة التي استخدمت في خلق القيمة المسروقة، وهنا أيضًا يبقى التقبل خارج الحساب (أتمنى أنك لا تقرأ هذا الكتاب من نسخة غير أصلية، وإن كان الحال كذلك اتركه الآن، واطلب الغفران، وأتِ بالنسخة الأصلية؛ لأن قمة التناقض في النفس أن تقرأ كتابًا اسمه كن أنت، وهو منسوخ!).

من الصعب على العقل المشبع بالأحكام أن يعترف بهذه الحقيقة؛ لأنه بنى أحقيّته كإنسان على الأحكام من الآخرين، سواءً الأشخاص أو الدول، وعندما يُكشف له أن التقبّل واحد بين السارق والبار؛ لأنهما في مستوى واحد من عيون الحب الكونية، فهذا يحرق أفضليّة الحكم إلى الوحدة. ولكن كما قلنا مرّة أخرى هذا لا يغير من النتائج الطاقيّة للأفكار، والأفعال.

بعد هذا الاستيضاح، قد تكون أدركت الآن أن الحُكم هو من عصارة رفض الذات، عصارة نظام الخوف، ولذلك ضمنيًّا يحرّرك تقبّل الذات من الحاجة للأحكام، ولكن ما قد لا يكون واضحًا، المعنى الحقيقي لتقبّل الذات.

كثيرًا ما نسمع جملة: «تقبّل ذاتك»، فالجملة أصبحت دارجة حتى تحوّلت لشيء من «الكليشيه»، ولكن كيف لك أن تتقبّل ذاتك، إن لم تعِ ما هي الذات أوّلًا؟!

هل الذات هي اسمك، جنسيّتك، عقيدتك، مكان ولادتك، عائلتك، إنجازاتك، ماضيك، مستقبلك؟ الإجابة هي لا لا لا، فكلّ هذه تعابير سطحيّة، تولد في الزمان، وتموت بالزمان، والأصيل فيك لا يمكن أن يكون عُرضَةً للموت، أو الاندثار، وإذا كان كذلك، فلنقرأ السلام على مفهوم السلام؛ لأنّ السلام الصادق لا يُمْكِن أنْ يُستشعر، إنْ كان عُرضةً لتهديدات التغيّر والاندثار.

يبقى إذًا السؤال: إن لم تكن الذات أيًّا من هذه التعابير الفرعيّة، فما هي؟

هذا هو السؤال التقليدي الذي بُنِيَت عليه التعاليم الروحيّة الحَقّة، فمن أراد اكتشاف الذات بمختلف أبعادها وجلالها، لا يمكنه الهروب من هذا السؤال، بل إن هذا السؤال سيتحول إلى تأمّله اليومي في اليَقَظَة والنوم، وستغدو حياته كرحلة اكتشافية في حقيقة الذات، وكيف لا؟ والشخص هذا قد نضج ليرى الأهم في الحياة. فمعرفة الذات هي الأهم، وبهذه المعرفة يصبح تَقبّل الذات ليس بالمهمّة التي تُجبَر على فعلها، بل النتيجة التلقائيّة لهذه المعرفة، كالعطر الذي يفوح من زهرة اكتشاف الذات.

وقراءتك لهذا الكتاب هي ريحان البداية في رحلة اكتشاف الذات، والخوض في سؤال «من هي ذاتي؟ من أنا؟» هو الرحلة ذاتها.

بالتعمّق في هذه الرحلة الصادقة، سيفضح أمامك زُور الذات الكاذبة، وتخاريفها الوهميّة، وفي هذه المواجهة سيتَّقد «السؤال الحارق»: مَنْ أنا مِنْ دون كلّ الهويّات التي أسميتها أنا؟ وقد يجيب خوفك الجاهل قائلًا: «من دونها أنا لا شيء، من دونها أنا ميّت».

ولكن كيف لك أن تَعرف من أنت دون هذه الهويّات الفرعيّة، فالخوف الذي أَلصق هويّته بتعابير سطحيّة مهزوزة، ليس لديه الحِكمة ليرى ما خلفها! فإنْ سمحتَ لنَفْسِك أنْ تتجرد من غبار الهويّات السطحيّة وأحكامها، سَيَنضَح ما في داخلك، ليتحول :»الموت» في نفسك من بوّابة للهروب، إلى بوّابة لاكتشاف الذات. فما الموت إلّا رمز لمواجهة ما كنتَ تعتقد واهمًا أنّه أنت. وفي هذه المواجهة الاختيارية شيء من القوّة، بل القوّة ذاتها، فأنت من يسلب ذاتك من زيفها، وأنت من قرّرت أن تركض فرحًا للموت، وبهذا الموت ولادة لما هو أصيل فيك.

ولا نعني هنا لَعْنَ هوِيّاتك الفرعيّة وتمزيقها، ولكن رؤيتها على ما هي، كتعابير فرعيّة، وليس ما هو أصيل فيك،

فالأصيل فيك ثابت في وجه الزمان، وكيف لا، وهو الخالد الذي وُلِدَ الزمان من رَحِمِهِ.
والأصيل فيك، فيه تقبّل باطني، وروعة خياليّة، لا تهتزُّ أركانها لصرخات الهويّات الفرعيّة، وألاعيبها المعروفة، فَمَن لَمَسَ الذات من داخله وهي فضاء من الوعي الخالص المتألق، لا تَأْرَقُ عَينُه خوفًا من خسارة الهويّات الفرعيّة، فهو رأى الأثمن والأجود منها، بل الأثمن في كلّ الحياة، وهو أنت الأصيلة، وتعابيرها الحرّة المتجدّدة. لذلك بقي، وسيبقى التأمّل في سؤال: «مَنْ أنا؟» أو «مَنْ ليس أنا؟» واحدًا من أقوى التأمّلات على الإطلاق، ففيه مواجهة مباشرة مع الذات، إن تَشَبَّعَ هذا التأمّل بالرغبة الصادقة طبعًا. شخصيًّا، تأمّلتُ مئات، ومئات الساعات في هذا السؤال في آخر سنين، ليس بغرض الإتيان بإجابة نموذجيّة، ولكن بغرض التخلّي عمّا هو زائف، وكَشْفِ ما هو أصيل وحقيقي.
ولك أن تبدأ في ممارسة هذا التأمّل خلال يومك، بأخذ بضع دقائق بين الحين والآخر للذهاب إلى مساحتك القلبيّة، والتنفس هناك، ومن ثم سؤال نَفْسِك: مَنْ أنا؟ أو حتى قد تعيش حالة تأمُّلية مع هذا السؤال، وأنت تمشي في الطريق. تذكّر أنّ الهدف من هذا السؤال ليس اكتشاف إجابة محدّدة، فالذات الحقّة هي وعيٌ نقيٌّ خالص يتعدّى الإجابات كلّها، وحتّى

اللغة، ولكن الهدف من استعمال هذا السؤال هو أن يوقظك ويرجعك إلى جوهر الذات.

عندما يبدأ جوهر الذات بالبزوغ أمامك، كوعي خالص، فسترى أنّك أكبر من الجسد الفيزيائي، بل سترى جسدك في كلّ تعابير الحياة، فالعالَم أجمع يُصبِح جسدك. وعلى هذا المستوى من اليقين، سترى أنّ رفضك لأيٍّ من تعابير الحياة بالحُكم، هو رفض لجسدك، رفض لذاتك، رفض للحياة كاملة، وهي واحد، وهذا سرّنا الصغير.

رفضك لأيّ تعابير الحياة بالأحكام، هو رفض للحياة كاملة.

فكن ذكيًّا، وأعطِ لنَفْسِك المجال للنظر ما وراء أفكار الحُكم الرافضة، وبهذه الفُسحة ستلتقي مع ما رَفَضْتَّ في العُمق، لترى الوحدة مع الحياة. فكلّ ما ترفضه بالخارج - أو ما يُخيَّل لك أنّه بالخارج- هو رفضٌ للذات.

وفي هذا الرفض تجلُّط للطاقة، وانسداد لتيار الحياة، وهذا هو المعاكس للتعبير الكامل عن الذات.

وأذكر المرّة الأولى التي وصلتني فيها هذه المعرفة بالعمق، كنتُ على حافّة الطريق أنتظر إشارة المارة لتأذن بالسير، ومقابلي كان رَجلٌ آخرُ ينتظر. عندها بدأ ذهني بالحُكم عليه، وعلى طريقة ملبسه بأنّها ليست «رجوليّة»، وفي خِضَمِّ هذه الأحكام عادت اليَقَظَة فجأة لنفسي، لأرى الحياة كَمَدارات طاقيّة لا منتهية، تعمل كشبكة واحدة من الأوردة التي تسري

في جسد الوجود، والحُكم على أيٍّ عنصر من عناصر الحياة، هو انسداد للطاقة االمتدفّقة في ذلك الجسد. عندها تبخر الحكم من ذهني، والتقيتُ بما كُنتُ أحْكم عليه في داخلي، لتتحرّر الطاقة، وتسري من جديد، عندها وُلِدَ مفهومٌ جديدٌ للرجولة في بدني تعدّى قفص الرجولة المبرمج.

فكلّ مكان زَجَجْتَ به بِحُكم على نَفْسِك أو الآخَر - أو بالأحرى وهم الآخر- هو قَيْدٌ لك، وساتر لأسرار تُخبِّئُها وراء بوّابة الحُكم، فتيقن ولا تكن كالعامة في الأحكام. فالشخص العادي، فيُفضّل العمى على أن يرى خَلْفَ بوّابة الحُكم؛ لأنّه حينها سيُواجِه أَلَمَ الفكرة المغلوطة التي مفادها: «أنا رافض لذاتي». ولكن كيف لك أنْ تستقبل أسرار الحياة، وتُعيدَ تدفقها إلى أعضائك كافّة، إنْ لمْ تُنبِت فيك الشجاعة لتواجه أَلَمَ ما هو مغلوطٌ من الأفكار، وترى ما هو أصيل منها؟

فتخيّل أنّ الحياة طاقة متدفّقة في كافّة الاتجاهات، والحُكم هو خَنقٌ لتدفّق هذه الطاقة، وبهذا، فإن كلّ حُكم صغير تَحمِلُه يخبّئ خَلْفَهُ فرصة جديدة لتحرير طاقة تعبير مُتعثّر في وعيك. وفي هذا التحرير، سترى روحًا جديدة تدُبُّ فيك، وفيها أفكارٌ غَيْرُ معهودة، وإلهامات خفيّة، فكلّها تنتظرك أن تتخلّى عن رخَصِ الأحكام، وتفتح البوّابة لِما كان، وسيبقى أثمن.

ولا نقصد هنا أن تحارب أحكامك أو تنكرها، أو حتى تحاول التحَكّم بها، فهذه مهمّة شِبه مستحيلة؛ لأنّ نظام الخوف سيستمر بإطلاقها، ولكن ما ننادي به هنا هو التدريب المستمر للتيقظ لها، وليس إيقافها. التيقظ لمصدر الأحكام، وهو نظام الخوف الرافض لذاته، لتحوِّل أحكامك حينها لفرصة لتمكين الذات بالحُبِّ والتقبّل، وبالقول لِمَا تَحْكُم عليه: أنا أحُبّك وأقبلك كما أنت الآن، وحتى أقبل الجزء الرافض لك، لتحيد بهذا التقبل المزدوج مقاومة نظام الخوف.

وبهذه اليَقَظَة من الأحكام ستمشي في طريق الحرية، وهنا يتجلّى لك بوضوح مدى صدق رغبتك في التعبير الصادق عن نفسك، من زيفها.

فهل أنت جادٌّ في سَلك هذا الطريق؟

قبل أن تجيب بنعم أو لا، وَجَبَت معرفتك لمطلب هذا الطريق، فهل أنت جاهز لمعرفته؟

متأكد...

يعني أنْ ترى السارق والإرهابي هما أنت، نعم أنت! وأيضًا القدّيس، وأنبل النبلاء هما أنت، فلا تستطيع أن تختار واحدًا، وترفض الآخر.

وإن أردنا أن نوضح الصورة بطريقة أخرى، تذكّر أنّ السارق ما هو إلَّا تعبير عن وعي القلّة فيك، والإرهابي هو تعبير عن وعي الخوف فيك، وفي أشدّ صوره. والقدّيس

والنبيل، ما هما إلّا تعابير عن وعي الشموليّة والحُب والحِكمة، وهذا الوعي موجودٌ فيك الآن أيضًا، أو كما قالها في قمّة الروعة الشاعر الروحي جبران خليل جُبران: «طالما سَمِعْتُكُم تتحدثون عمَّن يرتكب جُرمًا وكأنّه ليس واحدًا منكم، بل هو غريبٌ عنكم ودخيلٌ مُقْحَمْ على دنياكم، ولكنّني أقول إنّه كما يعجز الصالحون والأبرار عن السُّمُوّ عمّا هو الأسمى في كلّ واحد منكم، وكذلك الأشرار، وضعاف النفس لا يمكنهم أن ينحدروا أدنى ممّا هو الأدنى فيكم».

فكيف لك أن ترفض تعبيرًا من تعابير الحياة، دون رفضها كاملة؟ هذا هو الرفض للذات، والقتل للتعبير، وهذا طريق الفقر بعينه، ولا نعني هنا أنْ تَقْبَل العنصريّة والسرقة والإرهاب وكأنّها شيءٌ جميل، ولكن ندعو أن تَنظرَ إليهم كما هم: أفكار بداخلك، وإن أردت تغييرها، فلا تغيّرها بالخارج، بل غيّرها من داخلك، عن طريق احتضانها إلى المكان الذي انحازت عنه، وهو حُضن الحياة الحنون داخل قلبك، فاحتضنها إلى قلبك.

نعم افتح قلبك للجزء الذي تَحْكم عليه، وأعْطِهِ الحُبَّ الآن؛ لأنّ هذا ما يبحث عنه.

عندما تَحْكُم، انقل هذا الجزء المرفوض من داخلك إلى قلبك، وغذِّهِ بالحُب ليذوب في سلطان القلب، ووحدته الكاملة.

وعندها ستتّسع دائرة التعاطف عندك، ليتّسع معها الفَهم

العميق لمحركات السلوك البشريّة، وترى أنّ كلّ سلوك في الكون يأتي في أعماقه من محرك إيجابي، وإنْ لم يَبْدُ كذلك في ظاهره.

فتذكّر أنّ كلّ سلوك إمّا تعبيرٌ عن الحُب أو البحث عنه، «فالعنصري» وإن وصل إلى مرحلة الإرهاب، فهو ليس إلّا باحثًا عن الحُب، ولكنَّ منظومته الفكريّة المشتَّتة، تَقُصُّ عليه بسذاجة أنّه بهذا العمل سيكسب الجنّة. وما الجنّة، إنْ لم تكن الذوبان في أحضان الحُب الواحد...

وأرجوك ألّا تنظر إلى ما قيل على أنه ضربٌ من الانصياع، أو يُخيَّل لك أنّ التقبّل هو رديف الضعف والهوان، فالكتاب وإن سعى، يسعى لإيقاظ شجاعتك الرهيبة، لتُتَرجِمَ مفهوم القوّة والتغيير على حقيقتهما. فالتقبّل للذات ليس فيه الانصياع، أو الإيجابية العمياء، ولكن فيه الفهم المتجذِّر بأنّ التغيير يبدأ من الداخل، وبهذا الفهم ستزأر بقوّتك الكاملة، لتكون قوّة تغيير في العالم.

ولكن، كيف لك أن تَفعَل ذلك وأنت قابعٌ في جهل رفض الذات، وإسقاط الأحكام على الخارج؟ فما نرفضه لا نفهمه، ولا نُدرك مكنوناته، ولا نكشفه إلى عين النور، فلا يجري تفريغه من شحنته العاطفيّة، ولا يتحرّك تلقائيًّا إلى الأفضل، وهذا سرّنا الصغير.

ما نَحْكُم عليه لا نفهمه، ولا نستطيع تغييره.

وإن كنتَ لا تزال تشكّك بتأثير التقبّل على التغيير، فتذكّر ما فعله غاندي، القائد الروحي للهند الذي حرّرها من قرابة ٢٠٠ عامٍ من الانتداب البريطاني، ومن دون استعمال طلقة واحدة، ولماذا يلجأ للعنف؟ وهو لديه أقوى سلاح في الكون: سلاح الحب وتقبّل الذات.

وبذلك قاد غاندي شعبه من وعي الضحيّة المنغرس إلى الاستقلالية، محرّرًا إيّاهم من حُكم «المظلوم» الذي ابتلعوه من جهة، وحُكم «الظالم» الذي كانوا يسقَطْونه على الانتداب البريطاني من جهة أخرى، ليترقَّى وعيهم ما بعد دائرة الظالم والمظلوم. وهكذا انجلت هذه الأوهام من الوعي، ليسطع التقبّل الأصيل بشكلّ الحياد الطاقي، ومن هنا وُلِدَتْ الاستراتيجية المناسبة للتعامل مع الموقف، ليس من ضعف، بل من قوّة كاملة؛ لأنّ تقبّل الذات هو القوّة العظمى.

فوحده الشجاع مَنْ يطيح بالأحكام التقليديّة، ليرى فضاء الشموليّة خلفها، ويعي أنّ الحياة فيها تقبّلٌ ضمنيٌّ على كلّ أشكالها، وإن كان هذا يعني الاحتلال والحروب! فإن وُجد الشيء فهو مقبول أصلًا، ورفضك لذلك هو رفض لرغبة الحياة نفسها، وجهل بالحقيقة الكاملة، بأنّ الحياة تعمل للخير دائمًا وأبدًا (نتكلم هنا عن الخير الذي يتعدى ازدواجية الخير والشر). فحتّى الحرب قد تكشف للذهن الإنساني الصراعات

التي تقَطْن فيه، عَلّهم بهذا الكشف يسلكون منحًى آخر، ويختارون خيارات أفضل.
فكن الشجاع الذي إذا ارتفعت صرخة الرفض أمامه، اختار أن يَصمت، ويسمع ما وراءها، وعندها سترى أنّه خَلفَ الحضارات، والأديان، واللغات، تقَطْن روحٌ واحدةٌ تُعبّر عن نفسها بأشكال فريدة، لترى وبهذه الاختلافات روعة، لا مَدعَاة للرعب والتقسيم. فهكذا يرى قلبك الحياة كما هي: روح واحدة تُعبّر عن نفسها بصور فريدة.
وفي هذه المعرفة ستذوب الأخطاء الفكريّة، وتُشَلّ أشكال القيود كافّة من ذهنك، ليتّقد منك لهيب القدرة الفتاكة على التغيير، فالتغيير يبدأ من داخلك الآن.
للتذكير:
* الأحكام كبت التعبير الخالص عن ذاتك.
* االطريقة الأمثل للتخلص من الأحكام هي الفهم الشمولي لضررها في نفسك.
* خلف كلّ حكم يتجلّى ألمُ رفض الذات.
في داخلك يسكن كلّ مستويات الوعي وأفكارها، إن لم تقيّد نفسك بالأحكام.
أسئلة للتفكر:
ماذا سيحدث إن تخلّيت عن أكثر ما أحكم عليه الآن؟
ما القصة التي أرويها داخل نفسي لأبقي على هذا الحكم؟

كيف يكون العالم إن خلا من الأحكام؟
كيف ستكون العلاقات الإنسانية إن خلت من الأحكام؟

التغيير يبدأ من الداخل

السبب الرئيسي لكل التعقيدات الذهنيَّة هو الفهم المغلوط لعملية التغيير، فَنَصِفُه بأنّه عمليّة صعبة ومعقّدة، وتتطلب الكثير من الجهد والتمحيص والتدبير. ولكن هذا لا يمثّل الصورة الحقيقية بتاتًا، فالتغيير عمليّة بسيطة، وليس هذا وحسب، بل هي جزء من الطبيعة الكونيّة، فكلّ عُنصر في الكون في حالة تغير وتَحرُّك مستمرة، إلّا القوانين الثابتة التي تَحْكُم أركان الحياة وأنظمتها.

فبهذه اللحظة بالذات أفكارك تتغيّر، ومعها خبرتك الشخصيّة، وخلاياك أيضًا تتغيَّر وتتجدّد، وحتى الكون نفسه يتغيّر، ويتّسع بسرعة تقارب ٦٨ كيلومترًا في الثانية. الكون في حالة تغيُّر مستمرة، ونحن جزء لا يتجزأ من هذه الطاقة الديناميكيَّة، إلّا إذا كان لدى نظام الخوف فيك قِصّة أُخرى يرويها، وعادة ما تكون هذه القصة متحجّرة، وملتصقة بالمعروف المكرّر، ولاعِنَة للتغيير، وكلّ من يتغير.

هناك برمجة جمعية تنصُّ على لعن التغيير، حتّى أنّه عندما كان يسافر شخص إلى خارج الأردن ويرجع، كنّا نتّهمه في كثير من الأحيان بِجُنحَة التغيير، وكأنّ فيها نوعًا من العار، وبذلك تربيتُ واهمًا على سلبيّة التغيير، وجمود الشخصيّة، وأعتقد أنّك على الأرجح تربّيتَ على هذا المفهوم الخاطئ

أيضًا. ولكن عندما تُدرك لعبة التغيير كما هي، وتُدرك مدخلاتها، سترى أنّها عمليّة مستمرّة استمرار الحياة ذاتها، وبمقاومتك لها مقاومة لروح الحياة المتجدّدة.

وكما يتَّسم التغيير بسِمَةِ الاستمرارية، فهو أيضًا عمليّة داخليّة مئة بالمئة، والسبب في ذلك أن المكان الذي يَنبع منه التغيير هو أنت؛ لأنّك أنت مصدر الواقع الذي تعيشه، فالواقع الذي تراه، أو تسمعه، أو تحسّه يسطع من داخلك، وكيف يكون غير ذلك والواقع هو مُرَكَّبك الفكري. وفي هذه المعرفة «الواقعية» تَكمُن الحريّة كاملة؛ لأنّك لا تحتاج حينها أن يتغيّر أيّ شيءٍ من الخارج، حتى يتغيّر واقعك، وهذا سرّنا الصغير.

عمليّة تغيير الواقع داخلية مئة بالمئة.

وللتأكيد على هذا المبدأ، دعنا نطبّقه على مثال فيه تحدٍّ كبير، مثال في غاية التطرّف، بحيث يبدو فيه تغيير الواقع من الداخل بالمهمّة المستحيلة، ألا وهو الحدود بين الدول.

كيف لك أن تغيّر «واقع» الحدود حول العالم من داخلك، الآن؟

يبدأ التغيير بالتذكّر أن خارطة العالم، وأسماء البلاد والقارات الحالية وُلدت مع ولادة «فكرة»- فشخص ما- بوقت سابق وأجندة خاصة، «فَكَّر» أن يرسم خطًّا في مكان معيّن، ويسمّي الجزء على يمين الخط باسم، والجزء على

يساره باسم آخر. ولكنّنا نسينا أن كلّ هذه أفكار وليدة نقطة معينة في دوائر الزمان، وأصبحنا نراها حقيقة لا جدال فيها، وسمَّيْناها بعد ذلك بالواقع.

ولكن إن أخذت صاروخًا، وانطلقتَ بسرعة كبيرة إلى الفضاء، فسترى أنّ هذه الحدود وهمية، ووُلِدتْ مع ولادة أفكار التقسيم، ومعها وُلِدَ الخوف، والصراع، والحروب مع «البلاد الأخرى»، وهذه الأخرى وهم.

وإنْ أردتَّ أن تُنهيَ كلّ الحدود، والتفرقة في العالم، فالحلّ يبدأ منك، بتعدّيها من داخلك، لاستنباط وحدة الوجود. إن روح نفسك صافية ونيّرة، وتخلو من أشكال التقسيم والأحكام كافّة؛ لأنّها لم ولن تُصدّق أفكار التقسيم، أو تتبنّاها، وليس المقصد هنا أن تلعن البلاد والحضارات، ولا أن تُحتقّر التقسيم، فهو له مكانه في التنظيم والتعايش، ولكنّ المطلب أنْ تستيقظ لِمَا بَعدَ أفكار التقسيم، فخلف أفكار التقسيم تسكن روح الحياة الواحدة.

منْ لَمَسَ روح الوحدة في داخله، تَحّوَّل عالَمه إلى واحد، وتَحَوّل كَوْنهُ كُلّه إلى واحد، لا بل تَحَوَّل «المكوِّن» لكونه إلى واحد، وهذا التغيُّر الجذري يحصل فقَطْ من الداخل، ومن دون أيِّ تغيير في الخارج. فواقع الوحدة، والنور موجود الآن فيك كاحتمالية متوفرة، يمكنك التعبير عنها،؛ ولهذا السبب بالذات لا أرى رسالة كن أنت بالصعبة، وهي خلق واقع

الوحدة والسلام على الكوكب؛ لأن كلّ ما يتطلبه هذا الكوكب النقي، هو أن يَلمس الشخص نقاء الوحدة في داخله، وعندها سيُنَقَّى كوكبه من الأحكام والحدود فورًا، وينفجر بركان التعبير الأعلى من روحه.

هذا لا يعني طبعًا أنك ستخترق إجراءات الانفصال على ماديّة الأرض، ولا يعني أنك ستذهب إلى دولة ينبغي فيها تحصيل الفيزا، وتقول لهم إني أريد الدخول الآن لأنّنا واحد! طبعًا ستخوض الإجراءات الروتينيّة، ولكن لا تجعل من الأوراق الرسميّة حصنًا لوعيك. فداخل فضاء ذاتك لا وصيَّ عليك ولا قيود تحكمك، ولك أن تُبقِيَ تركيزك على فضاء الوحدة، وإن خَلَتْ التجلّيات الفيزيائيّة للوعي الجمعي من علامات الوحدة.

فالتغيير على مستوى الذهن يأخذ لحظة إذن، وكلّ ما يتطلبه هو مستوى جديد من الوعي، تولد معه نوعيّة تفكير جديدة، لتحمل معها واقعًا جديدًا، وهذه الأفكار الجديدة سترتقي تلقائيًّا من داخلك، عندما تتوقف عن التمسك بطرق التفكير القديمة، فهذه سُنّة الحياة. وهكذا تغدو معادلة التغيير في نفسك بالبسيطة، بل البسيطة جدًّا، وكلّ ما تتطلبه هو فكرة جديدة، وهذا سرّنا الصغير.

فكرة جديدة توازي واقعًا جديدًا.

وبعد خبرة الواقع الجديد، تأتي مرحلة التجسيد، أي تجسيد طاقة الواقع المرغوب فيه داخل العالم الفيزيائي، وهذا قد يَأخذ الوقت، حتّى يتأقلم جسدك مع التردّد الطاقي الجديد للواقع المرغوب، وينحاز التجلّي المادي بهذا الاتجاه. وإن كان ما تريد تَغييره في عالم المادة يقطنه وعيٌ جمْعِيٌّ مبرمج، فلك أن تقود حملة تغيير بهذا الاتجاه، والتي تبدأ أيضًا بتجسيدك الذاتي لمستوى الوعي الجديد.

فمثلا «مارتن لوثر كنج Martin Luther King» قائد الوحدة على التميز العنصري، بدأ الحملة بالكشف داخل نفسه أن «الأبيض» و»الأسود» هما وُصوف فكريّة خلقها الذهن المبرمج، فتعدَّاها من داخله، ثم قام بقيادة الجُموع لتعدّي هذا الوهم من داخلهم أيضًا، ليتجلّى مع هذه الحملة قوانين، واستراتيجيات جديدة تحفز الوحدة بين البشر.

ومهما كان الذي تريد تغييره، فلا تجسيد أهمّ من تجسيد واقع الحُب والوحدة على الأرض؛ لهذا أسعى كلّ لحظة أن أجسّد الحُب والوحدة في خلاياي الآن، فأجسّده بطاقتي، وعواطفي، ومنظوري، وإخلاصي للمشاركة، والعطاء، أجسده بتعدِّي الأحكام، أجسّده بخيارات الذات الأصلية لحظة بلحظة، وفي كل نواحي الحياة، أجسّده بمجتمع كن أنت الذي أبنيه وأكبّره. فإن كانت كلّ العوالم متاحة لي الآن، فإني أختار العالم الحُر، العالم الذي خلا من الأحكام، ليعبّر فيه الشخص عن حقيقته

الكاملة من دون خوف، أو زيف. وهذا العالم ساكن في بُعدِ القلب عندي في هذه اللحظة، في بُعد «الآن»، فهل سترتقي معي لهذا البُعد، لنجسّد هذا العالم سويًّا؟

وقد تكون إجابتك نعم، وقد تحس بالحماسة اللحظيّة؛ لأنّك لمستَ شيئًا من بساطة التغيير وسلاسته هنا، ولكن قد يعود ذهنك بعدها ليقول: «إن كانت معادلة التغيير بهذه البساطة، فلماذا نتشبّث بالواقع؟»، والإجابة حاضرة تمامًا بالسؤال، وهي التشبّث. نعم، التشبّث بِطرقِ التفكير القديمة نفسها؛ لإثبات صحّة أفكارنا، وصحة النسل الذي تبنّاها قبلنا. ولكن عندما يَنضج فيك الوعي، سترى أنّ الصحة والخطأ هما سجن، وستفقد بعدها قُضبانُه الحديدية جاذبيّتها بالنسبة لك.

وهكذا سترتقي من سجن الصحة والخطأ، إلى احتماليّات الحياة اللّامحدودة في التفكير والتعبير، وعندها ستّتضح رؤيتك وتتبلور، لترى أن مصادر الحياة كافّة، كانت وما زالت، وستبقى لا محدودة، ومسخّرة لك الآن؛ لأنّ سيد المصادر كلّها متاح لك الآن؛ وهو المادّة المشكلِّة لجميع الأفكار في الكون، مادّة الفِكر الابتكاريّة. هي مادّة روحيّة خلّاقة لا محدودة، وفيها حدود التغيير لا محدودة، فكما قُلنا من قبل، كلّ شيء يبدأ على مستوى الأفكار كالعمارة، والتليفون وغيرها.

وعلى عُمق هذا النقاش، إلّا أنّه لا يلمس إلّا السطحيّة من وفرة الأفكار، فهل أنت جاهز لنتعمق في هذا الحوار أكثر؟ إن كانت إجابتك بنعم، فتأمَّل بالتالي:

الأفكار لا تختزل بالأفكارالتي تسطع في رأسك، بل هي العنصر المحرِّك لجميع أركان الكون، فقلبُك
ينبض بالأفكار، والنباتات تتحرّك باتّجاه الشمس بالأفكار، والنهر ينساب على الأرض بالأفكار. فلك أن تتخيّل الأفكار كالمعلومات التي تسري في عروق الحياة.

نعم كلّ شيء يعمل بالأفكار، سواءً الواعي، أو غير الواعي لها، وحتى الكلمات التي تراها أمامك الآن هي من محتوياتك الفكرية؛ لأن حواسك الخمسة تتفعل بالأفكار أيضًا. وحتى «أنت» بدأت كفكرة في قلب الخالق، وعند إدراكك لهذا السر الدفين، سترى مادّة الفكر المكوّنة لكل الأفكار على أنها أهم عنصر في الوجود؛ لأنّها لغة التكوين، وهذا سرنا الصغير. الفكر هو لغة التكوين.

نعم الفكر هو أهمُّ من الألماس والذهب والعاج، فكلّ هذه العناصر أتت من رحم الفكر؛ لأن الفكر هو العنصر الابتكاري الأول، ولهذا سُمِّيَ بعلم الخيمياء بالمادة الأولى (Prima Materia) الفكر هو الجسر بين المستور، والمنظور، وهو الروح المشكلّة للواقع، الفكر هو أساس

التغيير، وهو لغة التكوين في الحياة، فروح الحياة تفكر، ويحصل الخلق فورًا.

ولكن، من الممكن أن تتساءل الآن: « ما الفارق بين الفكر والأفكار؟».

بالأصل هما واحد، ولكن نُطلق مسمّى الفكر على المادّة المكوّنة للأفكار، هي مادة روحيّة خالصة؛ لذلك فيها صفة الوفرة، والخلود حاضرة. لذلك، فإنّ أيّة فكرة قد فكّر فيها أيّ مخلوق، أو سيُفكِّر فيها أيّ مخلوق في أيّ زمان أو مكان، هي فكرة متاحة لك في هذه اللحظة؛ لأنَّ المادة المكوِّنة للأفكار متاحة لك في كلّ لحظة.

فَلَكَ أن تتخيَّل الفكر كالصلصال، والأفكار كالأشكال التي يتّخذها الصلصال.

فكلّ فكرة تخرج من الفكر هي تجسيد لواقع جديد...

ولكن الأفكار وحدها ليست القِصّة الكاملة لتشكيل الواقع؛ لأنّ الأفكار من دون النور تبقى ميتة، وهنا يأتي دَوْر الإدراك.

الإدراك هو النور الذي يُحوّل الأفكار إلى خبرة ملموسة ومحسوسة، ومن دونه الأفكار غير قادرة على التعبير عن ذاتها؛ لذلك إنْ فَقَدَ الشخص الإدراك بالغيبوبة، فهو غير قادر على اختبار المحتويات الفكرية التي تتحرَّك في مجاله الطاقي؛ لأنّه ليس هناك إدراك.

ولكن حتّى تُزاوج الأفكار والإدراك معًا، لا يَنسِج القصّة الكامة للواقع، فلا بُدّ أن تكون هناك قوّة كونيّة مفعِّلة للأفكار، والإدراك، حتى توجد وتعمل، وهذه القوّة هي مصدر الطاقة، وهي خالدة الوجود: الوعي المطلق. وهذه هي المبادئ الثلاثة المسؤولة عن تشكيل خبرة «الواقع» لأيّ مخلوق في الحياة: الفكر، ونور الإدراك، والوعي.

هؤلاء هم الهرم التكويني للخبرات كافّة، ومن هذا الهرم المقدس تخرج أشكال الخليقة كلها من البلاد، والمجتمعات، والكواكب، والنجوم، والمجرّات و و و...، وبِتَعَمُّق فهمك لهذا الهرم، سيتعمَّق فهم ذاتك، وذات الحياة، وهي واحدة. فبالعُمق هناك فكرٌ واحدٌ لا محدود، وإدراك واحدٌ لا محدود، ووعي واحدٌ لا محدود.

وهذا الفهم ليس كالفهم الكلاسيكي لمادة الرياضيات، أو غيرها، بل هو فهمٌ قلبِّي يتعمّق بأحاسيس الحُب والسكون من فضائك القلبيّ، وهناك ستتذكر كيفيّة تشكيل الواقع، هناك سترى أن التكوين هو خطوة واحدة من المستور إلى المنظور، وعندها ستعرف أنّك المسؤول عن تشكيل واقعك. وبهذا، فأنت المسؤول عن سعادتك، وعن تعاستك؛ لأنّ واقعك من داخلك، أو بصورة أكثر بساطةً وعمليّة، أنت تعيش، وتختبر، وتحسّ أفكارك، وليس العالم الخارجي.

وإن أردت التعمّق في دواخل الخبرة الكونيّة، وفي ضِمْنِيّتها الخبرة الإنسانية، والمبادئ الثلاثة المكوّنة لها - وأنا أنصحك بفعل ذلك - فلك أن تبحث عن أحد الأشخاص، ذلك الذي اتّضَحَتْ له هذه الحِكمة بعمق، وهو «سيدني بانكس Sydney Banks»، الذي شارك هذا المبادئ الثلاثة مع آلاف الناس في حياته؛ ولأنّ الكثير من المعلمين حملوا هذا الفهم بعد بانكس، فالمبادئ الثلاثة الآن كَكُرة الثلج في تزايد مستمر، وأثرُ هذا الفهم على حياة الشخص الجاهز له، كالقوّة الصاعقة. فلقد رأيتُ أشخاصًا من مختلف الخلفيّات تنقلب حياتهم رأسًا على عقب، عندما يتذكّرون كيفيّة تشكيل الخبرة الإنسانيّة، وأنا منهم.

في الوقت الحالي، وبعد تعمّق بحثي الروحي والعلمي، فهمت أن المبادئ الثلاثة هي ليست بالاكتشاف الجديد، وإنما هي ما ارتكزت عليه علوم الخيمياء قبل آلاف السنين، ولكن الجميل بالمبادئ الثلاثه أنها أعطت تفسيرًا سيكولوجِيًّا بسيطًا، ومتوافقًا مع ذهنية الشخص المُتمدّن الآن. حيث إن فهم الخيمياء- وحتى لو على سطحيّتها- يحتاج إلى عمق رهيب، وارشاد، وبحثٍ داخليٍّ، وخارجِيٍّ متواصل لفكّ رموزالخيمياء والولوج إلى تيّارات هذا العلم السرّي، والذي قد يُثقل ذهن الشخص غير المدرّب. ولهذا السبب بالذات

استحدثتُ معسكر خيمياء الروحيّ كجزء من أكاديمية كن أنت، لتدريس الخيمياء بطريقة متناسبة مع غالبيّة الناس.

وبالعودة للمبادئ الثلاثة، ولتوضيحها بطريقة عمليّة، تخيَّل أنّك تجلس في سينما، وأنّ جهاز العرض الذي يُسقَطْ الصورة على الشاشة هو نور الإدراك، وأمّا الشريط الذي يوضع في الجهاز، فهو الأفكار (المحتويات الفكرية)، والكهرباء التي يعمل عليها الجهاز هي الوعي الخالص. تخيّل الآن أن ما يَظهر على الشاشة هو الواقع، وهو خبرتك الخاصّة للحياة، ولكن بَدَلَ أنْ تكون الشاشة ثنائيّة الأبعاد، فهي في كلّ الأبعاد.

ولكن كيف سيفيدك هذا التشبيه؟

هل تَذكُر مشاهدتك لفيلم في صالة السينما، ليظهَرَ مقطَع مخيف، فتُذكَّر نَفْسَك أنّه مجرّد فيلم؟ على الأغلب أنّ إحساس الخوف من جسدك لم يختفِ، ولكنّك أحسست بالأمان الراسخ في داخلك؛ لأنّك عرفت أنّه مجرّد فيلم؛ لذلك أَتَحْتَ لنَفْسِك الفرصة لأن تختبر الإحساس كما هو. في هذا النوع من الخبرة تتجلّى أصل اللّذّة، باختبار عدم الأمان في فضاء الأمان الداخلي، هذه اللّذّة نفسها تجدها في الحياة، عندما تعرف أن الأحاسيس التي تسمّيها بالمخيفة، أو المؤلمة، أو السلبيّة، ما هي إلّا خبرة أفكار لحظيّة، يُسقِطُها الإدراك على شاشة السينما، ولك أن تتلذّذ بها.

هذا هو كود الطمأنينة الكاملة التي يبحث عنها كلّ إنسان على وجه الأرض، أن يعرف أنّه «تمام» مهما حدث. فأنت لست الأفكار التي تختبرها ولا أحاسيسها، وإنّما فضاء الوعي الآمن الذي تُختبر فيه كلّ الأفكار، وينيرها الإدراك؛ لذلك قال لنا بانكس: «إذا أردت تعلُّم شيءٍ واحد في الحياة، فهو ألّا تخاف من خبرتك الإنسانيّة مهما كانت، هذا وحده سيغيّر العالم».

المغزى، أنّك عندما تعرف أنّ أحاسيس عدم الأمان هي نتاج الأفكار، وليس العالم الخارجي، ستستريح، وتلمس ما خَلْفَ الخبرة اللحظيّة، وهذه هي الطمأنينة، وغير ذلك ستظن أنّ مسبّب الرعب هو من الخارج، وستحاول التخلّص منه لتستريح. فتخيّل أنّه كلّما أصيب شخص بالخوف في السينما، ركض إلى الشاشة ليمزقها، قد يكون هذا التشبيه غريبًا، ولكن هذا ما تفعله البشريّة بالضبط، بسبب الفهم الخاطئ للخبرة الإنسانيّة.

وهناك ستعرف أنّك إن لم تحب الفيلم الذي تشاهده على الشاشة، فأنت لا تحتاج إلى لعن الشاشة أو تمزيقها، فهي فقَطْ شاشة، وإنّما قد تراقبه بفضول وحياد، أو لك أن تغيّر شريط الأفكار الذي تختاره، أو حتى الأفضل من ذلك أن تُعطي يد الحياة الحكيمة، الفرصة لاختيار الشريط المناسب من خزانة الأفكار اللّا محدودة في داخلك.

وبهذه المعرفة، سيتبخّر وَهمُ التغيير الخارجي تدريجيًا من نفسك، لتنتقل لعبة حياتك إلى مرحلة جديدة، فاللعبة هنا أصبحت داخليّة، وقوانينها داخليّة، أو للدّقّة، تستذكر أن اللعبة كانت وما زالت داخليّة. في ذلك مذاق جديد للحريّة والاستمتاع، وكيف لا تكون الحال كذلك، والحياة في أصلها لعبة روحيّة.

هنا ستستطيع الولوج لمستوياتٍ جديدةٍ في لعبة الحياة الروحية، وسيندمج إدراكك بوعيك الأصيل، لتستنير ذاتك أمامك، فتراها كما هي: فضاء من الوعي الخالص، يتغلغل فيه قوة الفكر الخلاَقة. أو بصورة
أبسط، أنت قوة روحية خلاَقة تعيش على الأرض. بهذا ستعرف أنّك لا تحتاج أن يتغيّر الأشخاص، أو البلدان، أو الحكومات، حتى تتغيّر خبرتك من التعاسة إلى السلام، ومن الخوف إلى الحُب، ومن الفقر إلى الوفرة، فالعمليّة داخليّة بحتة بينك وبين نَفْسِك.

والجهل بالذات الأصيلة وفضائها اللّا محدود، هو سبب المعاناة عند الناس، ليس هذا فحسب، بل هو سبب المشكلّة الرئيسية، التي تؤرّق الكثير من العلماء. فالكثير من العلوم التقليديّة، ولجهلها بالذات الأصيلة، تبحث حتى هذه اللحظة عن مصدر الوعي من داخل العقل، ولكن هذا المنحى المحدود في البحث، لن يُنتِج إلّا الإحباط؛ لأنّ العقل ليس

المصدر، وإنّما العقل هو الأداة البيولوجيّة التي تُحمِل الأفكار.

فتخيّل أنّ هناك مكتبة كونيّة واحدة، فيها كلّ أفكار الكون متاحة، ونحن نُحمِّل منها معلومات معينة على «ذاكرة متنقلة USB» لنضعه في فوهة دماغنا، فيُسقِط بعدها الصورة للخارج لنسمّيها بالواقع. ومن الجميل أنّ الكثير من العلماء، وخصوصًا مَن عندهم اتصال روحي عميق، بدؤوا الصحوة لهذه المعرفة، وقريبًا سنرى ثورة في العلم، عندما يَكتشف العلماء أنّ قوّة الفكر الروحيّة، وهي التي تحرِّك العقل، لا محدودة، لا مرئيّة، وخالدة.

فإن كانت قوّة الفكر لا محدودة، لا مرئيّة، وخالدة، والدماغ هو الجهاز الذكي الذي يُحمّل ما شئت من المحتويات الفكريّة، فالسؤال الذي يبقى عليك سؤاله، ليس عن صحة الأفكار التي تحملها، بل هل أفكارك في هذه اللحظة تخدم تطورك أم لا؟

وعلى بساطة السؤال، فإنّه يحتاج إلى مهارة في التمييز؛ لترى إن كانت الأفكار تخدمك أم لا، هذا لأنّ الكثير من الأفكار المدمّرة، تُغلّف نفسها برداء القدسيّة، ومن أشهرها أفكار العادات والتقاليد. ولنزع رداء القدسيّة عن هذه البرمجيات الفكريّة، انظر إليها بعيون الحياد، وستفعل ذلك بالنظر إلى إحساس الأفكار، وليس مضمونها، وهذا سرّنا الصغير.

لتمييز نوعيّة الأفكار، انظر إلى إحساسها في جسدك وليس مضمونها.

فالإحساس هو خادمك الأمين، وهو أكثر التكنولوجيات الروحيّة تطوّرًا، فإنه الذي لا يَكذِب عليك عن نوعيّة الأفكار، فإن كان إحساسك هو الغضب، أو النقص، أو الاستضعاف، فالأفكار التي تشكلّ هذا الإحساس هي أفكار غاضبة، مُنقصة، مُستضعَفَة.

على سبيل المثال: فإنّ إحدى العادات التي تربّيت عليها في الأردن، هي أن تَصمت عندما يتكلّم من هو أكبر منك سنًّا. وإن نظرتَ إلى هذه الفكرة من منطلق الصحّة أو الخطأ، ستميل عاطفيًّا إلى صحّتها، وحتى قدسيّتها، ولكن إن نظرت إلى إحساس الفكرة بصدق، فسترى أن هذه الفكرة فيها إحساس الاستضعاف، وهذا يعني إنّها لا تتناغم مع قوّتك الأصيّلة، وتعبيرك الحر.

وبكشف نوعيّة الأفكار باستعمال تكنولوجيا الإحساس، ستكون قادرًا على التخلّي عنها بسرعة أكبر؛ لأنّك ستراها كما هي: مجرّد فكرة لا تخدمك، دون تغليفها بالقدسيّة، أو تحريمها عن السؤال. فحتى لو كان عمر الفكرة ملايين السنين، وعُبِدَت من كثير من البشر على مدى السنين، ومن ضمنهم مُجتمعك وعائلتك، فهذا لا يعني أنّ عليك تصديقها.

إحساسك هو الفيصل، إن كان إحساس الفكرة بعيدًا عن إحساس القوّة والحُب والعظمة، فلماذا تتشبث بها؟!

وهذا يطبّق على كثير من المعتقدات التي نحملها في حياتنا، ظانّين أنّها حقائق مُطلقة، وهي مجرّد أفكار.

فالمعتقد هو فكرة صُدِّقت وكرّرت، ليس إلَّا، وتحوّلت هذه الفكرة بعدها لطاقة عاطفية تخزَّن داخل جسدك لتوفير الطاقة، وهذه التقنيَّة مفيدة لتعلّم مهارة جديدة كقيادة السيارات وغيرها، لكَي لا تعيد التفكير نفسه كلّ مرة، فتحوّله إلى برمجة عاطفيّة، ولكن هذه التقنيَّة التي يستعملها الدماغ، ليست مفيدة عندما يأتي الأمر للمعتقدات التي ننسخها جيلًا بعد جيل كحقيقة مُصنَّمة. كلّ الأفكار هي لغرض التجربة والتغير والتطور، وليست لغرض تصنيمها في رأسك، فالأفكار أقرب ما تكون لطبيعة الملح، ولتقوم بتسخيرها لأعلى استخداماتها، عليك التلاعب المستمر بها، من تحطيم بلّوراتها وإذابتها، لخلق أشكال جديدة مرّة بعد مرّة، بدلًا من تجميدها لتصبح كالصنم في ذهنك.

وقد يخطر لك الآن: «ولكن بهذه الطريقة لن يبقى أيّ مبدأ أعيش له!».

وهذا التساؤل وإن كان منطقيًا في ظاهره، فهو ليس دقيقًا في باطنه؛ لأنّ القيم القلبيّة أصيلة وثابتة في داخلك، ولا تتزعزع بزعزعة الأفكار، وأمّا القيم والمبادئ المجتمعيّة التي لا

تتوافق مع حقيقتك، فنعم ستنهار بانهيار بنيان الأفكار المبرمجة. تذكر أنّ الحقيقي فيك، هو المُشاهد للعَمار، والتدمير من دون أن يُلمَس أو يتغير.

وعندها سيحصل التوازن فيك بين الرصانة في قيمك القلبيّة، والمرونة المُطلقة في هَجْر الأفكار المُبَرمجة، وللمعلومة، فإنّ المرونة هي أحد أهم المطالب الأساسيّة للعصر الحالي والقادم، وهو عصر الصحوة الذي نعيشه من بوابة عام ٢٠١٢، عصر الدلو. فنحن نشهد الآن تغيُّرًا دراماتيكيًّا في الأنظمة من حولنا، وستستمر وتيرة التغيير بالتسارع والتسارع، وعدم القدرة على التماشي مع هذه السرعة بإسقاط الأفكار البالية، لإعطاء الحِكمة مساحة التجديد، والإرشاد المستمر، سيبعدك عن التوجّه الطاقي للحياة.

فالتوجُّه الطاقيّ للحياة، هو نحو التجديد، والإبداع، والوفرة في الاحتماليات، وليس ضيقها. وبهذه الوفرة ستّتضح أمامك الحلول البسيطة لكلّ المشاكلّ العالمية، وهذا لا يعني أنّك تعرف الحلول لكلّ المشاكلّ العالقة التي تواجهها الإنسانيّة، ولكنّك تعي في قلبك أنّ الحلول موجودة في قلب الإنسانيّة الآن. فالحلُّ للفقر متاح الآن، وهو نوعيّة تفكير جديدة، والتكنولوجيا القادرة على تنظيف المحيطات، وإنهاء الاحتباس الحراري موجودة الآن أيضًا، فكلّ هذه التكنولوجيا في الأساس أفكار، وهي متاحة للإنسانيَّة الآن، ولكن السؤال

هو: هل وصلت الإنسانيّة إلى مرحلة من الاحترام للنفس والطبيعة لتحميل هذه الأفكار؟ فأفكار الحلول لا يمكن لمسها إذا كانت طاقة الطمع، والأنانيَّة هي السائدة.

فإن أردتَّ أن تكون وسيلة إنسانيَّة للحلول والتبسيط، بدل المشاكلّ والتعقيد، فاختر أن تُرْخِيَ قبضة التشبّث، وافتح يديك للمرونة؛ كي تُعطي المساحة لنفسك بأن ترتقي من التفكير المقيّد إلى الحُر، لترى العالم من خلال بؤبؤ جديد، بؤبؤ الوفرة والإبداع. وعندها لن تتعدّى واقعك المقيد فقَط، بل ستتعدّى الواقع الجَمْعِيّ المبرمج.

من الجدير بالذكر أن غالبيّة الناس تعيش في «واقع» جَمْعِيٍّ مبرمج، هو نِتاج التأثيرات المُمنهجة من أنظمة هرمية، مُرَسِّخَةً الظنَّ الجاهلَ «بالانفصال عن المصدر»، والفهم المغلوط للواقع، على أنّه حالة منفصلة عن ذهنك؛ لذا يصحّ القول إنّ العامّة تختبر الحياة من داخل واقع افتراضي «الماتركس Matrix « ، ترى فيه العالم بطريقة محدّدة ومقيدة، ومتماشية مع الأفكار المزروعة بالذهن الجمعي نحو الانفصال، من دون وعي الشخص بأنه المشكلّ لهذا الواقع، وهذا سرّنا الصغير.

الواقع الجمعي هو واقع مبرمج، ومُرَسّخ لوهم الانفصال.

وبتحرّرك من هذا السّجن الجمعي، ستُفتح لك بوّابة الوحدة، والحلول، والتغيير على مصراعيها، وسيتحرّر منظورك من

قيود السيطرة والتَّحَكّم والعبوديّة، لتكتشف قوّتك الأصيلة، وتتبحّر في عوالم الأفكار اللّا محدودة.

فنداؤنا هنا هو نداء للحريّة من الواقع الجمعي؛ لأنّ المحرك لهذا الواقع هو وهم الانفصال، محروسٌ بطُغاة الخوف وأتباعه، الذين يتغذّون طاقيًا على وهمك وجهلك. وإن أردت الدليل على ذلك، فانظر إلى الأنظمة السائدة من حولك، من التعليم للصحة للعمل، تجدها تتبع توجّهًا واحدًا: توجّه الخوف، الذي تتغذّى فيه الأنظمة على التفعيل المستمر لحالة النجاة السيكولوجيّة عند العامة.

لذلك حال العامة الآن كالدمى الطاقيّة بِيَدَي الخوف، وفيه تجلي الخوف من الخسارة، والإحساس المزري بنقص القيمة، والفقر في المنظور، وسطحيّة التأمّل، والاستضعاف، والكراهية، والطمع. كلّ هذه تجلّيات لطاقة الخوف والانفصال، ففي هذه الحالة المستبدّة، ينسى المرء قوّته الحقيقية، واتصاله الضمني بالكلّ، وقدراته المذهلة على التكوين والإبداع والحُب، ليغدو جهازًا مبرمجًا، يجري، ويجري، ويجري لضخّ طاقته إلى الخارج، دون التساؤل عن هدف هذا الضّخّ، أو إن كانت فيه الرفعة أو التدمير.

هذا الركض الأعمى كان حالي، فأذكر عندما أنهيت الجامعة، أنّ كلّ ما كنت أبحث عنه هو الحصول على عمل، بِغضِّ النظر عن ماهيته. فبدأت التقدم لوظائف عدة، منها

شركات الدخان والأطعمة الهزيلة، ولم يخطر ببالي للحظة، كيف كنت سأخصّص كلّ هذا القَدْر من طاقَتِي وَوَقْتِي وإمكانيّاتي في تلويث جسد الإنسانيّة. وهذا ما تفعله طاقة الخوف، إذ تُبقيك في حالة من النجاة اللحظية، لتُغيِّبك عن شموليّة المنظور، وتُعزز الأنا والجهل والأنانيَّة، فتَأخُذ نَفْسَك والبشريّة إلى أسفل المراتب، وهل يمكن أن يكون هذا هو الشيطان بعينه: الترجمة الخارجيّة لحالة النجاة، من دون ترويض النفس إلى سكونها الداخلي، وشموليّة المنظور؟

والآن لا يمكنني أن أُعيد حلقة التلويث بتاتًا، على الأقل لأفضل ما أستطيع، ليس لأنّني أصبحتُ أكثر أخلاقًا، بل لأنّني أعرف أنّنا في العمق واحد، وتسخير جُهدي لأذية أي إنسان في الخليقة، سيؤذيني أنا، فكلّنا واحد. وبسبب فقداننا الاتصال بهذه الحقيقة البسيطة، والتسليم الأرعن لحالة النجاة اللحظيّة وطمعها، لوّثنا الأرض والمحيطات، وسمّمنا عقولنا، وأجسادنا بمعلومات، وطعام يبعدنا كلّ البعد عن رفعة الوعي.

وهذه المعلومة أكّدها لي السيد «جافن Gavin»، في المقابلة التي أجريتها معه خلال بحث الدكتوراه، قال لي «جافن»، وهو متخصص في رفع مستويات الأداء والتواصل القلبي في الشركات، إنّ أسوأ القرارات التي يتّخذها القادة في الشركات عندما يكونون في حالة خوف، في

حالة نجاة لحظيّة. من هذه الحالة غير المروّضة، يأتي القرار بِرَمي الملوثّات في البحر، وتصنيع منتجات مدمرة للإنسانيَّة بهدف البيع فقَطْ، وغيرها من القرارات المريضة.

وقد تكون الطريقة التي وصفنا بها وعي العامّة بالسَّوْداوِيّة- وهذا فيه شيء من الحقيقة- ولكن الجميل أيضًا أننا نعيش الآن في زمن الصحوة، حيث يستيقظ الناس في كلّ لحظة، وفي كلّ أرجاء العالم على وحدتهم الأصيلة، وأنت جزءٌ من هذه الصحوة، والدليل أنّك تقرأ هذه الكلّمات الآن. وبهذه الصحوة ستُخرج نَفْسك من دوّامة الخوف وقراراتها المتدنيَّة، لتصبح منارة ساطعة، ترشد بنورها السفن التائهة، وتناديهم إلى نهر قلبهم الأصيل. فنحن نحتاج صحوتك الآن أكثر من أيِّ وقت آخر؛ لأنّ الإنسانيّة تواجه أكبر تحدٍّ في تاريخها في هذه اللحظة، نعم، هوأكبر تحدٍّ، فإمّا الانقراض أو الصحوة، فكُن جزءَا من الاستمرارية والرفعة، لا الدمار.

وقد تتساءل الآن، ولكن كيف أكون جزءًا من الصحوة؟ وكيف أستيقظ من الواقع الافتراضي المبرمج، وحتى هذه اللحظة لم أفهم المقصد من الواقع الافتراضي؟

دعنا نطرح مثالًا بسيطًا للتوضيح:

عندما تمشي في الطبيعة، وترى الأشجار حولك، فكيف تختبرها؟ خذ وقتك في التفكير.

هل تَراها كوسيلة للترفيه، وتوفير الأثاث؟ أم تراها مكانًا للتنزّه؟ أم شيئًا آخر؟ فكلّ هذه الخبرات المبرمجة، تَظهر على السطح لحظة النظر إلى الشجرة.

ولكن ما علاقة هذا بالعالم الافتراضي؟

هل أنت جاهز للإجابة؟

متأكد؟

أنت لا ترى الشجرة، بل ترى محتوياتك الفكريّة.

وهذا يعني أن الشجرة غير موجودة، هي وهم!

انتظر لحظة، قبل التسرُّع بالحُكم على المعنى المقصود هنا، فليس المقصد أنّ الشجرة الفيزيائيّة غير موجودة «وقد تكون كذلك»، ولكن كلمة «الشجرة» هي كلمة أطلقناها جميعًا على هذا «الشيء». لذلك، فإنّ خبرة الشجرة، وُلِدَت مع ولادة فكرة الشجرة، فاللّغة هي وليدة الأفكار.

وهذا يُرجعنا إلى المبدأ الأصيل للكتاب، وهو أنّك تختبر أفكارك، وليس العالم الخارجي، وإن عرفت ذلك، فستتحرر تلقائيًّا من الواقع الجَمْعِيّ المبرمج.

فالواقع الجَمْعِيّ ، هو مجموعة من «الكودات الفكريّة المبرمَجة» لتمثيل الواقع، تمامًا كألعاب الواقع الافتراضي. وللأسف برمجة الواقع الأساسية تأتي من وهم الانفصال، لتبقي الغالبية في حس الانفصال عن الطبيعة والكون؛ لذلك يبقى الشخص المُبرمج غارقًا بالخوف الممنهج، بهدف

ترويض قوّته، وتسخير طاقاته لأجندات خارجية، ولن نخوض هنا في الجهات التي برمجت هذا الواقع المنسوخ، وتفاصيل العمليّة الممنهجة لاستنزاف الطاقة على مستوى ال DNA، لأنّ هذا يحتاج إلى كتاب آخر، وسيأخذنا البحث في هذا المنحى إلى قوى السيطرة في العالم المرئي وغير المرئي، وتاريخ الأرض المستور.

ولكن لإشباع بعضٍ من فضولك، سأقول لك إن قوى السيطرة ليست الشركات، أو الحكومات، وإنّما هي تحصل على بعدٍ آخر، بُعد لا مَرْئي، يتّم فيه التلاعب بالمنظور، لتبقى العامّة في طاقة الخوف والأحكام. فوعي الخوف يحوّل الشخص إلى قِطعة لحم طاقيّة، يسهل نهشها واستعبادها.

ومتى استَفَقْتَ من هذه الغيبوبة، واسترجعتَ سيادَتَكَ الطاقيّة، انتهت لُعبة السيطرة من حياتك، وبدأت لعبتك الخاصّة، وهي لعبة الوحدة القلبيّة، وفيها إمكانات مستورة، واحتماليّات تعبيريّة لا محدودة.

لذا، فالقوّة بيدك؛ لأنّ الواقع الافتراضي «يُخلَق ويُفعَل» من داخل ذهنك، فقوّته هي في جهلك ليس إلّا، فالواقع الافتراضي يستبيح طاقة الناس، بسبب جهلهم بوحدتهم، وبأنهم المشكلّون لواقعهم، وبهذا ضمنيَّة الجهل بذاتهم الأصيلة، فالذات الأصيلة هي وعي روحيٌّ خالد، وفيه القدرة التلقائيّة على التكوين. فإن تبرَّأت من الجهل، ستبرأ من العالم

المبرمج وسيطرته، لتتذكر قوّتك الأصيلة، وعندها ستصبح كبطل فيلم الماتركس «نيو»، عندما استيقظ، ورأى «العالم» من حوله كما هو، كمُحتويات فكريّة، يوجه بكودات طاقيّة مبرمجة، وعندها فُتحت له أبواب ليست محدودة، وبدأ باستعمال قوانين الميتريكس لمصلحته.

وطريق اليَقَظَة من هذه العبوديّة، هو طريق القلب، فقلبك ليس مستعبدًا بالعالم الافتراضي، وإنّما يستنبط الحقيقة كما هي، يستنبط الحياة واحدة غير مقسّمة، ويستنبط الواقع كما هو بنسخته الأصليّة، كلعبة فكريّة قابلة للتغيير والتشكيل.

القلب هو المفتاح لطريق الحريّة؛ لأنّه يُخزّن كوداتك الروحيّة الأصيلة، التي سترشدك إلى التذكّر، تذكّر الذات الأصيلة، وهذا سرّنا الصغير.

القلب هو المفتاح السري، لنسختك الأصليّة.

وبهذا التذكّر ستُعلن أنّك إنسان حُر، وعندها ستحسّ بالمسؤوليّة، والشغف لقيادة الجنس الإنساني إلى حريّته الأصيلة، وبطريقتك الخاصّة، وتعبيرك الخاص، وبما يتناسب مع رسالتك الفريدة. هذا ما عَرَفه كلّ قائد مستنير في التاريخ، فَهْمُ أنّك أنت المشكِّل لواقعك، وعندها تحوّلت مهمّة القائد من الخارج إلى الداخل، بمناجاة الناس لتحرير ذهنهم من أفكار العبودية ، لتظهر بعدها الوسائل والاستراتيجيات الداعمة لهذه المهمّة، على الأرض الفيزيائيّة.

وبهذا المنحى الداخلي من التغيير، سترتقي إلى أسمى، وأذكى استعمال للعزيمة، فالعزيمة الحقّة ليست مُسخّرة للدفع والجهد الخارجي، بل للسقوط إلى قلب الحريّة في داخلك، إلى قلب الذات الأصيل.

للتذكير:

* عملية التغيير داخلية مئة بالمئة.

*في الأصل التغيير عملية بسيطة، ومستمرة إن لم تقاومها.

* مكونات الذات هي ثلاثة: الوعي، الفكر، ونور الإدراك.

* أفضل طريقة لتبنّي الأفكار من عدمها، إن كانت خادمة لك أم لا.

*لتتحرّر من الواقع المبرمج للعامة، عليك العودة إلى الوحدة القابعة في القلب.

أسئلة للتفكُّر:

ماذا سيختلف في حياتي إن عشت كقوة روحية خلّاقة على الأرض؟

لماذا المرونة الفكرية مهمة في حياتي؟

ما هي الفكرة التي إن تخلّيتُ عنها، سأفتح عالمًا جديدًا من داخل نفسي؟

هل أنا جاهز للحرية الفكرية، وبصدق؟

الاستعمال الأسمى للعزيمة

العزيمة كلمة متداولة بكثرة في تطوير الذات، حيث تظهر وكأنّها عنصر لا محدود، تستطيع أن تخترق به الجبال والبحار، ولكن هذا ليس دقيقًا، فالعزيمة الإنسانيّة محدودة. وهذا ليس انتقاصًا من قوّة العزيمة، بل هو دعوة لتوجيهها بالاتجاه الأسمى؛ لتسخر نعمة العزيمة لفعاليتها الكبرى.

وقبل ارتقاء العزيمة إلى أعلى درجات الفاعليّة، تمر عادة بمراحل من النضج، ففي البداية، تُستعمل العزيمة كوسيلة للتشجيع، وشحذ الإرادة وحسب، حيث الانتقال من جملة «لا أستطيع»، إلى «أستطيع». ولكن أنا وأنت نعرف خير المعرفة، أنّه مهما كرّرت هذه العبارة، وحتى لو قفزت مع آلاف الأشخاص في محاضرة، لتهتفوا سويًّا «أنا أستطيع»، فستفتر هذه الحماسة بعد أيام قليلة، لتتسلل خلسة بعدها إلى ذهنك فكرة «أنا لا أستطيع»، ومعها يأتي الشك بقدراتك.

وإن كنت عازمًا على التقدم، فستحاول إعادة الكَرّة، فتبدأ بتذكير نَفْسِك من جديد بأنّك تستطيع، لتعود الدوامة نفسها بين «أستطيع»، و»لا أستطيع»، وتبقى عزيمتك تتلاطم بين هذين النقيضين.

ولا نقصد هنا بتاتًا أن ننتقص من أهمية تشجيع الذات، فأنا شخصيًّا أُذكّر نفسي بأنّي أستطيع في كثير من الأوقات،

وأطلب من أصدقائي تذكيري بهذا لخلق شحنة عاطفيّة لحظيّة، لأخذ فعل تقدُّمي، ولكنني أَعي أيضًا أنّ هذا هو الاستعمال السطحي للعزيمة؛ لأنّه لا يتعدّى بُعد الازدواجيّة، بين أستطيع، ولا أستطيع. والصراع في حلبة الازدواجيّة مُتعِب للغاية، ويحتاج إلى المراوغة المستمرة للعزيمة، ناهيك عن أن الحياة قد تُطيح بالعزيمة كلّها في لحظة واحدة، أمام موقف غير متوقّع كالمرض.

لذا، سأقترح عليك أن تفتح الستارة هنا على مفهوم جديد للعزيمة، فالعزيمة التي ندعو لها هي ليست المصارعة الدائمة مع مارد الحياة، بل هي الفطنة.

الفطنة التي نعنيها هي التيقظ لأفكارك ، فالأفكار مجرد أفكار، ولا داعي لمحاربتها، ففي النهاية أنت لا تريد محاربة فكرة أنا لا أستطيع، بل تريد عدم تصديقها فقط، باستخدام الفطنة، وبهذا ستبقى في حالة الانسياب، ومن دون الحاجة حتى إلى إضافة المزيد من «أنا أستطيع» للسيل المتدفّق. فالطفل لا يحتاج أن ينظر إلى المرآة، ويصرخ لنفسه «أنا أستطيع» كي يتعلم ويتطور؛ وذلك لأنّه على اتصال ضِمْني بالفضاء الذي يتدفق منه التقدّم والإمكانات.

الفطنة هي خصلة المحترف؛ لأنّ فيه التيقّظ الدائم للذهن وأفكاره الشخصيّة، من دون تصديقها، أو الولاء لها، بل السماح لها بالانسياب في النفس كسحابة مارّة، والسحابة إن

حجبت نور الشمس، فهي لا تلغي وجودها؛ لذلك فإن الحلّ الشافي لكلّ المحددات الفكريّة، هو عدم تصديق الأفكار بالفطنة، فقط لا غير.

وقد يخطر لك الآن: «ولكن إن لم أصدّق أفكاري، ماذا عن الأفكار البنَّاءة، أفلا أصدقها أيضًا؟».

وسنجيب هذا السؤال بسؤال آخر: ما هو مصدر الأفكار البنّاءة؟

الأفكار البنّاءة ليست نتاج التفكير الشخصي المكرّر، بل هي نتاج الذكاء الكوني، فهي تلك النوعيّة من الأفكار التي تظهر أمامك، كنوع من الومضات الفكريّة، لتلمع في نفسك بمنظور جديد، يرتقي به إلى بُعْدٍ أعمقّ من الحياة. وإن كانت كلّمة الومضات الفكريّة محيرة لك، فتذكر تلك اللحظات التي تقول فيها «آآآآآآه!».

هذه هي الأفكار التي تسعى لها، أو بالأصح تسعى للسماح لها بالظهور، هي الومضات الفكريّة التي تحمل في روحها الحِكمة والإلهام، وفيها الهداية إلى رسالتك القلبيّة. وهذه الومضات الفكريّة ستتزايد بارتقائك عن الأفكار الشخصيّة المبرمجة، وسقوطك الحرّ في فضاء الذات؛ لذا كلّ ما عليك فعله هو السقوط خلف أفكارك الشخصيّة، كي توفر البيئة الكيميائية المناسبة لسطوع أفكار الحِكمة، وهذا أعلى استعمال للعزيمة.

أنا أعيش حياتي بهذا الطريقة، أبقى غالب الوقت بفطنة الفضاء الداخليّة، وإن انجرفت مع أفكاري المبرمجة، أعود سريعًا إلى الفطنة، حيث ترتقي تدريجيًّا القدرة الضمنيَّة على عدم تصديق الأفكار. وهذا لم يحدث في يوم أو يومين، وإنّما عن طريق التدريب المستمر على الاحتراف الذهني، والاستعمال المتكرر لتكنولوجيات روحية فعالة، للبقاء في حالة الفطنة. وسنشارك معك في الوحدات التالية بعضًا من هذه التكنولوجيات، ولكن تذكر أن المبدأ ذاته: كُفَّ عن تصديق أفكارك، كُفَّ عن التشبّث بها، وعندها سترى كيف ستعمل عبقرية الحياة من خلالك.

أنا أختار أن أعيش بهذه الطريقة؛ لأني أعي تمامًا، أنه مهما ارتقت قدراتي الفكريّة الخاصّة، فلن أتغلب على عبقريّة الحياة؛ لذلك أختار التسليم لها. وبالمقابل فعبقريّة الحياة لا تخذلني، وتوفّر لي دائمًا أفكار الإلهام القلبي، فالإلهام مرشدي، وصديقي، وسيدي، وفارسي، أرضخ لأمره، فيقودني إلى المرحلة القادمة، فحتى هذا الكتاب الذي تقرؤه أتى من فضاء الإلهام هذا. فضاء الذات.

فتذكّر أن كلّ الكتب التي ستكتبها، والمحاضرات التي ستلقيها، والأغاني التي ستلحّنها، والاكتشافات التي ستصل إليها، هي موجودة الآن في نهر إلهامك، في نهر مصيرك، وكلّ ما عليك فعله، هو أن تدع سفينة الحياة تجري في النهر

كما تشتهي، من دون عرقلتها بطحالب أفكارك الشخصيّة، وهذا سرّنا الصغير.
الاستعمال الأعلى للعزيمة، بأن تدع نهر الحياة لقيادة سفينتك، دون عرقلته بأفكارك الشخصيّة.
وطريقة أخرى للتحدث هذا الشكل من العزيمة، هي كما يصفها المتحدث الي كامبيل: «بَعِّد عن طريقك»، فهذا كان أسلوبه الخاص، لوصف كلمة السريان في الحياة. فقد أتى الوقت لتسري في نهر الحياة، وتدع سفينة الإلهام تقودك، دون الانخطاف الأعمى إلى قصص الذهن ورواياته، وهذا تدريب مستمر: أن تدع ذهنك يفكّر. ويفكّر. ويفكّر دون أن تصدّق أفكاره، فالأفكار تُشحَن بتصديقك لها، افصل هذا الشاحن، فتصبح الفكرة كالبخار، من دون حولٍ أو قوّة.
فإن ظَهَرَتْ فكرة «أنا لا أستطيع» في فضائك الفكري، فهي ليست إلّا فكرة عابرة حتى تعطيها أُذُنَك، وعندها سيشتدُّ عود الفكرة، وتبدأ بأخذِك إلى صالتها السياسية، وحواراتها المشذّبة، لتُقنعك بصحّة طرحها. أو يمكنك أن تختار موقف المحترف، وتبقى في فطنة المراقب، ولا تُنصت للفكرة، وإن كانت مقرونة بالإحساس. وهذا لا يعني أن تحارب الفكرة، بل احترمها بقولك لها شكرًا على المشاركة كما يقول: «تي هارف إيكر T. Harv Eker»، لتقوم بعدها بالاستكمال في تيّارك الخاص، والأخذ بخُطى تقدميّة.

وعندما تمشي في تيار الفعل التقدّمي، ستتلاشى الأفكار المُعَرقِلة مع الاندفاع بالفعل، وهنا يَحدث السِّحر، فالسِّحر هو التركيبة العجيبة التي تبدأ بالعمل، عندما تقوم بفعل تقدّمي باتّجاه سريانك، بغضّ النظر عن رأي نظام الخوف وأفكاره.

ولكن قد تفكّر الآن، ولكن ماذا لو كنت فعلًا لا أستطيع القيام بفعل تقدُّمي؟ ماذا لو كنتُ فعلًا لا أستطيع أن أقف أمام عشرة آلاف شخص، وألقي خطابًا، فهل عليَّ ألّا أصدّق هذه الفكرة، وأقوم بالفعل بغضّ النظر؟

نحن لا ندعو هنا إلى القفز المبالغ فيه خارج منطقة الراحة، ولكن ندعو إلى التدرُّج. فقد لا تكون خطوتك القادمة أن تتكلّم أمام عشرة آلاف شخص، ولكن قد تكون أن تأخذ دورة في التحدث أمام الناس، أو أن تتدرَّبَ على الحديث أمام شخصين، أو ثلاثة، ولكنك لن تفعل هذا الفعل التقدُّمي الصغير، إن تشبثتَ بالفكرة المحدّدة، وهي مجرد فكرة، مجرد وهم، مجرد بخار.

فلا تنتظر أن تنتهي الأفكار المحدّدة، كي تلمس تدفقك الأصيل، وتأخذ فعلًا تقدّمِيًّا، بل دع الأفكار الخائفة تثرثر من دون تصديقها، فالذهن الخائف سيبقى يثرثر؛ لأن له أجندة واحدة، وهي الحماية، وهذا يعني البقاء في منطقة المعروف والمكرر؛ لذلك سيتفعَل الجزء الخائف فيك، كلّما مشيت أكثر في رحلة القلب. فالمحترف ليس من ألغى وجود

الأفكار الخائفة والمُعرقلة، بل من روّضها بفنٍّ ورُقِيٍّ، ليُسقط ذهنه تدريجيًّا إلى قلب الحياة، ويتدفق مع نهر التعبير الصادق.

التَرويض الذهني لا يتم بمكاسرة يدي الأفكار؛ لأنّها ستجرفك بحواراتها، وقيودها «المنطقيّة»، ولكنّه يتم بالفن، فن تعدّي الأفكار، وهذا الفن فيه نوع من الأناقة والحدسية، التي تجعلك تَنْسَلّ خلف الأفكار المبرمجة دون محاربتها، وهذا يأتي بالتدريب، وهذا التدريب هو أعلى استخدام للعزيمة. وإن عَلِقت في حواراتك الذهنيَّة، وفقدت صفاء الفطنة، فليس هناك مشكلة، فهذا أيضًا جزء من التدريب، وكلّ ما عليك فعله هو الانتظار، حتى ينزلق ذهنك مرة أخرى إلى الصفاء الداخليّ، وهذا سيحدث إن لم تضف أفكارًا على الأفكار، أو تحاول إيقاف الأفكار.

فإن كانت أمامك بحيرة صافية، ورميت فيها حجرًا، وبدأ السطح بالتموّج، فهل سترمي حجرًا آخر ليرجع الماء إلى صفائه الطبيعي، أم ستتركه ليسكن وحده؟

الذهن مُصَمّم للعودة إلى حالته الطبيعيّة إن لم تقاومه، حاله حال الجسم عندما يُجرح، فالجسم مُصمَّم ليُشْفَى، ويعود إلى حالته الطبيعيّة وحده، إذا لم تنظر إلى الجرح كلّ دقيقة، وتبدأ

بخدشه، فهذا التدخّل سيؤخّر عمليّة الشفاء. فالسِرُّ إذًا هو في عدم التدخّل، وهذا هو الاحتراف الذهني.

الاحتراف الذهني لا يحصل بإجبار الذهن على العودة إلى صفائه الأصيل، بل هو السرعة التي تنفصل بها عن ذهنك، لتعطيه المجال ليرجع وحده إلى طبيعته، وهذا سرّنا الصغير. الاحتراف الذهني هو إتاحة المجال للذهن للعودة - وحده - إلى صفائه الأصيل.

ليس هناك أحدٌ من البشر، مهما ارتقت قدراته الذهنيَّة، قادرٌ على البقاء في حالة الصفاء الذهني طوال الوقت، دون الانزياح هنا قليلًا، وقليلًا هناك، هذا ما أكّده لي هاورد مارتن في المقابلة التي أجريتها معه. هاورد هو أحد المؤسسين لـ «هارت ماث HeartMath» ، وهي من أعظم المؤسسات في العالم الآن، في استعمال العلم والتكنولوجيا لدراسة الذكاء القلبي، قال لي هاورد:» إنّ أهم المهارات التي يجب أن يحترفها الشخص في المرحلة القادمة هي المرونة الذهنيَّة، التي تسمح للشخص بالعودة إلى حالته الأصليّة بسرعة»، معرّفًا الحالة الأصليّة بأنّها شكل من الهدوء وصفاء الذهن. فالحياة ستشدك يمينًا وشمالًا، ومقياس الاحترافيّة هو بالوقت الذي ستستغرقه للرجوع إلى مركزك.

وإن كُنت غير مقتنع بالأهميّة غير العادية للمرونة الذهنيَّة، فدعني أقدّمْ لك هذا السيناريو الافتراضي: تخيّل أنّك تجهّز

نَفْسَك اليوم لمقابلة فيها إمكانيَّة تغيير مجرى حياتك للأبد. فنَهَضتَ منذ الصباح الباكر، ولعبتَ الرياضة، واستمتعتَ بوجبة صحيّة، وجهزت نَفْسَك ذهنيًا، وعاطفيًا للمقابلة، وأصبحت مستعدًا تمامًا لأخذ هذا التحدي، وعندما خَرَجتَ، وَجَدتَّ إطارات السيارة الأربعة فارغةً من الهواء، والأسوأ من ذلك أن بيتك ليس في المدينة، ولا يوجد أيّة وسيلة نقل أخرى.

هنا ستعرف أهميّة المرونة الذهنيَّة، والعودة السريعة إلى حالتك الطبيعيّة!

فإن استمر ذهنك بجرفك في مسارات التوتر، لن يكون عندك الصفاء الكافي للتروي والتفكير في الحلول البديلة، وإن وجدت حلًا، وتمكّنت من إيجاد وسيلة خاصة للوصول إلى المقابلة، سَتَحمِل هذه الطاقة المتوترة المبعثرة معك على المقابلة، وسيشتَمُّ الناس هذه الطاقة، فتفسد عليك كلّ شيء. تذكّر أنّنا لا ندعو هنا لئلّا تسمح لنَفْسِك بأن تهتزّ إثر المواقف، ولكن المغزى هو في السرعة التي ستعود بها لمساحة الصفاء.

ومساحة الصفاء، والسكون الداخلي موجودة في داخلك طوال الوقت، فهي «أنت»، أنت «الأصيلة»، أنت «الخالدة»؛ لذلك يصحُّ القول إنّ التدريب الأسمى للعزيمة، هو الانفصال عن أفكارك الشخصيّة، وتسليم نَفْسِك للذات

الأصيلة، وهي فضاء من الوعي الخالص. وفي هذا أيضًا التسليم لتدفق الحياة، ستصبح أنت والحياة نهرًا واحدًا، لا ثَوْران يتصارعان في حَلَبَة.

وهذا التسليم لن يساعدك فقَط على العودة إلى حالة الصفاء، بل أيضًا إلى تدفّقك الأصيل، وهو المكان الذي يسطع منه تعبيرك الفريد وأداؤك الراقي، ففي حالة التسليم تنهار الحواجز بين الشخص والروح، وتختفي الحاجة إلى التملّك والسيطرة على تدفّق الحياة، ليبزُغ تلقائيًّا من خلالك الأداء الراقي.

هذا ما عرفه كلّ مُؤدٍّ راقٍ بوعيٍ، أو من دون، فعندما كُنتُ أتحاور مع صديقي آدم، أحد لاعبي المنتخب الوطني الاسكتلندي للرجبي عن ماهية الأداء، قال لي وقتها كلمات لَمَسَتْ قلبي مُباشرة، قال: « إيهاب، كلّ لاعب اختَبَرَ في وقت ما الحالة السِّحريّة للأداء، حيثُ يتدفّق اللعب من غير مجهود، وتنساب الحركات بيُسر، ويجد اللاعب نفسه في المكان المناسب والوقت المناسب، وكأنّ شيئًا من الفطرة يُحرّكه دون تفكير. وهذا ما يبدو للمتفرج الخارجي كحالةٍ مُدهشة من البساطة، فالأداء الذي يَشهَده يَخلو من التعقيدات والمجهود، ويمتلئ بالفاعليّة، والجمال، والأسلوب الفريد».

ومن ثمَّ أضاف: «المشكلة أنّ كلّ لاعب يحاول الرجوع إلى هذه الحالة بكافّة الطرق، فيحاول بشدة إحكام ذهنه بالإيجابيّة،

علّه يرجع إلى حالة التدفّق مرّة أخرى، ولكن في هذا شيء من عدم الفهم لحالة التدفّق، فالتدفّق حاصل حاصل، إن لم تتدخل بالأفكار الخائفة، وتحاول مقاومتها كي تتغير»، وهذا ما أثبتته لنا الأبحاث العلمية والمتخصّصة بدراسة حالة التدفّق، لتُظهر لنا أنّ الشخص يدخل التدفّق عندما تكون أنشطته الذهنيَّة أقل، وليس أكثر كما يظن المعظم.

فدع التوتّر والقلق بحاله دون مقاومته، فهو ليس إلَّا أفكارًا قلقة تحاول التحكُّم بالعمليّة الابتكاريّة، ولكن هيهات، فالعمليّة الابتكارية فيها عنصر خالد يُحرّكها، وترتيب ذكي فائق يُسَيِرُها، وما التدخّل فيه إلَّا البعد عنه.

وقدرتك على تعدّي الأفكار القلقة، والعودة إلى «تدفقك» ستتزايد تدريجيًّا عندما تعَي أنّ الخبرة الإنسانيّة تحصل من داخلك؛ لأنّك عندها ستعرّي قصصك الفكريّة من غطائها، لتراها كما هي: مجرّد أفكار، مجرّد بخار. وستعي أنّ القلق لا يأتي من الجمهور، أو النتائج أو غيرها، وإنّما من مجرد أفكار، وسيتّضح لك حينها بوضوح الشمس المنطق البسيط الذي عَمِيَ عنه غالب البشر: أن التوتر والقلق وكلّ الخبرات المحسوسة، ما هي إلَّا نتاج الأفكار، وليست وظيفتك أنْ تتخلص منها أو تُنهيها؛ كي يكون أداؤك يسيرًا، وتعيش بسلام، وتجري مع نهر الحياة.

وفي الختام قال لي آدم: «أتمنى لو أنّ أحدهم قال لي ذلك من قبل؛ إنّه ليس علي التَخلص من أفكار القلق، وإنّما كلّ ما عليَّ فعله هو أن أذهب إلى الملعب وألعب، ألعب فقط».

قد لا تكون لاعبَ رجبي، ولكنك لاعب في الحياة، وكلّ ما عليك فعله هو أن تلعب، أو بجملة أخرى أن تكون أنت، فهذه روح اللعب الأصيلة، وهذا سرّنا الصغير.

روح اللعب هي أن تكون أنت.

كن أنت، والعب بكلّ عفويتك، فالأداء الراقي وليد العفويّة والاستمتاع، حيث تتدفق الحياة من خلال قلبك بيُسْر وحرية، سأقولها مرة أخرى للتأكيد: من خلال قلبك.

ولتوضيح المغزى من كلمة القلب، دعني أشاركك قِصّة حَصلت معي قبل خمس سنوات.

في ذلك الوقت كنت أرفع من قدراتي كمتحدث، وكنت أقوم بعدة خطابات تدريبية بجهة اسمها (توست ماسترز Toastmasters)، وهو مكان مخصّص لتدريب الناس على التحدّث أمام الجمهور. كنت في غاية الاستمتاع، وكان أول خطابين قدمتهما رائعين، حتى أتى الوقت للخطاب الثالث.

قام رئيس الجلسة بالنداء على اسمي حينها، فقمت بثقتي المعتادة على المسرح، ومشيت بخطًى واثقة إلى المنتصف. نظرتُ إلى عيون الحاضرين وهي تترقب ماذا سيخرج من

فمي، وأنا أُحس بنفس الإحساس المعهود في صدري كدقات متسارعة من قلبي بسرعة أكبر وأكبر.
لم أَعِرْ انتباهًا إلى هذه النبضات؛ لأني اعتدت عليها، وهَمَمْتُ بالكلام، وكان الخطاب متوازنًا وجميلًا، حتى أتت تلك اللحظة.
ولك أن تتنبأ ما هي هذه اللحظة؟
هي أكبر مخاوف المتحدثين...
نعم، في الغالب نَفسُ الفكرة التي خَطَرَتْ لك، نَسيتُ كلّ شيء، وانعقد لساني، وتيبّسَتْ قدمي.
بدأت الأفكار بالتسارع في رأسي: « أين الكلمة التي بعدها؟ أرجوك احضري، لماذا لم تحضر؟ ماذا أفعل الآن؟ ماذا أفعل الآن؟ وتسارع هذا الحوار في رأسي حتى لم أعد أسمع غير رنين صداه»، وبالرغم من تعالي الصوت الداخلي، بَقِيَ لساني حبيس فمي، وما كان لي إلَّا أن أضحك حينها ضحكة ساخرة من نفسي، وأقول للجميع: عفوًا لقد نسيت كل شيء.
قمت -ومن دون إذن- بالعودة إلى مقعدي، وشعور الخزي يَعصِر معدتي عصرًا.
بالرغم من صعوبة الموقف لحظتها، وعدم قدرتي على التصرف حينها، بَقِيَ عشقي للتطور المستمر، وفهمي أن في كل تجربة فرصة للتطور ساكنًا في داخلي. فبدأت أُحاول أن أنتقص الخير في هذا الموقف؛ لذلك ذهبتُ في وقت

الاستراحة إلى السيد زهير- المسؤول عن توست ماسترز- وسألته: « سيد زهير، كيف أضمنُ ألّا أنسى أيّ خطاب أقدّمه في المستقبّل؟»، فنظر إليّ وقال بصوت واثق: « إيهاب، إن تكلّمت من قلبك، فمن المستحيل أن تنسى».
استغرقتُ سنوات وسنوات لأفهم المعنى الحقيقي للتكلّم من القلب، وأُدرِك أنّ سرّ الخَطابة الراقية هو أن تتحدث من قلبك، فأنت الخطاب، وقلب الحياة هو الخطيب، نعم بهذا الترتيب. لذلك فأنا الآن لا أُحضِّر ما أريد أن أقوله في الفيديوهات، أو التدريبات الفرديّة، أو الجماعيّة إلّا تحضيرًا سطحيًّا للتنظيم الشمولي للأفكار والنية، وأعتمد أسلوب القلب، أسلوب العفويّة. وهذا ما أُدرسه في كورس صوت الوعي (Authentic Speaker) في أكاديمية كن انت.
وما النقيض لذلك؟ أن تُحاولَ التطفُّل عل تدفّق القلب، وعرقلته.
ولكن، لماذا نعرقل تدفق القلب، ونَمنعُ تلقائيّة الحياة أنْ تَعبُر من خلالنا؟
نعم، إنها الإجابة المكرّرة: الخوف. هو الخوف الذي يجبرك على القفز المرضي لنتائج الأداء، وفي هذا الخوف حَجبٌ للتدفّق الطبيعي، وخَنقٌ للتلقائيّة، وقَتل للاستمتاع.
ولكنّ الخبر الجيّد أنّ الحلّ موجود، وهو بداخلك الآن، الحلّ هو أن تنظر إلى داخلك لترى أنّك في العُمق كامل بغضِّ

النظر عن النتائج، وأن لا شيء قادر على أن يَسلُبَكَ قيمتك، ولا أن يضيف إليها.
ومن هنا سيتدفّق الأداء بجمالٍ وَرِقّة، فلا خوف من الخطأ سيزلزله، ولا الخوف من الخسارة سَيُؤرّقه. وهكذا يتحول الأداء إلى ما يفترض أن يكون عليه: نوعٌ من اللعب، بَدَلَ أن يكون مسألة حياة أو موت، بالخوف من النتائج، أو أحكام الناس.
هذا هو السرّ الأبدي لتحرّر جِنّي العبقريّة.
فقد نقول إنّ سرّ العبقريّة، هو اللعب بعدم التدخّل في تدفّق الأداء. وإن كان هذا المبدأ بسيطًا، إلّا أنّه ليس سهل التطبيق؛ لأنّك ستواجه حينها نظام الخوف فيك مرارًا وتكرارًا حتى يتروّض، ويستسلم تدريجيًّا للذات العليا، وباستخدام العزيمة.
للتذكير:
* أعلى استخدام للعزيمة هي بتسخيرها للرجوع إلى فضاء الذات.
* المرونة العاطفية للعودة إلى حالتك الأصلية قد تكون من أهم مهارات العصر القادم.
* الأداء الصادق ينبع من التماشي مع تدفقك الخاص.
* العبقرية في الأداء هي قرينة اللعب في الأداء من دون جَدِّيَّة، أو تعلق بالنتائج.
أسئلة للتفكُّر:

هل ستستطيع مراقبة أفكار التوتر من دون محاربتها،
وبقولك لها شكرًا؟
ماذا سيتغير حينها؟
ماذا سيحدث إن عبّرتَ عن نفسك من دون التعلق برأي
الناس، أو أجندة النتائج؟
ماذا سيتغير إن أعطيت لنفسك ١٠٪ مساحة أكثر من
التلقائية، والعفوية؟

طريق المواجهة

الحياة لها طريقان لا ثالث لهما، إمّا باتّجاه الذّات الأصليّة، أو الهرب منها، وهنا تَكمُن قوّة الخيار، ففي كلّ لحظة تُبرِز الحياة لنا الخيار، إمّا باتّجاه الذات الأصلية، أو البُعد عنها.
وَوَعْيِ الإنسانيّة المُصاب بِداءِ الخوف، يَبدو أنّه اختار أن يُعيد اختيار الهروب، ولكن، الهروب من ماذا؟ الهروبُ من مواجهة نَفْسِك، فهذه المواجهة تَدُبُّ الرعب في نظام الخوف، لأنّها تكشف زيفه، وتُجْلي وَهْم الانفصال الذي يُغذّيه.
فالمواجهة التي نتكلّم عنها ليست مواجهة خارجيّة، مع أنّها قد تعبّر عن نَفْسِها بهذا الشكلّ، لكن في عُمقها هي مواجهة نظام الخوف في داخلك، وترويضه. فعندما يتفعّل نظام الخوف فيك، يبدأ فوريًّا بالإسقاطات الخارجيّة، معلّقًا أسباب عدم الأمان على كافّة المصادر الخارجيّة، وهنا تتحول إلى دور الضحيّة، وتتحول نشوة الوجود فيك، إلى حالة مستمرّة من التأهّب والقلق والأحكام الأتوماتيكيّة، والأحكام هي أشد استراتيجيات الخوف خطورة.
هنا بالتحديد تأتي الفرصة للخيار، فإمّا أن تنجرف بنظام الخوف ومنهجه المكرّر، وتبدأَ برمي أسباب معاناتك على المصادر الخارجيّة، متناسيًا المَصْدَر الوحيد الذي تنبعث مِنه، وهو أفكارك، أو تختار خيار الفارس، وتُسخِّرَ عزيمتك لأخذ

المسؤوليّة كاملة، فتعرّي نظام الخوف من دَوْرِ الضحيّة الذي يحُبّ أن يمارسه، وهنا تَبرُز القوّة الحقّة، وهذا سرّنا الصغير.

المسؤوليّة الكاملة، تعني القوّة الكاملة.

ودعني أكشِف لك أيضًا سِرَّ الأسرار: مهما أسقَطْت باللوم على الخارج، واتّخذت أسلوب الهروب كمنهج في حياتك، واستحضرت أسبابًا غاية المنطقيّة لعدم النظر لعدم الأمان من داخلك، فلن تستطيع الهروب من الحقيقة الكونيّة المُطْلَقَة، وهي أنّ مَصْدَرَ كلّ أحاسيسك، ومن ضمنها عدم الأمان، هي من داخلك. مهما حاولت الهروب من هذه الحقيقة، فستلاحقك هذه الحقيقة في يقظتك وحلمك، وسيعود عدم الأمان الذي أنّكرته في داخلك، ليَظهر، ويتجلّى في أماكن مختلفة في حياتك، لترى نَفْسَك تلعب معه لعبة المطرقة كالأطفال، فكلّما ظهر وجهٌ بلاستيكي على السطح، تطرقه، فينزل إلى الداخل لفترة، ثم يعود ليظهر بشكل آخر.

فعلى سبيل المثال، لو كنتَ تظنّ أنّ مَصدَرَ عدم الأمان فيك هو من قُبْحِ شكلك، وسعيتَ إلى كلّ أنواع التجميل الخارجيّ كافة، فلن تستفيد؛ لأنّ فكرة القُبح التي تُرعِبُك هي من داخلك. ولو كان عدم أمانك من قلة المال، وذهبتَ لتُنهي هذا الإحساس بجمع الملايين، فعدم الأمان لن ينتهي، وسيبقى الخوف يصرخ فيك قائلًا: « ماذا لو فقدت المال؟» ليُعبّر هذا

الخوف عن نفسه بِطُرُقٍ مُشينَة وسلوكيّات بغيضة، وإن أرَدْت أن تتغلب على إحساس «أنا لست جيّدًا» بالتبرع بكلّ ما تملك للجمعيات الخيريّة، فهذا التبرع لن يجلي خوف النقص الذي فيك. وإن كنت تحس بنقص الحُب، وسعيت للحصول عليه بأن تكون أكثر شهرة، فالقصّة ذاتها، وعدم الأمان لن يذهب، وسيلاحقك من مكان إلى آخر، حتى تسعى إلى الحلّ الجذري، وليس السطحي.

الحلّ الجذري يأتي في المواجهة، في النظر إلى داخلك، والمشي بصدر رحب إلى بوّابة الخوف، حتى ترشدك إلى ذاتك الأصيلة، وعندها ستدرك أن كلّ مخاوفك كانت أوهامًا، فكلّها أفكار مغلوطة عن طبيعتك الأصليّة. عندها ستستمتع بتجميل نَفْسِك، وجمع المال، والاستمتاع بالشهرة، لأنّها أصبحت ألعابًا تستمتع بها، لا ضمادات على الجرح.

وللأسف، فغالبيّة المواد المتداولة في التنمية البشريّة والسيكولوجيّة الكلاسيكيّة، تعمل كضمادات للخوف، وليس باتّجاه المواجهة الحقّة، أو كما قد نصفها، كاستراتيجيّات للتعامل مع الخوف، وليس لمواجهته من الجذر.

ولكن حتى إن لم ترغب بالمواجهة، فالحياة لها طريقتها الخاصّة لتضمن حصول ذلك، فكودات الروح الأصيلة، مُبرمجة لكشف الزيف وليس تلوينه، وإن امتد وقت الزيف

لفترة. فالحياة ستكشف لك مخاوفك الدفينة عاجلاً أم آجلًا، وفيها كلّ الأماكن التي بَعُدْتَ فيها عن الذات.

هذا الكشف يبدأ بهمسات رقيقة، قد تكون على شكل علامات صغيرة، وخَفِيّة في يومك، وإنْ لم تسمع، ازدادت حدّة العلامة، وإنْ لم تسمع، ستُرغمك الحياة على الإنصات بطريقتها الخاصّة، فَتَقْرُصُ أُذُنك بقوّة، وتشدها إلى فم الروح، وهذه الصرامة جزءٌ من رحمة الحياة.

ومهما حاولتَ الحياد عن قانون الرحمة فلن تستطيع، وحتى لو احترفت استراتيجيات المراوغة والتلوي؛ لأنّ كلّ شيء يعمل ضمن هذا.. «قانون الرحمة». فالفضاء الذي يجري فيه التكوين هو الرحمة، والفضاء الذي تُختزن فيه كلّ المعلومات الكونيّة هو الرحمة، والمادة التي تُعجن منه أشكال الحياة المختلفة هي الرحمة، فالرحمة هي المستور، وهي الظاهر.

الرحمة هي الشراب الكوني المتشبّع في ذرات الأكوان كافّة، وهي المادّة الجامعة، التي تُبقي الأرض والكواكب في مساراتها، وبسقوط الرحمة، ستتساقط كلّ الكواكب باللحظة. فلا شيء يَخرُج عن قانون الرحمة، أو يعلو عليه؛ ولذلك، فإنّ الحياة تعمل دائمًا وأبدًا باتّجاه واحد، وهو الرحمة، حتّى إن لم تتوازَ الرحمة مع مفهومك عن الرحمة.

فالرحمة قد لا تكون ما نرغب لها أن تكون؛ لذا تراها أحيانًا كالأمّ الصارمة التي تقف أمامك، ولا تدع لك مجالًا للهروب حتى تنظر إلى داخل نَفْسِك. فأُمّ الرحمة الحنون قد هَندَسَتْ نظام الحياة بدقة لغاية اكتشاف الذات، وفي هذا مصلحتك، ومصلحة الخليقة كافّة، وهذا أعلى درجات الرحمة.

فالسؤال إذًا ليس ما إذا كانت الحياة رحيمة أَم لا، بل هل أنت متناغم مع قانون الرحمة، أَم أنّك تحاول مقاومته؟

والغالبية العظمى من الناس تقاوم الرحمة، وتحاربها بكلّ ما أوتيت من قوّة، وغالبًا دون الوعي بذلك. وطرق المقاومة للرحمة كثيرة ومتعدّدة، ولكن أكثر البرمجيات الفكريّة مقاوَمةً للرحمة، وبالتالي مقاومة للتطوّر السريع الذي ينشأ من قانون الرحمة، هي البرمجة المغلوطة للسبب والمُسبّب، أو الفهم المغلوط لهما.

تَرى العامّة «السبب والمسبّب» بمراحل أربعة (والذي ألهمني لها في البداية مايكل نيل Michael Neill)، وفي كلّ مرحلة يَرتقي فيها التناغم مع قانون الرحمة، ومعه الارتقاء بسرعة التعلّم مع الحياة. ففي المرحلة الأُولى، يَرى الشخص المُسبّب لأحاسيسه من الخارج دائمًا وأبدًا، فهو هنا ضحيّة للعالم الخارجي، يعمل كالروبوت المُبَرمج على ردود الفعل الأوتوماتيكيّة. هنا يعيش الشخص في حالة من الاستفزاز الدائم، فكلّ كلمة تَستفزّه، وكلّ شخص يَستفزّه،

وكلّ موقف يَستفزّه، والسبب يَبقى من الخارج دائمًا وأبدًا. لنا أنْ نُسمِّيَ هذه المرحلة من السببيّة المغلوطة بالضحيّة.

ثمّ تأتي المرحلة الثانية من السببيّة، وهي الارتقاء ما بعد الضحيّة إلى التحدي، فهنا مُسبب الإحساس من الخارج، ولكنّك لن تدع أيَّ شخص يَحُطُّ من عزيمتك، وستتحدى وتتحدى. هنا يبدأ العشق للمواد الكلاسيكيّة في التحميس، والتي تُنادي دائمًا بالتحدّي والصلابة، وتجاهل كلام الناس، والإصرار على خطّتك وأهدافك، وهذه المرحلة بالطّبع أفضل من الضحيّة، لكنّك ستصطدم فيها بسقف وَهميّ بَعدَ حين، وخصوصًا عندما تكتشف أنّ هذه الذهنيَّة لن تُجدي النفع في كافّة الأوقات. عندها قد يرتقي وعيك إلى فهمٍ أعلى للسبب والمُسبّب، ليَصل إلى المرحلة الثالثة، وهي مرحلة المنظور.

في مرحلة المنظور يبقى المُسبّب للإحساس خارجيًا، ولكن يُمكِنُك التلاعب به، وتغييره باستعمال قوّة المنظور، فإن خسرتَ، وأحسست بالألم من الخسارة، فستغير منظورك عن الخسارة لتصبح فرصة للتعلّم. ولكن، بالرغم من قوّة المنظور وفاعليّته، فقد يسعفك أحيانًا، وأحيانًا لا، فالخسارة بحدّ ذاتها هي فكرة في النهاية.

وعادةً ما يَعمل الشخص على هذه المستويات الثلاثة تباعًا، وإنْ ارتفع مستوى التمكين من مرحلة إلى أخرى، لكن تَبْقى

كلّ هذه المراحل من السبب والمسبّب... هل أنت جاهزٌ للإجابة؟

تبقى وَهْمًا...

هذه المستويات الثلاثة وَهْم؛ لأنّها تَجزِم أنّ مسبّب الإحساس هو خارجي، متوازية مع فرضيّة المُسبّب الخارجي للخبرة الإنسانيّة، فالمراحل الثلاثة الأُولى تنوّمك مغناطيسيًّا، عن المكان الذي تَنبُع منه الخبرة الإنسانيّة، وهو من الداخل، وتبقى بذلك عالقًا في دوّامة البحث الخارجي عن الذات.

وهنا تأتي المرحلة الرابعة للسبب والمسبّب، أو بالأحرى المرحلة الوحيدة الموجودة، وهي الداخليّة، فمَصْدَر أحاسيسك كُلّها من أفكارك (أو بالأحرى أن نقول الأفكار التي بُرمجت عليها لتظن أنها أفكارك!)؛ لذلك، فالمراحل الثلاثة الأولى هي نوع من الوَهْمِ الذهني المُبرمَج.

ولكن، كيف لنا أن نُثبِت أنّها وَهْم، وأنّ سبب كلّ الأحاسيس داخليٌّ، ونابع من أفكارك؟

للإثبات، اسمح لي بأن آخذك في جولة صغيرة، وهي جولة إلى زاويتي الصغيرة من المنطق.

من أبسط وأسرع طُرُق التمييز بين الوَهْم والصدق، هو التعامل مع الثوابت الكونيّة، فالثوابت الكونيّة لا تكذب، وإن شئنا ذلك، وهذا سرّنا الصغير.

أسرع طريقة للتمييز بين الوهم والصدق، هو استعمال الثوابت الكونيّة.

ولكن ما هو المقصود من الثابت الكونيّ؟ الثابت الكونيّ هو من يَبقى ثابتًا بتغيير الزمان، أو المكان، أوالأشخاص، أو المعتقدات، فمثلًا، الجاذبيّة الأرضيّة ثابت كوني غيرُ متغيّر، فإن قفزتَ من سطح عمارة سَتَقع، بغضِّ النظر أين كنت، وبأيِّ عصر، ومهما كان عمرك، أو معتقداتك (ونحن لا نتكلّم هنا عن القدرات الخارقة). وإنْ قفز عشرة أشخاص من مبنى، وكانوا من أعمارٍ وطوائف مختلفة، وعلى أوصافٍ مختلفة، وفيهم السمين والنحيف، والعالِم باللغة والأمّي، فماذا سيحصل عندما يقفزون من العمارة؟ الإجابة هي ذاتها، وإن كرّرتَ هذة التجربة بعد عشر سنين، أو ألف سنة فسيقعون أيضًا. فبِغَضّ النظر عن الفوارق الخارجيّة، أو حتى إذا آمن الناس أنّهم سيقعون أم لا، فسيقعون، والسبب بسيط، وهو أن الجاذبيّة الأرضيّة ثابت كوني.

وبالرّغم من أنّ الجاذبيّة الأرضيّة ثابت كونيّ، إلّا أنّ الإنسان لم يعرف بوجودها إلَّا منذ وقت قريب؛ لأنّها قوّة غير مرئيّة، حتى لو كانت نتائجها واضحة، لذلك، فقبْل اكتشاف الجاذبيّة الأرضيّة، تهوَّر البعض، وقفز من الارتفاعات العالية ظانّين أنّهم يستطيعون التحليق؛ لأنّهم اعتقدوا أنّ أسباب السقوط شخصيّة، ولا تنطبق عليهم، وعند

اكتشاف حقيقة الجاذبيّة الأرضيّة، انجلى هذا الوهم. وليس هذا فحسب، بل استطاع الإنسان استعمال هذا الحقيقة لصالحه، بتطويع مهاراته الذهنية بحسب الثابت الكوني، فاخترعنا المصاعد، وغيرها من الاختراعات التي تُسَخِّرُ الثابت الكوني لمصلحة الإنسان.

قد يبدو هذا المثال غريبًا، وليس له أيّة علاقة بالحوار الأصليّ عن السبب والمُسبّب، ولكن في الحقيقة له كلّ العلاقة، فالسبب والمُسبّب يَحْكُمُهما ثابتٌ كونيّ أيضًا، ونحن نجهله حتى الآن، وجهلنا به لا يُغيّره، وإنّما يُبعدنا عن ذاتنا الأصليّة، ويُبعدنا عن عطيّات الرحمة التي تتدفق تلقائيًّا من النظر باتجاه هذا الثابت.

يعمل الثابت الكونيّ على المستوى الرابع من السببيّة، وهو أنّ كلّ شخص في أي زمان ومكان يَحسُّ أفكاره، سواءً أكان يَعي بها أم لا. فإنْ كان الشخص متوتّرًا، فسبب التوتّر فكرة متوتِّرة يختبرها الشخص في نفسه تلك اللحظة، وهذا من دون شك ثابتٌ كونيّ. ولو كانت القضيّة معكوسة، وكان سبب توتُّراتك من مَصدَر خارجيّ، فإنّ هذا المَصْدَر سيسبّب الإحساس نفسه لكلّ شخص في العالم، وفي كلّ مكان، وفي كلّ زمان، وعلى اختلاف المعتقدات، ونحن نعرف أنّ هذا غير صحيح، فحتّى أنت قد تحسّ بالتوتر من المَصدَر نفسه

مرّة، وتَجِدُكَ في وقتٍ آخر لا تتأثر به، فهل نستطيع أن نُطلِق على ذلك بالثابت الكونيّ؟

وقد تُفكِّر الآن: «الحوار جميل حتى الآن، وفيه شيءٌ من المنطق، ولكن أين العمليّة في ذلك؟».

قد لا أبالغ حين أقول إنّ الفهم الحقيقيّ لمَصْدَر السبب، والمُسبّب هو أساس العمليّة، والمؤثّر الأوّل، والأخير على كلّ نتائج حياتك. وقُدرتك على التجاوب مع هذا الثابث هو تجاوب لقانون الرحمة بالتغيير السريع واليسير.

للتوضيح، دعنا نطرح مثالًا قد يبدو فيه التغيير فيه بالصعب، أو البطيء جدًّا، وهذا المثال هو الرُّهاب أو «الفوبيا Fobia».

الرُّهاب هو الخوف الشديد من شيءٍ معيَّن كالطيران، أو المصاعد، أو أنواع معيّنة من الحيوانات، وهو من الأمثلة التي أحب أحيانًا أن أطبّقها مباشرة أمام الجمهور، لإيضاح مفهوم السببيّة. فمثلًا، في أحد الحوارات التي أدرتُها، سألتُ إنْ كان هناك شخصٌ في الجمهور لديه رهابٌ معيّن، لأنهيه فورًا أمام الجميع، ودونَ أن أعرف سببه، وهذا هو السحر، فلا أريدُ أن أعرف نوع الرُّهاب، ولماذا أريد معرفته؟ فذلك لن يُقدّم، أو يُؤخّر عمليّة الشفاء.

رفع حينها أحد الأشخاص يده، فطلبت منه الجلوس أمام الجميع؛ لأبدأ بمعالجة رُهابه باستخدام بعض الأساليب التي

استحدثتها في العلاج الخيميائي، وفي أقلّ من عشر دقائق تمّ الشفاء. كلّ ما فعلته حينها، هو أنّني أَعطيته الفرصة ليَرى ما بعد إحساس عدم الأمان، ليتجاوز هذا الاختناق الطاقيّ، وحتى الآن لا أعرف نوع الرُّهاب الذي كان عنده، ولا أهتمُّ بمعرفته.

لك أن تفترض أنّ هذا الشخص نفسه ذهب إلى مدرّب، أو معالِج نفسيّ يَجهَل مفهوم السببيّة على المستوى الرابع، وقال له: إنّ سبب الفوبيا هي من المصاعد. حينها سيبدآن سويًّا جلسةً بعد الأخرى لمعالجة الخوف من المصاعد، وقد يستغرق الأمر سنوات، بالتخفيف التدريجيّ للخوف من المصاعد. ولكن، هذا الحل هو الطريق البطيء جدًّا، هذا إن وصلا إلى الحلّ أصلًا؛ لأنّ الفرضيّة مغلوطة منذ البداية، وهي أنّ سبب الخوف من المصعد.

هي مغلوطة؛ لأنّها لو كانت ثابتًا كونيًّا، لَسَبَّبَ المصعد الخوف لكلّ إنسانٍ في أي مكان، وأي زمان! وعند التيقُّن من أنّ المصعد ليس مسبّب الخوف، وإنّما السبب هو تفعيل أفكار الخوف في تلك اللحظة، مع الإحساس الناتج معها، سيُعرفُ أنّ المصعد هو فقَط الزناد الذي تَظهر فيه فكرة الخوف، وعندها سيختلف أسلوب، ومنهج الشفاء تمامًا.

هذا هو السبب الرئيسي لبُطء العلاج النفسيّ، والتدريب التقليديّ؛ لأنّه يعمل على فرضيّه المُسبّب الخارجي، ليغوص

في نظريات معقدة جِدًّا وحوارات ذِهنيّه لا تنتهي، قد تأخذ المتدرب إلى أولى ذكريات الطفولة، التي أحسّ بها بالخوف من المصاعد، وقِس على ذلك؛ لذلك بمعرفتك أنّ مسبّب الأحاسيس هو من أفكارك فقَط لا غير، وليس القصّة التي يُؤشّر فيها ذهنك للخارج، وهذا يتضمّن الماضي، سترتفع مباشرة قدرتك على التغيير، أكثر من الغالبيّه العظمى من المعالجين النفسيين، وهذا سرّنا الصغير.

بمعرفتك أنّ أفكارك هي المُسبّب لأحاسيسك، وليس العالم الخارجيّ، سترتفع قدرتك على التغيير مباشرة.

ولا تظن المقصد هنا أن تُرغم نَفْسِك لترى أن مصدر الأحاسيس من الداخل، فحتى إن حاولتَ لن تستطيع، ولا أظن أن هناك إنسانًا على وجه الأرض قادر على رؤية الخبرة الإنسانيّة مطلقًا من الداخل، طوال الوقت، وهذا طبيعيّ. حتى أنا العارف بهذا الثابت، أرى مُسبّب الأحاسيس في كثير من الأحيان من الخارج، سواءً من الأشخاص، الجَوّ، المال، المشروع الذي أعمل عليه، البلاد، المرض، وكما قلت هذا طبيعيّ.

ولكن بالرغم من أنّي أرى الحياة من الخارج في كثيرٍ من الأوقات، لكنّي على يقينٍ كامل، أنّه بِغضِّ النظر عن كيفيّة رؤيتي لها في اللحظة، فالحقيقة أنّها لا تحصل إلّا من الداخل. فخبرة الحياة تتجلّى من داخل طاقتك الابتكارية، فأنت الخلاق

لخبرتك الإنسانية. ولمعرفتي بهذه الحقيقة الكونيّة، تراني أَعود سريعًا إلى التناغم مع المستوى الرابع من السببيّة، وهنا ينتهي الصراع فورًا، وأعود إلى الذات، أعود إلى اللحظة.

فقد أكون أُصارع؛ لأنّه عليّ أنْ أُنفِّذ المشروع غدًا، ولكن عندما يَرجع إليّ اليقين، بأنّها مجرّد فكرةٍ متوتِّرة تسافر بالزمن، يَحصُل الانفصال عن الفكرة، ليعود ذِهني رويّة رويّة إلى بُعد اللحظة، إلى بُعد الآن، وفي «الآن» يُلمس السكون، والسكون هو الأقرب لذاتك الأصليّة. عندها ستجد الحِكمة، والحلول البسيطة التي تسعفك، أو قد تكتشف أنّه منذ البداية لم يكن هناك مشكله لِحلّها أصلًا! وهذا الغالب.

وعندما يتزايد فهمك لداخليّة الخبرة الإنسانيّة، ستبدأ بالعودة أكثر وأكثر لبُعد اللحظة، ليتّضح لك

من هذا البُعْد الصافي، ميكانيكيَّة عمل الذهن كما هي، من الداخل إلى الخارج. وهذه الميكانيكيّه ستأخذ بالتزايد، فالثابت الكونيّ سيُبرهِن لك نفسه مرّة بعد أخرى، حتّى لا تستطيع أنكاره، فقد تبدأ برؤيته بالعمل، ثم العلاقات، ثم الصحة، وكأنها أحجار دومينو، تبدأ واحدة بالسقوط، لتَسقُط كلّ الأحجار الأخرى تِباعًا. فعلى سبيل المثال: عندما بَدَأَتْ داخليّة الخبرة الإنسانيّة بالتفتّح في نفسي، كنتُ أراها هنا وهناك، حتى أصبحتْ مثل اللعبة الممتعة، تغريني لفتح آفاقَ جديدة في ذهني، متحدّيةً منظوري الكلاسيكي عن طريقة

عمل الذهن، حتى وصل التحدِّي إلى الجو البارد في إسكتلندا، مكان دراستي في الماجستير والدكتوراه. كنت أمقت الأجواء في إسكتلندا، ومهما حاولت أن أغير منظوري عنه في السابق، لم أكن أجد الحل الشافي الذي يرضي ضميري. ثم بدأت أتلاعب بمفهوم الداخليّة، مع خبرتي مع الجو، حينها بدأت ألاحظ، أنه عندما تبدأ السماء بالأمطار، بإنزال أول قَطْرة، فالناس تحسّ فورًا بالبرودة، وكأنّه نوعٌ من البرمجه الجمعيّة للبرودة، وهنا بدأتُ أرى دَوْرَ التفكير في خبرة الجو. بالتلاعب أكثر في هذا المَنْحى الفكري، بدأتُ ألاحظ هذا إني قادر على إحساس البرودة بطريقة مختلفة تمامًا، باختبارها من فضاء الأمان الداخليّ، ومن دون مقاومة، فتتحوّل الخبرة إلى عمق غير مسبوق. وكأنّ البرودة تسري في جسدي كشعور منعش نقي من دون أية مُعاناة.

وأنا أعي الآن، أنّه حتى أحاسيس البرودة هي معلومات فكريّة تسري في النفس، فحواسُّنا الخمسة تُفَعّل بالأفكار. نعم حتّى الأجواء هي خبرة أفكارك، وهذا ما احترفه، ويُعلمه «ويم هوف Wim Hof» الحاصل على ٢١ رقمًا قياسيًّا في موسوعة جينس للأرقام القياسيّة لتغيير حالة الطقس من داخل ذهنه.

وليس المقصد مما أقول، هو أني أُفضّل الأجواء الباردة الآن، على العكس، فما زلتُ أُفضِّل الأجواء المشمسة،

فجسدي يُحبّ الشمس، ولكنّي أدري أنّ خبرة الأجواء تَبقى داخليّة؛ لذلك إنْ كنتُ في أجواءٍ باردة، فلا أُعاني منها، بل قد أستمتع بها كما هي، إلّا إذا عَلِقَت في تفكيري، وهذا لحظي.

وما أحلاه من شعور أن تدري أنّ حتى الأجواء، ليست خلّاقة لخبرتك، وإنما أنت. هنا تزخر قوّتك الحقيقيّة، لأنّك أنت المُشكّل لخبرتك الإنسانيّة على الأرض، أنت المشكلّ لواقعك، لتدرك أنّ المعاناة لا تأتي من «الواقع»، وإنّما من أفكارك، وبالتحديد من المقاومة الفكريّة لما يَحدث باللحظة؛ لأنّ المقاومة تعميك عن رؤية الجَمال والعُمق الساكن في كل لحظة، وهذا سرّنا الصغير.

السبب الرئيسيّ للمعاناة، هي المقاومة الفكريّة لما يَحدث في اللحظة.

مقاومة اللحظة، هي مقاومة لطاقة الخلق الابتكارية، وفيها رفض صارخ لكينونة الحياة...

لذلك، التقبّل هو مفتاح الاستمتاع بالحياة، والتقبّل لا يعني «الرضا الكاذب» بأن «تحتمل» الظروف كما هي، وإن كانت لا تناسبك، ولا تناسب احترامك لذاتك، والتقبل لا يعني أن تُهمِل قُدرتك الأصليّة على تغيير ما لا تُفضّل، بل على العكس تمامًا، فالتقبّل هو أسرع طريقه للتغيير والتطوّر. فلا يُمكن أن تُغيّر ما ترفضه؛ لأنّك بالرفض لن تتعلم الدروس المُخزّنة في قلب الموقف الرافض له، وستبقى عالقًا في

مستوى الوعي القديم. ففي المثال السابق عن الأجواء، إن لم أَرَ خبرة الجوّ من فضاء التقبّل والسماحيّة، لم أَكُن لأستشفّ دروسًا عميقة عن نفسي في الأجواء الباردة، فالتقبّل يُخرج الدرس من داخل أي موقف بيسر وسرعة مهما بدت شدّته الظاهريّة، ليأخذك إلى عمق أكبر في اكتشاف الذات، حينها يفك اللغز، ليرتفع الوعي تلقائيًّا للمستوى الذي بعده. المستوى الجديد في لعبة الحياة الروحيّة.

التقبّل هو ليست حالةً ذهنيّه تَصِلُها بالإكراه، وإنّما بالعمل مع القوى المتضادة، وهذه المعلومة وحدها أخذتني سنين طويلة لتتضح بذهني بالبساطة التي سأقدمها لك الآن.

عند محاولتك لقبول الموقف كما هو، فأنت تخلق مقاومة وعنادًا أكبر للجزء الرافض له أصلًا؛ لذلك الحل لهذه المعضلة بسيط جدًّا، بجمع النقائض، وبالقول: «أن أتقبل كذا، وأتقبل الجزء الرافض فيَّ لكذا». ففي حالة الأجواء الباردة أنا أتقبل أحاسيس البرودة، وأتقبل الجزء الرافض مني لأحاسيس البرودة، وهكذا ستتحول كل الصراعات إلى جسر للذات.

فالذات الأصليّة هي تقبُّل كائن، وقائم لكل النقائض الذهنية، هي كينونتك، هي أنت، أنت الأصليّة، فطبيعتك الأصليّة هي فضاءٌ من التقبّل والسماحية. وهذا يتضمن أكثر التعابير

تناغمًا مع الذات، وأكثرها حيادًا عن الذات، والمساحة بينهما ليست محدودة؛ لأنّ مَصدَرَ الحياة ليس محدود.

التقبّل هو سرّ الوجود؛ لأنّ الوجود فيه تقبّل ضمنيّ لكلّ تجلِّياته، وهذا هو تعريف الحُبّ غير المشروط من الحياة للحياة.

هذا التقبّل سيزداد ضمنيًّا بتعمُّق فهمك لداخليّة الخبرة الإنسانيّة؛ لأنّه بهذا، ستنتقل وِجهة تركيزك من الخارج إلى الداخل، وفي هذا التوجّه الضمني إلى الذات الأصليّة. لكن تيقّن أن برمجة المسبّب الخارجي، مزروعة بخلايا الإنسانيّة منذ عقودٍ وعقود، ومُتَجذّرة من رأسنا إلى أخمص قدمينا؛ لذلك نرى من الندرة أن نَجِد شخصًا يُشعّ منه تقبّل الذات، ويتجلّى فيه نجم التعبير الساطع.

برمجة المسبّب الخارجيّ، هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن رفض الذات، وهذا أساس العبودية الإنسانية، بل هي روح العبوديّة؛ لأنّها تَستَعبِد الإنسان برفضه لذاته، وهذا أكثر السجون طغيانًا.

فمن بحث عن تقبّل الذات في الخارج، فهو ضمنيًّا رافض لها؛ لذا يَبقى في حالة خوف، وأحكام، وإلهاء طاقيّ مستمر، بالبحث الخارجيّ عن مَصدَر تقبّله وحِكمته وقوّته، لتراه يُقدّس جهات خارجيّة، ويَعبُد أفكارًا مكرّرة. هذا الشخص

سيركض لاهثًا للبحث عن مفاتيح الإجابات هنا وهناك، علّه يجد في شخص أو جهة ما مفاتيح الإجابة.

وكيف لا يَبحث عند ذلك الشخص، وهو يبدو عليه الجلال، والورع بلباسه الأبيض الناصع، ولحيته الطويلة المُنسدلة، ومسبحته الرنَّانة، والتزامه بالشرائع. أو قد يَبحثُ عن الإجابة في هذا الكتاب، أو ذاك، أو ذاك، أو ذاك، وفي نهاية هذا البحث لن يجد إلّا السراب؛ لأن الإجابة دائمًا وأبدًا من داخلك، فرحلتك فريدة، وطرقها فريدة، وإجابتها فريدة، ولن تَجِدَ الإجابات إلّا في قلب قلبك. فحتّى كلمات الكتب الروحية لا تَحِمل الإجابات؛ لأنّها من داخلك، فالكتاب ليس بالمجيب، وإنّما بالمرشد والمذكّر بما تَعرِف في ذاتك.

ولهذا سيبدأ الكتاب هنا بتفتيت وهم البحث الخارجيّ، باستعمال تكنولوجيّات روحيّة فعّالة، لتُبقيك في تركيزٍ دائمٍ على عُمق الذات، والتعبير المتجدّد عنها.

للتذكير:

* مهما حاولت الهروب من «عدم الأمان» في الإلهاء الخارجي، سيلاحقك حتى تواجهه من داخلك.

* هناك ٤ مراحل لرؤية السبب والنتيجة فيما تُحس، والبُعد الرابع هو الأدقّ.

* قانون الرحمة يعمل باتجاه اكتشاف الذات، سواءً أحببت، أم لم تحب.

* تقبل الذات يختلف عن الرضا الكاذب، بتحمُّل ما لا تريد.
* تقبل الخبرة اللحظية كما هي، هو أسرع طريقة لتعلم الدروس، والتطور المستمر.

أسئلة للتفكر:

ما الذي تحاول الهروب منه بالإلهاء الخارجي؟

هل ستحب نفسك أكثر إن اخترت مواجهته في وقت من اختيارك؟

ماذا سيحدث لو غيَّرت تعاملك مع ما ترفض وجوده في حياتك إلى تقبّل؟

لماذا تقبُّل الخبرة اللحظية سيحدث ثورة في حياتك؟

التكنولوجيا الروحيّة

واحدةٌ من أكبر مشكلات التطوّر التكنولوجي، هو الحِياد عن المكان الأصليّ الذي تُطلِق فيها التكنولوجيا إمكاناتها الكاملة، وهي التكنولوجيا الروحيّة، فعلى الرغم من أنّ مفهوم التكنولوجيا حديث الولادة، ولكن التكنولوجيا الحقّة، هي قديمة قدم الزمان، ولكن كيف يكون ذلك؟ للتوضيح دعنا نُعرّفك على ماهية التكنولوجيا.

أليست التكنولوجيا مجرّد وسيلة لتسريع الوصول إلى الهدف، بتوفير الطاقة، والوقت، والجهد المبذول. فهل تَذكُرعندما كنّا نَبعَثُ الرسائل الخطيّة بالبريد، لتَظهَر بعدها تكنولوجيا البريد الإلكتروني، فما الفارق بينهما، غير الطبعة الرومنسيّة في الرسائل الورقيّه؟ الفارق هو التسريع الخارق لتبادل المعلومات.

فلماذا لا يكون هناك إذًا تكنولوجيات روحيّة تقوم بالمثل على مستوى الذهن الإنساني؟ كوسيلة مسرّعه لرفع الوعي، والقدرة على تحميل الحِكمه، وهذا موجود، وهو بالضبط ما فَعَلَتهُ الكثير من الحضارات القديمة.

قدَّمت الحضارات القديمة عبر العصور تكنولوجيات روحيّة غايه بالتطور، والتي ساهمت بقوّة في رفع الوعي الكلّي، وتيسير التطوّر الإنساني، والأهرامات في مصر مثال حيٌّ

على ذلك، فهي تعمل كتكنولوجيا مستنيرة، حالها حال اللاقِط، الذي يلتقَط تردّدات معيّنة من الأثير، بهدف تحميل إدراكات نجميّة مرتفعة. فالأهرامات وغيرها الكثير من التكنولوجيا القديمة، قد استُحدِثت، وصُمّمت بدقّة متناهيه، مستخدمةً قوانين الهندسة المقدّسة، والعلاقة مع الأبعاد النجمية، لرفع الوعي الإنسانيّ.

وقد تُفكّر الآن ما المغزى من هذا الكلام، هل تريدني أن أَبني هَرَمًا؟ إن كانت هذه رغبتك الصادقة، فَلِمَ لا؟! ولكنّ المغزى أَبْسَط من ذلك بكثير، بأنْ تُسخِّر التكنولوجيات الروحيّة الموجودة بالطبيعة الآن، وبوفرة غير متناهية، لتسريع عمليّة اكتشاف ذاتك، والتعبير الصادق عنها. وهنا سنقترح عليك ثلاثَ تكنولوجيّات بسيطة، وذات فاعليّة سِحريّه عند تفعيلها، وتطويرها بطريقتك الخاصّة.

فلنبدأ بالتكنولوجيا الأُولى، وهي ستَبقَى من أكثر التكنولوجيّات فاعليّةً على الإطلاق، ومهما تغيّر الزمان، فهذه التكنولوجيا لم تَفقِد وهجها، ولن تَشيبَ قدرتها، هل أنت متشوّق لتعرف ما هي؟

إنها التنفّس! نعم ببساطة التنفّس.

التكنولوجيا الأولى: التنفّس:

التنفّس هو وسيلة الاتصال مع الروح، فالتنفّس هو أقرب تعبيرٍ مرئيّ، للروح غير المرئيّة، وحتى أصل كلمة

«التنفس» تعني «من الروح»؛ لذلك نرى تكنولوجيا التنفّس، مستعملة في أنواع كثيره من التأمّل، واليوغا، وغيرهما، وهذا سرّنا الصغير.

التنفّس هو التعبير الأقرب للروح.

التنفّس هو من أحدث التكنولوجيات الرافدة لعمليّة اكتشاف الذات، فإيّاك أن تستهين بقوّة التنفّس، لِوفرته فقَط، فوفرة العنصر لا تعني بتاتًا الاستغلال الكامل لقدراته، على العكس تمامًا، فبالكادِ نرى العامّة يتنفّسون بِعُمق، ويُفَعِّلونَ بِوَعيٍ تكنولوجيا التنفّس. لهذا نرى الكثير من الأبحاث تقول إنّ الدماغ لا يأخذ أكثر من ١٥ ٪ من حاجته اليوميّه من الأكسجين، بسبب التنفّس اللّا واعي. وكيف تتوقع لهذا الشح بالنَّفَس، أنْ يُؤثّر على أدائِك، واتصالك الداخلي، وإحساس باليَقَظَة اللحظيّة؟

فالسؤال إذًا: كيف لك أن تُفَعِّل تكنولوجيا التنفّس لأعظم استخدماتها، ومن الحرص أن لا نقول «أعظم»؛ لأنّه مهما ارتفعنا في الوعي، سنبقى جاهلين بقوّة هذه التكنولوجيا، وقدرتها الفائقة على التمكين. فلنبدأ بالأساس، وبعدها تستطيع أن تُطلِق لنَفْسِك العنان، لاكتشاف طُرُقٍ أخرى لتسخير التنفّس في رِفعة الوعي.

وسنُقدّم لك هنا نوعين فعّالين من التنفّس، الأوّل: هو التنفّس العميق من المَعِدة، وهذا يعني تنفّسًا عميقًا وبطيئًا، من خلال

مَعِدتك وخارجها. وهذا يختلف عن الطريقة التي نَتنفَّس بها من غير وعي، بتحريك الحِجاب الحاجِز إلى الأعلى والأسفل، فالتنفّس العميق يحرّك المَعِدة للأمام والخلف، وليس الحِجاب الحاجِز. ولك أن تبدأ بالتمرّس على تنفّس المعدة من الآن، حتى يُصبح جزءًا من حياتك اليوميّة، فَتَراكَ تمشي وتتنفّس، وتتّصل مع الناس وتتنفّس، وتشاهد الأفلام وتتنفّس، حتى يتحوّل التنفّس إلى جزءٍ من طبيعتك الذاتيّة، وشاحنٍ دائمٍ لطاقتك.

ولا تُفكّر بالبداية إن كنتَ تتنفّس بطريقةٍ صحيحة أو خاطئة، بل دَع التدريب يَنضُج بعفوية، وَدَعْ ذكاءك الجسميّ يقودك لتُرَدّد أفضل وأفضل من التنفس، وكلّ ما عليك فعله هو التشبُّث ببساطة التنفّس العميق من داخل وخارج المعدة، مع فاصلٍ بالمنتصف. وبازدياد تمرُّسك بالتنفّس، ستبدأُ فِطنتك بالارتفاع، ومَعها قُدرتك على ترويض الأنشطة الفكريّة المُبالغ بها.

فعند تَسارُع أنشطتك الفكريّة،هذا هو أهم وقت للتنفّس، لِتُعيد نَفْسَك إلى حالة التدفّق والانسياب مع الحياة، فالتدفّق لا يأتي كما تَبَرمَجنا عليه مجتمعيّا من التفكير الزائد، بل عند تباطؤ الأنشطة الفكريّة بالذهن، والعودة إلى الجسد؛ لذا احرص مع عمليّة التنفّس، أن تَنقُل تركيزك رويّا إلى مكان التنفّس داخل

جسمك. فالجسم هو المجسِّد الفيزيائي لقوّتك الخاصّة؛ لأنّ الجسم قاطنٌ في بُعد اللحظة.

ولتوضيح أهميّة التنفّس، لك أنْ تتخيّل هذا المثال الافتراضيّ: أنّك تمشي برفقة صديقك بالشارع، ومن دون سابق إنذار، بدأ التوتّر يدبُّ فيك، وعندها بدأ صديقك بملاحظة حالتك، فتجاعيد وَجهِكَ أَخَذَتْ بالظهور، وأَكتافُكَ ارتفعت، وتسمّرت إلى الأعلى، فسألك صديقك: «ما بك؟» فنَظَرْتَ إليه، والسؤال قادك لتفقُّدِ ما في داخلك، لتجيب: «أنا متوتّر بسبب الأسبوع القادم، لأنّه عليَّ أنْ أُقدّم مشروعًا أمام الناس، وأنا أَرتَعِبُ من التحدُّث أمام الناس».

وتخيّل أنّه في تلك الحظة، أنّ صديقك لديه قُدرَةٌ سِحريّه للوُلوجِ إلى داخل جسمك، ليَرى ما يَحصُلُ في داخلَك...

فسيرى أنّ جهازك العصبيّ قد أطلق صافرة الإنذار، وتفعَّلت فيك حالة النجاة، ليتلاشى معها الإحساس الضمنيّ بالأمان، وهذه الحالة من النجاة هي شبيهةٌ بالمواجهةِ مع الموت، وكأنّ المَوقِف يَظهَرُ حرفيًّا في نفسك كخيار حياةٍ أو موت؛ لذلك في تلك اللحظة سيكون آخر شيءٍ تُفكّرُ فيه، هو الاستمتاع بالجَمال من حولك، أوالاتصال العميق مع صديقك، وكيف تَفْعَلُ ذلك، وأنت في حاله نجاة؟!

لذا ستتسارع طاقتك الذهنيّة إلى مشروع الأسبوع القادم مع خطٍّ المستقبل الوهمي، للقدوم بأيّ حلول لحظيّة، للتخلّص من هذا الخطرالمُحْدِق.

تخيّل أنّ كلّ هذا حدث داخل ذهنك، ومن دون خطرٍ حقيقيٍّ في اللحظه، وتخيّل هنا أنّه في وسط الخوف والضوضاء الذهنيَّة التي تعيشها، أَخَذَ صديقك بالنظر إلى عينك، ليقول لك: تنفّس، فقَط تنفّس، ولكنّك لم تَسمع ما يقول، لضجيج الأفكار في رأسك التي تشابه ضجيج المدينة الصاخب، ليُعيد على مسامعك، وبصوتٍ أكثر حنيّة، فقَط تنفّس، وحينها يعود لك بعضٌ من الإدراك، لتبدأ بالتنفّس العميق، وتعود تدريجيًّا من القصّة الذهنيَّة في رأسك إلى جسدك. بذلك تعود تدريجيًّا إلى بُعد اللحظة الساكن، لتَعي حينها أنّ إنذار الخطر كان وهمًا فقط لا غير، فلا شيء في تلك اللحظة يستوجب الخطر، إلّا إذا قفز أسد أمامك حينها! وغير ذلك كلّ القلق كان رحلة فكريّة ليس إلّا، وهذا سرّنا الصغير.

القلق هو رحله فكريّة في خط الزمان، ليس إلّا.

فتخيّل ماذا سيَحدُث لو أنّك كرّرت التنفّس، كلّ مرّة أحسستَ فيها القلق، وبدل الانجراف إلى قِصّة نظام الخوف وأحاسيسها المرعبة، تَنفّستَ، واستمررتَ بالتنفّس، حتى يرجع الفاصل بينك وبين القصّة الذهنيّة، لتتذكر أنّ سبب القلق، هو أفكارٌ مُقلِقة، وليست حقيقةً فيزيائيّة في الخارج،

فكم من الوقت والجهد ستُوفّر حينها؟ وكم من ردود الفعل اللحظيّة الطائشة ستختصرعلى نَفْسِك؟ فواحدةٌ من العلامات الواضحة لتَسيُّد نظام الخوف عليك، هي الحاجة اللحظيّة لردِّ الفعل السريع، فتراك تتصرّف بطيش من حالة الانفعال اللحظي،

وفورًا، أو تحسّ أنّك لو لم تُفكّر بهذا الموضوع أو تحلّه الآن، فإنّ الحياة ستُدَمّر. وفي ذلك المكان بالذات، تتجلَّى أهميّة التنفّس حتى يرجع رُشدُك، وتأخذ الفعل الراجح، أو قد تكتشف أنّه لا يوجد فعل لأخذه أصلًا، وهذا الغالب.

وقد تُسمّي العامّة هذه الصفه بالعقلانيّه، فالمُتعقّل هو من رَوّض نظام الخوف في نفسه، وتمركز في ذاته، وحينها لا تَفَعُّلُ الخوف فيه يسلبه عقله، ولا حتى الاهتزاز العاطفيّ، يُجبره على ردّ الفعلي اللحظي.

وأَذْكُرُ المرّة الأُولى التي بدأتُ أُدرِكُ فيها أهميّة التعقُّل، عندما قرأتُ عن حِكمة إخناتون، وهو من يُعتقد أنّه أحد المؤسّسين لمدارس الحِكمة السريّة في مصر القديمة، فإخناتون تحدّث عن التعقّل كأَهَمّ الصفات الإنسانيّة لاحترافها. في البِدء، لم أفهم كيف يكون التعقّل بهذه الأهميّة، ولكن لعشقي لأسرار الوعي، والخيمياء التي كشفها المصريّون القدامى، وإعجابي الخالص بحِكمة المدارس السريّة هناك، تلاعبتُ بهذه الفكرة، حتّى تفتّحت زهرة

إدراكي للأهميّة القصوى للتعقّل، ومعها الأهميّة القصوى للتنفّس كَرافِدِ رئيسي للتعقّل.

فَمَن احترف التنفس، وخصوصًا في حالة الطوارئ الكذّابة، لن يحتاج لتصحيح العثرات المتكرّرة من الأفعال المغلوطة، وهي الأفعال التي تَنبُع من مكان الحَيْدِ عن التعقّل؛ لذلك ترى المتعقّل عميق البصيرة، وخارق الفعاليّة، يُسخِّر مجهوده للتطوّر والتقدّم، بَدَلَ التصحيح المستمرّ لعثراتٍ طفوليّة يَسهُل تَعَدّيها.

لاحظ أنّنا لم نَقُل إنّ المتعقّل هو الشخص الذي لا يحس الاهتزاز العاطفيّ، أو لا يتأثّر مع الحياة أبدًا، بل هو مَنْ دَرَّبَ نَفْسَهُ للعودة لمركز الذات بسرعة، بعد الاهتزاز العاطفي، فالمتعقّل ليس مَن قَتَل نظام الخوف، وإحساس النجاة المتأصل فيه، بل مَن روّضه بِحِرَفيَّة. وسيَبقى التنفّس للمتعقّل، أداته المفضّله للترويض، حالها حال المزمار للهندي، الذي يروِّض فيه أفعى الكوبرا، من دون القتال معها.

وإذا بَدَأَتْ تكنولوجيا التنفّس بإغرائك لبساطتها وقوّتها، وأردتَ الخوض أكثر، واستغلال التنفّس بطريقة أخرى، فدعني أعرّفْك على تقنيَّة التنفّس الثانية، التي صُمّمتْ من خلال «هارت ماث HeartMath» للوصول إلى حالة الاتصال السريع مع الذات. أنا شخصيًّا على اطّلاع بأنظمة

هارت ماث المختلفة؛ لأنّي تدرَّبت معهم، وجزءٌ كبيرمن بحثي بالدكتواره سُخّر عن أبحاثهم.
استنتجت هارت ماث أنّه عندما يكون الشخص في حالة اتصال مع القلب، أو كما يطلقون عليها حالات الانسجام الكامل، فالتواصل بين القلب والدماغ يصل ذروته، فترى حدسك اشتدّ، ووضوحك لعناصر اللحظة ازداد. ففي حالة الانسجام يقوم القلب بإيصال رسائل فكريّة للدماغ، للخروج من حالة الخطر، والعودة إلى هدوء اللحظة، فيبدأ الدماغ بتفعيل أماكن بيولوجيّة مختلفة منه، لتفعيل الوعي العالي، والوضوح الحَدْسي، والتحليل الأعمق للمشاكل. وبهذا يَتِمّ الرجوع إلى الانسجام الكامل بين القلب، والدماغ.
للوصول إلى الانسجام تَستَعمِل هارت ماث الكثير من التقنيّات والأنظمة المتطوّرة، والتي تَعتمد في عُمقها على قوّة التنفّس. وسنُعرّفكَ الآن على أسلوب تنفّس بسيط، ابتُدِعَ من هارت ماث لغاية الرجوع السريع إلى حالة الانسجام، والتي يكون فيه الاتصال مع الذات الأصليّة على أَوْجِه.
العمليّة بسيطة وتأخذ ٣ خطوات، الأُولى تبدأ بِنَقل تركيزك لمنطقه القلب. ولتقوم بذلك لك أنْ تتخيّل دائرةً صغيرة من الطاقة في منتصف رأسك، وأنت تنقلها بيُسر وسهولة إلى قلبك، كأنّها تتحرك في المصعد لتنزل إلى العيون، الأنف، الحنجرة، حتى الصدر. ركّز هناك على نبض القلب، لتبدأ

التناغم معه قليلًا قليلًا، بعدها ابدأ بالتنفّس القلبيّ، وكأنّك تتنفَّس من داخل وخارج قلبك، وكأنّ قلبك الذي يتنفّس، دع التنفّس يَطول أكثر من العادة، ويذهب أعمق من العادة.

وفي الخطوة الأخيرة قم بتفعيل إحساس مُعيَّن في منطقة القلب، ودع الإحساس يكون رقيقًا، ومقرونًا بالقلب، كالرفق أوالاهتمام، أو التعاطف، أو التمتّع بالجَمال. قد تقوم بذلك بتفعيل ذكرى معيّنة، لتُحرّكَ بها أحاسيسك القلبيّة، ولكن تنبّه أنْ تَحِسّ الإحساس الآن، بَدَلَ التفكير فيه. عندها ستبدأ العودة إلى حالة الانسجام، وحالة الانسجام هي في غايه الأهميّة، وفي غايه العمليّة، فهي حالة الأداء الأقصى، حيث يسري تدفّق الحياة من خلالك بسهولة. وإنْ أردتَ البحث فيها أكثر، فلك أنْ تتعمَّق في علوم هارت ماث، وأبحاثهم.

وكُلّما تدرّبتَ على الانسجام القلبيّ أكثر فأكثر، ازدادت قُدرتك على العودة له بسرعة أكبر، وسأنصحك أن تضع وقتًا معيّنًا للتدريب على الانسجام، مثلًا: قبل وجبات طعامك، أو ما تراه مناسبًا لضمان تَذَكُّر التدريب. هو ليس بالتدريب المُضني، ولا يأخذ أكثر من دقيقتين كلّ مرة، وبالنهاية ستسطيع فِعله وأنت تمشي، وتقوم بمهامّك اليوميّة.

التكنولوجيا الثانِيَة: الخيال الموجه:

لسنين كثيرة كنتُ أسمعُ عن قوّة الخيال الكبيرة، وخصوصًا عندما وصفها «نابليون هيل Napoleon Hill» في كتابه

«فَكّر وازدَدْ ثراءً»، بالقوّة غير المحدودة، والذي أخذ منه أكثر من ٢٥ سنة لكتابته، بعد التعمّق بالبحث مع أكثر من ٥٠٠ شخصيّة في أمريكا، والذين يعدّون من أكثر الأشخاص ثراءً، وتأثيرًا في العامّة. وبالرغم من هذه التأكيدات، وتدريبي المتواصل على رفع سويّة الخيال، إلّا أنّ شيئًا في داخلي استمرّ بالقول: إنّي لم ألمس من إمكانات الخيال إلّا شعرةً بسيطة.

ولكن كلّ هذا تغيّرعندما ذهبتُ لمدّة يومين إلى «مانشيستر»، لأتابع كورسًا متقدّمًا في الخيمياء الطاقي، والمُستَشَفّ من معرفة المصريين القدامى عن الوعي النجمي (لك أن تتأكد الآن، أنّي أنجرف طاقيًّا لأيّ مكانٍ تفوح منه رائحة المصريّين القدامى، وكأنّها مُذكِّرٌ لما أُوقِن في باطني).

أَذكُر أنّي لم أُرِد الذهاب لذلك الكورس، لأنّي رأيتُ مادّته تَخلو من العمليّة، وتتعدّى حدودَ انفتاحي الذهني، فمؤسّس هذا النظام من الشفاء والذي يُدعى (سِحر النجوم)، أو «ستار ماجيك هيلينج Star Magic Healing» يَغوص بالعمُق عن وعي النجوم والحضارات النجمية، وشبكات التبادل المعلوماتيّ في العالَم، والتلاعب الحاصل فيها، ويتعمَّق في العوالم الداخليّة، ومنها الأحصنة الطائرة والتنانين! وحتى مع اعتباري للانفتاح العقلي كواحدة من قُواي الخارقة، إلّا أنّ هذا المستوى من النقاش فاق مدى امتدادي، أو على الأقل لم

يكن قريبًا للجزء التحليلي مِنّي في ذلك الوقت، ذلك الجزء الذي يظنّ أنّه عارفٌ لكلّ شيءٍ، وهو في الحقيقة أكبر الجاهلين بسِحر الحياة وأسرارها. لذلك قبل الذهاب للكورس أحسست بقمّة التناقض، فرغم غرابة الطرح، لكنّ قلبي بقي ميّالًا إلى هناك، فقرّرتُ أن أُعطيَ الكورس فرصته، وهمَمْتُ بالذهاب، أو بالأحرى لشدّة فضولي القاتلة ذَهَبْت!

في البداية كانت الأحكام تتسارع في رأسي، فالناس هنا غريبون، ومُقّدم الكورس «جيري» غريب، و و و...

وبالرغم من محاولتي المتكرّرة لتعدّي الأحكام، إلّا أَنّها تملّكتني، فقرّرتُ الكفّ عن المقاومه، وقرّرتُ أَن أعيش المغامرة كما هي، وبكافّة عناصرها، ومنها الأحكام. بعد اليوم الأول، والرحلات المتكرّرة في أعماق ذاتي، بَدَأَت الأحكام تتلاشى، لتتحول رويدًا رويدًا لشيءٍ من إثارة المجهول، وبعد اليوم الثاني أحسستُ أنّي أُوقِنُ ما يقول «جيري» في قلبي حقَّ اليقين. بعدها بدأتُ أَقومُ برحلاتي الداخليّة الخاصّة، لأَصِلَ إلى مستوياتٍ ومعارفَ جديدة لم ألمسها من قبل، وكأنّ صَدْرَ الحياة، فَتَحَ لي بوّابة جديدةً وعلى مصراعيها، لم أَعِ وجودها من قبل، وبعدها استكملتُ رحلتي مع «ستار ماجيك»، لِأَنْضَمّ لكورسات المُعلّمين هناك.

لماذا أقُصّ عليك هذه القصّة؟ وما علاقتها بتكنولوجيا الخيال؟

الذي لم أَقُلهُ لك أنّ «ستار ماجيك» تعتمد على الخيال، وأنّي أعني هنا الخيال الجامح، الخيال الذي يعيشه الأطفال، ويذوقون به سِحر الحياة وَوُدّها، لأكتشف بعدها أن الخيال هو أساس علوم الخيمياء كافة، حتى أن الخيميائين يطلقون على الخيال بقطعة الجنة في النفس الإنسانية؛ لذلك كلّ العلاج الخيميائيّ، أوعلوم التحويل الطاقيّ، تَعتمدُ على قوّة الخيال الموجّه بالنيَّة والحَدْس. قد يكون هذا النوع من الخيال أقرب للواقع، لِمَا يُسمّيها الراشدون بالواقع، وإن ابتغينا صِدق المَسلَك لَعَرفنا أنّ الواقع هو وَليد الخيال، وهذا سرُّنا الصغير.

الواقع هو وَليدُ الخيال

فماذا لو كان العالم بِأسره وليد العملية الابتكارية في الخيال، وهذا ليس تقليلًا من شأن العالم، وإنّما إضافة له. عندها سنرى الخيال كعنصرٍ أصيل من الحياة، وخلودها الساحر، وليس مجرّد إضافة نوعيّة، كما يُتداول في الكثير من مجالات تطوير الذات، حيث يُستعمل فيها الخيال الابتكاري، كوسيلة لتخيّل الأهداف الشخصيّة، وبرمجتها في العقل الباطن فقط. في هذا الطرح تبخيسٌ مُشين للخيال، وعلاقته الضمنيّة مع روح الحياة الأصيل.

وعندما يرى الواقع كما هو، بالتصاقه الضّمنيّ مع وَحيِ الخيال، سيرتقي فيكَ إحساس السِحر، واحتماليّات الحياة اللّا محدودة، فالحياة على هذا البعد تخلو من الجموديّة، وتتحوَّل إلى لعبة خياليّة لتَجبلِها وتُشكّلها. هذا الخيال الساحر، ليس منفصلًا عن الالتزام، والتقدّم، والإنجاز، وإنّما مغذٍّ له، فإنْ عرفتني، ستُدرِك أنّي أُقَدّسُ الإنجاز، وأرنو دائمًا للعمليّة في الطرح، وأنّي أُقَدّس القُدرة السريعة على تحصيل النتائج لأن أَعِيَ أنّ وقتنا في هذه الرحلة الأرضيّة قصيرٌ جدًّا، ولا أريد أن أُضيّعه في أقلّ من ميراثٍ صادقٍ، يُغيِّر وجه الإنسانيّة للأبد؛ لذلك أرى أنّ احتراف مهارة الإنجاز ضرورةٌ قصوى، وأرى أنّ الرغبة بالإنجاز، والتقدّم لا تتنافى مع الخيال أبدًا، فَنَسْرُ الخيال يُحلِّق بأجنحة الإنجاز اللّا محدود.

فماذا قد تُفيدك كلّ هذه المقدّمة، قد تكون محاولةً تحفيزيّة، ليَأخذَ الخيال وَزنًا جديدًا في حياتك، حالك حال الأطفال، وقد ترتفع عن ذلك لتلهمك بمزج الخيال في الحياة. وعندها ستبدأ قنبلة الخيال بالتفعّل، فتكنولوجيا الخيال هي زنادُ القنبلة الكونيّة، قنبلة الحُب والشفاء الروحيّ، إن سُخِّرَت لهذا المسعى.

فعند امتزاج الخيال بالنيَّة والحدس المُوَجّه، سيأخذك إلى مستوى أعمق من الشفاء السريع والتحرّر من القيود الإنسانيّة، والتي قد تصل سرعتها إلى اللّحظيّة.

وقد رأيتُ هذا مرارًا، وتكرارًا في عَملي مع المتدربين، فَهُم يأتونني أحيانًا بعد العمل ٥ سنين مع مرشدين صحيّين على موضوع معيّن، ومن خلال جلسةٍ واحدةٍ من جلسات العلاج الخيميائي التس استحدثها، نستعمل فيها تكنولوجيا الخيال، فتُحَلّ المعضلة من جذرها. لا أقول هذا لأنَّ فيَّ شيئًا خاصًّا، لا أحد يمتلكه، فكلّنا عندنا هذا الشيء الخاص، ولكن لأنّي آخذهم إلى العُمق، وباستعمال الخيال الحدسي، لإذابة أيّ قيودٍ وتشفيرها من رحم الوعي، ومن مُخَزّنات الحامض النووي.

الاستعمال المتكرّر لتكنولوجيا الخيال، سيُحدث تغييرًا جذريًّا في حياتك، وسيجعل السِحر، والأعاجيب كشكل من الطبيعيّة في يومك، وهو ما يُفترض أن تكون الحال عليه، فالحياة أقرب للسِحر من أيِّ تحليلٍ ذهنيٍّ هزيل، نَظُنُّ بهذا التحليل أنّنا قادرون أن نَصوغَ أبوابَ الحِكمة، ونَختِم مجهولاتِ الحياة الأبديّة. فالكارثة الإنسانيّة تبدأ، عندما نُعَلّمُ الأطفال أنْ يتركوا عالم السِحر والخيال، لينضجوا إلى التحليل البارد، ومع هذه البرود، فإنّهم يفقدون وَهَجَ الحياة، ونَشوتَها.

أَظنُّنا أسهبنا كفايةً عن تكنولوجيا الخيال، وأتى الوقت لاستعمالها، أتوافق معي؟

لتفعيل تكنولوجيا الخيال علينا أوّلًا بتمكين قوّة الخيال في حياتك، ولتنفيذ ذلك، سنتلاعب بخدعة ذهنيّة بسيطة، هل أنت جاهز لها؟

هي خدعة بسيطة ولكن مفعولها خارق؛ والسبب في ذلك هو أنّها تتلاعب بأكبر مداخل العقل اللّاواعي وهي الإيمان، ولماذا لا نستغلّ هذا المدخل لتمكين قوّة الخيال فيك؟

الخدعة هي أن تختار فعلًا بسيطًا تنفّذه بتلقائيّة، ولكن قبل الإقدام عليه، تخيلّه في ذهنك، ومن ثمّ نفّذه، وبعدها احتفل بتحقُّقِ خيالك، لترسيخ الإيمان بطاقة الاحتفال ونشوتها.

وقد تتساءل الآن، ماذا يعني ذلك؟

يعني قبل شربك الماء، قد تتخيّل أنك تشرب الماء وتستمع به في ذهنك، وبهذا ستُقوّي الخيال بطاقة التحقيق والإيمان، لتقول بينك وبين نفسك: هل من الممكن أن يتحقّق ما أتخيّله؟ من ثمّ قُم بشرب الماء بنفس الطريقة التي تخيلتها، واحتفل أنّ خيالك تحقّق، ونبوءة الماء قد تجلّت!

بهذا التمرين البسيط، وبتكراره يوميًّا بالأمورالمؤكّد تحقيقها لك، أنت تخترق شكوك الذهن الفكريّة عن قوّة الخيال، لتستوي عظمته فيك. ولك بعدها أن تُحرّك عالمك كاملًا بخيالك؛ لأن عقلك الباطن حينها سيستجيب للخيال بكامل قدراته.

بعد تمكين قوة الخيال فيك هنا، سنبدأ بالتوفير لك بعض التطبيقات العملية لكيفية استخدام الخيال في حياتك، ومنها تمرينُ التجذّرالأرضيّ، وبعدها دع خيالك ونيّتك الصافية

يرقصان سويًّا ليأخذاك إلى حدود السماء، وحتى السماء، ستصبح كمُقيِّد في عالم الخيال.

تعيش الغالبيّة العظمى من الناس في دوّامة لا متنهية من التفكير المُفرِط، في دوّامة من الأنشطة الفكريّة المُبالغ بها، وإن استطعنا بطريقةٍ أو بأخرى، أن نعرض النوعيّة الغالبة لهذه الأفكار، سنراها مكرّرة ، ومبعثرة، تسعى في اتّجاهٍ واحد، وهو النجاة من الأخطار الوهمية. هذا ليس استهلاكًا للطاقة فقط، وإنّما استعمالٌ مُؤذٍ لنعمة الخيال، فنرى الخيالَ يُسْخّرُ مرارًا وتكرارًا، لتخيّل سيناريوهات مُرعبة داخل الذهن؛ لذلك سنبدأ سويًّا بتوجيه الخيال بطريقة مفيدة لتهدئة الذهن، والتجذّر السريع في سكون الذات، حيث ستجد في سكونك الداخلي الاتصال بطاقةِ التنشئة، وبها تسترجع الذاكرة الحدسيّة عن ميكانيكيّة التكوين.

بالوضع المعتاد يكون التركيز الطاقيّ للشخص في منطقة الرأس، مُنغمسًا بالغيوم الفكريّة من دون فاصلٍ أو منفس، وهذا يُبعدنا عن حالة السكون الطبيعيّة؛ لذلك سنستعمل الخيال هنا لِنَقْلِ الإدراك إلى حالة السكون والتجذّر فيه. هنا ستبدأ رحلتك الاحترافية لتوجيه إدراك، فواحدةٌ من علامات المحترف، هي القُدرة على توجيه الإدراك، أو التركيز، إلى حيثُ ما يشاء. ومن أسهل الطرق لفعل ذلك، هو الاستناد على وَعْيِ الأرض، وجمودها الراسخ. ولكن تذكّر أنّنا لا

نَعْرِضُ هنا قوانينَ ثابتة عن كيفيّة استعمال الخيال، وإنّما نلامس َنوعًا من التلاعب المَرِن، فَتَعامَلْ مَعَهُ بمرونة.
في البداية تخيّل أنّ منطقة تركيز الطاقة موجودةٌ بين عينيك، وقد تتخيّلها كدائرة طاقيّة، ومنها تأخذُ تركيزك باستعمال الخيال إلى أسفل قدميك. فتنتقل برويّة من خلال رأسك، حَلْقِك، منطقة الصدر، المَعِدَة، وبين الأرجل حتّى الأقدام، وفي هذه المسيرة ستمشي مع مداخل الطاقة السبعة الأساسيّة، كما هو مُوضّح بالصورة في الأسفل. ومن ثمَّ استمِرّ، وباستعمال النيّة، لتُوجّه الطاقة للسفر من بين قدميك إلى عُمق الأرض وروحها، وبحركة حلزونية متماشية مع كيفية حركة الطاقة في الكون. تَذَكَّر أنّه ليس هناك «صح أو خطأ» في التمرين، وإنّما النيَّة الصادقة هي الفيصل، وهذا سرّنا الصغير.
النيَّة الصادقة هي الفيصل دائمًا وأبدًا.
دَعْ حَدْسَك يقود خيالك، وكأنّ الذكاء الكونيّ رائدٌ للعمليّة، فاسمح لنَفْسِك أنْ تكون مكان المراقب، بَدَل المتحَكِّم، فلا تُجبر الطاقة أنْ تمشي في اتّجاه معيّن، وإنّما سِرْ مَعَها.
وعندما تتَّصل مع رَحِمِ الأرض، امتزج بطاقتها هناك، وفيها يتجلّى الحُبّ الأموميّ. ثَبّت نَفْسَك بهذه المنطقة، ثم اطلب وبالنية، اطلب أنْ يَخرُجَ عامودٌ طاقيٌّ من خلال عُمقِ

الأرض إلى أَرْجُلِك، ليَمُرّ بِنَفْسِ طريق الذهاب، حتّى تلتصق الجذور بأوّل مركزٍ طاقيّ بين أرجلك.
هكذا تَكونُ قد تلاعبتَ بالطاقة، ونقلتَها من رأسك إلى جسدك، مثبّتًا نَفْسَك في جذور أرضيّة متينة، وقد تدع الطاقة الأرضيّة تسري بكلّ جسدك، من مركز الطاقة الأوّل، وبالطريقة المناسبة للّحظة، شخصيًّا قد أرى روح الأرض تسري خلال جسمي، لترسل كودات الحُبّ، والقوّة إلى داخل قلبي.
المهمّ أنْ لا تُقلّدني، فبهذا ستَبعُد عن أصالتك وتضعُف، فَدَع أصالتك كمرشدك الخاص، وَدَع خيالك وحدسك ونيّتك أن يعملوا كالقادة لك، ولا تجعل العمليّة معّقدة وحِرفيّة، بل تعامل معها كاللعبة، تعامل معها بروح الأطفال. فلا تَرى كيف يتحوّل الأطفال في لحظةٍ إلى فارس، وأميرة، وجنيّة، فاستعمل خيالك بالمِثل، واستمتعْ، وسَتَرَ فَهمك لعالمك الخاص من الطاقة سيزداد، وغير ذلك سَتُسجَن بقيود التحليل والجدّية، وستفقد
تكنولوجيا الخيال سلاستها المحرِّكة.
وقد تُفكّر الآن، ولكن لماذا نستعمل تكنولوجيا الخيال للتجذّر، فما الفائده من ذلك؟ دعني أقلْ لك أنّ القُدرة على التعبير والقيادة والتأثير،كلّها تزداد مع ازدياد تجذّرك في داخلك، فكلّنا نُحسّ ذلك الشخص المتجذّر في نفسه، وقد نَصِفُه بأنّ

لديه حضورًا قويًّا، فالحضور هو التجذّر في ذاتك في اللحظة، وهل تَذكُر ما عكس ذلك؟ هو الشخص الذي يمشي بالشارع كجُثّة هامدة، وذهنه يُحلِّق من مكان إلى آخر، مُتلاطمًا بين وُديان الرعب المستقبليّ، أو أثقال الماضي، فلا هو حاضرٌ للحظة، ولا هو متجذّر في ذاته.

كلّما بَعُدتَّ عن التجذّر في ذاتك، التجذّر في جسدك الآن وجسد الأرض، بَعُدتَ عن مصدر قوّتك، وبذلك بَعُدتَ عن السكون، والقُدرة على قراءة العلامات الخفيّة من حولك.

والأخطر من ذلك أنّك ستَبعُد عن سيادتك الطاقيّة، فتراك تتشرّب إسقاطات الناس المختلفة من حولك، بتفعيلها أتوماتيكيًّا في نفسك؛ لذلك تدريب خيالك على التجذّر، هو أحد مفاتيح السيادة الطاقيّة. وما أحلى أن تتجذَّر في سيادة جسدك، عندما يكون جسدك متجذّرًا في أرضيّة صُلْبة كأعماق الأرض، فيكون اهتزازه أقلّ، وحالته النفسيّة أهدأ.

وإنْ أردتَّ أن تحسّ الفرق بين المتجذّر وغيره، تخيّل بيضةً مُثبّتة على إبرة، وبيضةً أخرى راقدةً مباشرةً على الأرض، لك أن تتخيّل الفرق. شخصيًّا أعي الفارق بينهما عِزّ المعرفة؛ لأنّ السنين الأولى من تطوّري كنتُ بعيدًا عن جسمي، ظانًّا أنّ التطوّر الروحانيّ يتزايد بالسفر الخارجيّ عن الجسد، وأخذني وقتٌ طويلٌ لأرى أنّ سِرّ اليَقَظَة الروحيّة، أن تكونَ متجذّرًا في جسدك، لتنقلَ أبعاد الروح إلى داخل الجسد

والخبرة الأرضيّة، فتكون مجسّدًا لها، وليس حالمًا بها، أو بالأحرى مجسّدًا لحُلمها. وكأنّك تَنقُل تعبير الروح إلى الأرض، وهذا ليس بالسّهل، فنحن نختار الهرب من الجسم؛ لأنّنا نحاول الهرب من الألم الذي يحمله، ولكن رحلة السيادة الداخليّة، تَكمُنُ في النظر إلى العواطف المؤلمة في داخل جسمك، لشفائها دون الهرب، أو الحُكم عليها.

لك أن تتدرب على تمرين التجذّر قدر ما تشاء، أنا أفعله غالبيّة اليوم. وبتكرار التدريب على التجذّر، سترى أنّ قُدرتَكَ على الخروج من الضوضاء الذهنيّة إلى سكون الجسد تتعالى، ومعها إحساسك بالاحترافيّة على طاقتك. من الممكن في بادئ الأمر أنّك لن تستطيع القيام بالتجذّر بسرعة، وقد تحتاج لإغماض عينيك والتركيز لإتمام العمليّة، ولا ضير في ذلك، فافعل ما تحسّه مناسبًا، حتى تستطيع التجذّر وأنت تقوم بأعمالك اليوميّة.

والآن إن أردت أن تأخذَ تمرين التجذّر إلى مرحلة عُليا، فقد تُضيف عليه عنصرًا صغيرًا، وهو التحميل.

بعد التجذّر بالأرض، واستقبال الطاقة من هناك، انقل إدراكك باستعمال النيَّة إلى الشمس المركزية، ولا نعني هنا الشمس الظاهرة، بل رمزيّة الشمس كمصدر للحياة. لا تفكر بالموضوع كثيرًا، وَدَعْ حدسك يقود الخيال إلى هناك، ثمّ

وباستعمال النيَّة اطلب أن ينزل النور من الشمس المركزيّة، إلى أعلى رأسك.
دَعِ النور ينساب من خلال قمّة رأسك إلى جسدك، فيتّصل بالقلب أو بمكان التجذّر بين قدميك كما في الصوره، فَتَراك متّصلًا مع نور السماء، وجذور الأرض. الأوّل هو مَصْدَرُ المعلومات، والثاني مَصْدَرُ القوّة، الأّول طاقة كهربائيّة، والآخر طاقة مغناطيسيّة، وكلّهم موجودون في داخلك. تيقَّن ألّا تحاول أن تُرغم النور على الحركة باتّجاه معيّن، فدعه ينهمر بسهولة وحدسيّة.
النور هو ليس فقط رسمة خياليّة في رأسك، وإنّما تدفّقٌ معلوماتيٌّ دقيق، فالنور هو الأقرب لذاتك الأصليّة، وحامل لكوداتها الفريده؛ لذلك قبل تحميل النور من السماء، أنا أحبّ أنْ أَمزِجَه مع طاقات أخرى، وقد تكون كَكُودات التعبير الصادق، أو حضارات كونيّة معيّنة. وسأعيد التذكير هنا، ألّا تُقلِّدَني، وتكونَ أنت في نيّتك، وفي خيالك، وفي حَدْسِك، ففي أصالتك تكمن قوّتك، وهذا سرّنا الصغير.
تكمن قوّتك في أسلوبك الأصيل.
ما نحاول فعله هنا، هو أن نوسّع دائرة إدراكك، لتزداد حساسيّتك لعالم الخيال والطاقة، وبهذه الحساسيّة ستزداد حساسيّتك لِمَا أنت عليه، وبكافّة أبعادها، والطاقة هي الجزء الأكبر مِنْ «أنت». وباتّساع حساسيّتك لعالَم الطاقة، وهو

حقّك الشرعيّ الذي قد تكونُ نسيتَ استعماله، ستزدادُ قُدرتك على رؤية الأمور بالعُمق، ومعها قدرتك على التغيير، وحلّ المشاكل من الجذر. وسترتقي قُدرتك على استعمالك تكنولوجيا الخيال والإبداع به، لتُحوّله كوسيلة فعّالة للتطور، والشفاء، وتشفير القيود من جذرها.

لكَ أن ترفضَ ما قيل، ولك أن تضعه في قالب السخافات والترّهات، وقد يكون كذلك، ولكن سأسالك: كيف لك أن تجزِم أنّها كذلك؟ هل فقط لأنّ منطقك الشخصي يقول ذلك؟ اسمح لي أن أقول لك حينها، ومن مكان حُب، هذا اسمه انغلاقٌ عقليّ على أيّ شيءٍ لا تعرفه، وهو من أكبر المقيّدات التي قد تسلبك الحِكمة، وتعمي بصيرتك عن أسرع طرُق التطور، التي لا يمكن أن تعي وجودها حتّى في أعمق تحليلاتك.

فليس المطلب هنا أن تُصدّق كلّ ما يُذكر بالكتاب، فهذا لن يخدمك البتّة، بل سيسلبك سيادتك الطاقيّة، ولكن المطلب ألّا تنغلق على ما لا يناسب ذهنيّتك الحاليّة، ومستوى اتساعها الآنِيّ. فكلّما رغبتَ الارتفاع بالوعي، أصبح الانفتاح العقليّ واجبًا أكثر، فبالنهاية طبيعتك الأصليّة سِحرية، وأكبر بكثير ممَّا يُخيَّل لك الآن.

أنا أعني حرفيًّا «أكبر بكثير» ممَّا قد يُخيَّل لك الآن، فهي أكبر ممَّا قيل لك من المجتمع، وأكبر ممَّا وصفها لك

المعلمون والمعلمات، وأكبر ممَّا رَواهُ لك أهلك، وأكبر ممَّا قاله لك أصدقاؤك. طبيعتك الأصليّة هي طبيعة كونيّة ومتعددة الأبعاد، وتلعب على حدود مختلفة من الزمان والمكان، وتتعالى عنهم إلى الخلود، فهي تلعب على كل المستويات الإنسانيّة، والنجميّة إلى غير المحدود. وبحصر منظورك في فيزيائيّة الحياة البحتة، ستحصر نفسك وتسجنها، لتُخفي بجهل المنطق، ما يخبَّأ لك من كنوز باطنيَّة، هذا ما قد يصل وصفه إلى مرحلة الجريمة.

هذه الكنوز لن تُرَى لمن فُقِدَ فيه الانفتاح والجرأة، للذهاب لما بعد التحليل المحدود، والسفر بعالم الخيال. ولا تعتقد أنّنا ندعو هنا لقتل التحليل، وقوّة الجزء الأيسر من الدماغ، بل العودة إلى التوازن، فالقوّة تحصل عندما يرتقي الاتصال بين الجزء الأيسر والأيمن إلى أعلى حالته. التوازن بين المنطق والخيال، بين التفكير والإحساس، بين الطاقة الذكريّة والأنثويّة، والأهم أن يُقاد الاثنان، بِحَدْسِ القلب وذكائه، وعندها سيتحوّل الإنسان إلى «السوبر إنسان»، وهو المفروض الطبيعي الكائن. هو الطبيعي عندما يُوَلّى حَدْسُكَ كالقائد، ويرجع تحليلك إلى مكانته الأصيلة، واستعماله الأمثل، كجنديٍّ مُنفّذ، فالتحليل غاية بالروعة، إن كان مقادًا بحدس الحِكمة، وغايةٌ بالحماقة، والتسلّط أن أُعطيه الدفّة ليقود؛ ولذلك قال أحد أكبر العباقرة في عصرنا أنيشتاين:

«إنَّ الجزء الحدسي هو الهديّة، والجزء التحليلي هو الخادم، وللأسف قد خلقنا مجتمعًا يُقدّس الخادم وينسى الهديّة الحقيقيّة».
شخصيًّا أشهد قوّة الخيال في كل أركان حياتي، فعالمي الفيزيائي، وعالم الخيال في امتزاج كامل. فتراني عندما أمشي بالطريق أُشكِّل أقواس القزح أمامي، والنور، والأهرامات الطائرة، وغيرها من الرموز، والكودات العُليا. ولم لا؟ وكل الخيالات هي تعابيرعن تردّدات طاقيّة معيّنة، وبحقنها في جموديّة العالم الفيزيائيّة، هو حقن للحالم والشاعر، والمُلْهم الذي فيك في داخل الزمان والمكان. فكنْ على يقين كامل أنّ الخيال قادر على تغيير عالمك الفيزيائي رأسًا على عقب، وعلى توجيه طاقتك إلى مركز ذاتك بسرعة رهيبة.
التكنولوجيا الثالثة: الأسئلة التقدّميّة:
يَستخدم الذهن تُكنولوجيا الأسئلة طيلة الوقت، ولكن السؤال الحق: هل هذا الاستعمال هو خادم لتطورك أم العكس؟ فنوعيّة الأسئلة التي تطرحها على نَفْسِك، هي المُحدّد الرئيسيّ لإضعافك، أو تمكينك. فعلى سبيل المثال، لو نظرنا إلى الأسئلة المكرّرة في ذهن العامّة، سنراها تتروح بين لماذا يحصل لي ذلك؟ لماذا أنا؟ لماذا يتكرّر هذا الشيء معي كلّ

مرة؟ وماذا تتوقع أن تكون الإجابات لهذه النوعيّة من أسئلة الضحية؟ ستكون: لأنّك غبي، سمين، ضعيف!...

فكلّ سؤال له طاقةٌ تردّديةٌ معيّنة، وعند تفعيلها، تنساب الإجابات بما يتوافق مع هذه الطاقة، أي بكلماتٍ أخرى، لا تستطيع أن تحصل على إجابات أفضل من مستوى أسئلتك؛ لذلك تفعيل تكنولوجيا الأسئلة للارتقاء بالنفس الإنسانيّة، يتطلب الرفع المستمر للوعي، للتجدد المستمر في نوعيّة الأسئلة.

ولتلحظ بنَفْسِك القوّة القاطنة بتكنولوجيا الأسئلة، فسأقصُّ عليك شيئًا من حياة «إيلون ماسكElon Musk». ماسك ومن دون شك، هو مِن أنجح الرياديّين في عصرنا الحالي، فمشاريعه المختلفة تحدّت، وتتحدَّى الأنظمة السائدة، ورتابتها، وتَزرعُ ببذورها آمالًا مستقبّليةً في قلب الإنسانيّة. هذا يتجلّى واضحًا من بدايات ماسك، من خلال «باي بال PayPal» لتُغيّر الطريقه الكلاسيكيّة لتبادل المال، إلى صورة فعّالة، ومُحفّزة للريادة، إلى سيارات «تيسلا Tesla» التي تَعمل بشكلٍ كاملٍ بالكهرباء، متحدِّيًا بهذا شركات النفط، حتى «سبيس إكس SpaceX» للسفر إلى الفضاء، وبِكُلفة منخفضة، لرفع اتّصال الإنسانيّة بالعوالم المحيطة. لكنّ هذا هو الظاهر من نجاح ماسك، ولو نظرنا خَلْف القشرة، لرأيناهُ

مُرتكِزًا على تكنولوجيا الأسئلة التقدّميّة، وهذا ليس رأيي، وإنّما ما قاله ماسك نفسه.
رحلةُ ماسك مع التعمّق بالذات بدأت منذ عُمرٍ صغير، عندما رَمى بكلّ ثِقَله بِعُمر الحادي عشر، للتمحّص في قلب الرسالة الوجوديّة للبشر، ليَصِل بعد أربع سنين منها إلى الخلاصة، والتي عبّر عنها شخصيًّا بقوله: «إنّ رسالة كلّ إنسانٍ على الخليقة، هي أن يَرفع مستوى وعيه، ليكون قادرًا على طرح نوعيّة أفضل من الأسئلة على نفسه».
لك أن تتساءل: لماذا ماسك؟ وبوضوحٍ تام يضعُ الأسئلة على أعلى المراتب الذهنيَّة والروحيّة، فحتمًا هناك سرٌّ خلف ستار الأسئلة. السرُّ ليس بالإجابات، وإنّما بالقُدرة الضمنيَّة للأسئلة على توجيه الذهن، فكلّما ازدادت احترافيَّتك على طرح أسئلة أكثر استنارةً، حددت طريقًا أجمل لذهنك، وفَتَحت قدراته السحرية على تحميل معلوماتٍ دقيقة، والاتصال بمصادر معارف مختلفة. ففي جوهر السؤال تسكن رعشةٌ ابتكاريّة للتجديد، وهذا سرّنا الصغير.
في جوهر السؤال، تسكن رعشة ابتكاريّة للتجديد.
ولبدء التلاعب بتكنولوجيا الأسئلة، عليك بمراقبة الأسئلة التي تطرحها أصلًا في يومك، وهذا يحتاجُ مراقبةً حثيثةً لذهنك، وماهيّة الأسئلة التي تَنطُقها في داخلك، من دون وعي. للبدء خذْ دقائق من وقتك، وأجب عن هذا السؤال.

ما هي الأسئلة الثلاثة الرئيسيّة التي تسألُها لنَفْسِك غاليّة اليوم؟

هكذا يبدأ التطوّر في أيّ رُكنٍ من أركان الحياة، بالحقيقة. والسبب أنّنا نَهرُبُ عادةً من الحقيقة؛ لأنّنا لا نريد أن نرى أين نحن بالضبط الآن، ففي هذا تهديدٌ لإحساسنا بالتقبّل الذاتي، وكأنّنا نقول: إني لا أَقبَلُ نفسي، إلّا إذا كنتُ على هذا المستوى من التطوّر، وليس أقلّ؛ لذلك يُقاوِم نظامُ الخوف فيك الوعي الصادق، بالمواراة والتلاعب، ولكن تَذكّر أننا لا نتطوّر من دون الصدق، وهذا الصدق لن يجد طريقًا لنَفْسِك، من دون التقبّل الوافي لمستوى تطورك الآني.

ومن أكثر الأماكن التي ستَكشِف لك بصدق نوعيّة أسئلتك السائدة، هي الأماكن التي تستفزّك، وتُخرجُكَ عن طَوْرِك، فهناك تُطلَقُ أسئلتك المبرمجة والمكرّرة. مثلًا كنتُ في مركز الرياضة مرّةً، وطلبتُ من الفتاة التي بجانبي أن تساعدني بشيء ما، ولكنّها لم تنتبه، ولم تَرُد، وعندها أحسست بخيبة الأمل، وعند النظر إلى داخلي اكتشفت أن ذهني أطلق حينها سؤالًا معيّنًا: « ليه ما حد بحبني؟».

بعد التيقّن لنوعيّة هذا السؤال الأتوماتيكي الذي أطلقته من دون وعي، اكتشفت أنه كان يُوَجّهُ حياتي بكاملها، هذا السؤال كان المحرّك الأساسي لذهني، والإجابة كانت دائمًا تتمحور حول أنّي «ما بفهم». وقد يتبادر إلى ذهنك، ولكن من أتى

أوّلًا السؤال أم الإجابة؟ فقد تكون فكرة أنّي «لا أفهم» مُخزنّة في ذهني، وهي من تُدير الأسئلة، أو العكس، أو قد يكون الاثنان سويًّا، وهذه قناعتي.

فالسؤال والإجابة مرتبطان، وكشف أحدهما، سيَكشفُ لك نوعيّة المعتقدات الفكريّة التي تُخزّنها في ذهنك من دون وعي، وبإدراك السؤال، ستَقطع هذه الدارة الفكريّة، لتفتح البوابة لاحتمالياتٍ فكريّةٍ جديدة. ولكنّي سأنصحك بأن لا تقف عند هذا الحدّ، كَدَورِ المُراقِب، وإن كان مُهِمًّا، بل أيضًا خذ دور الريادة للتلاعب بأسئلة تقدُّميّة، وكيف يكون ذلك؟

بتوجيّه ذهنك استراتيجيًّا بأسئلةٍ تُمكّنُك، وتُلهِمُك، وتَدُبّ في معدتك حرارة الفضول. ولكن لأنّ أُفُقَ الأسئلة لا محدود، ومعها الإجابات، سنقترح عليك أن تضع الأمور في نصابها، ولك أن تَفعل ذلك بأن تقسم الأسئلة لنوعين: الأسئلة الأساسية، والأسئلة الفرعية، لإبقاء الذهن في حالة تركيز بين المُهِمّ والأهم. وقد تتلخّص الأسئلة الأساسية بالتالي:

من أنا؟ (في هذا تذكر للذات، وبالضِّمْنِيّة أصل الكون، وخالق الكون).

ما هي رسالتي الفريدة على الأرض؟

ما هي الرسالة الجامعة لكل البشر على الأرض، أو لماذا نحن هنا؟

كيف يحصل التكوين؟ (في هذا تأمل دقيق في خيمياء الخلق).

وأما الأسئلة الفرعية، فهي لا محدودة، وهي لك لتتلاعب بها، وقد تستعمل على سبيل المثال:

ما هي أكبر الهدايا، والمواهب التي عندي؟

كيف أستطيع أن أخدم أكثر وأكثر؟

ما النمط الفكريّ الذي أَحمِلُهُ في داخلي الآن، والذي لا يخدم تطوّري في المرحلة القادمة؟

ما النمط الفكريّ الذي في داخلي الآن، والمسؤول عن خلق نتائج معيّنة؟

ما الدرس الذي قد أتعلّمه هنا؟

كيف أحبّ نفسي أكثر من أيّ وقتٍ في حياتي؟

ما معنى الصداقة الصادقة بالنسبة لي؟

ما هو دافعي الحقيقي لأكون صحيًّا؟

ما هو أعلى استعمال للطاقة الجنسيّة؟

كيف أستمع لحدسي؟

ما هو الشيء الذي إذا عَرَفتُهُ عن نَفْسي، سيضاعف من سرعة تطوري؟

كيف أحس الثراء بالجسد؟

كيف أفتح مصدرًا جديدًا للدخل، وبكل يُسْر، واستمتاع؟

ما هو أساس التغيّر؟

إن انجلت كل الأحكام من ذهني للحظات، فكيف ستكون خبرة الحياة؟

هل أستطيع أن أحس الخلود الآن؟

كيف أختبر حقيقة الله من خلال تفاصيل يومي؟

كما قلنا: فضاءُ الأسئلة الفرعية لا محدود، فَتَلاعَب بها من دون حدود، ولكن مِن دون التشبّث المَقيت بالإجابات، بل بمزيجٍ متوازن بين الفضول البحت، والرغبة الحرة لتحميل الإجابات، وإن مالت كفّة التوازن لأحدهما على الآخر ستفقد تكنولوجيا الأسئلة قُوّتها. فإن كان في سؤالك أُحادية الرغبة للإجابة فقط، فستفقد فضول الأطفال، وهو الوقود المُشعِل لإبقاء ذهنك في حالته التأمّليّة الممتعة، وإن خلا فضولك من الرغبة، والإيمان أنّ الأجوبة قادمة، فسيَفقِد تلاعبك الفاعليّة؛ لذا فالأسئلة هي رقصةٌ بين الاثنين. هنا ستعمل الأسئلة كما ينبغي، كمفاتيحٍ لبوّابات فكريّة لم تعهدها من قبل، ومُفعّلةً لأحاسيس طاقيّة جديدة.

قد تتلاعب بالأسئلة بمسيرك، أو من خلال تأمّلاتك، وحتّى قد تستعملها للتأثير بالناس، فالأسئلة للمؤثر كالماء للسّمكة، فمن احترفَ فنّ الأسئلة، احترفَ توجيه العامة. وإن أمعنت النظر، سترى المُؤثّر في الجلسة هو مَنْ ليس كثير التكلّم، بل مَن لديه القدرة على توجيه المجلس بالأسئلة. فكلّ سؤالٍ هو

مُرشِد لعالَم جديد، ومن أطلقه بتَمعُّن، ووعي استحق دور المرشد والقائد، وهذا سرّنا الصغير.
المؤثّر هو مَن يقودُ الجلسة بالأسئلة.
مع الأسئلة الموجَّهة، وباقي التكنولوجيات الروحية، سيكون لديك التمكين الكافي لإدارة ذهنك، وتحريكه إلى الأهمّ في الحياة: معرفة الذات والتعبير عنها، ولكن تذكر أنه بالرغم أنّنا أوضحنا ثلاثًا من أهم التكنولوجيّات الروحيّة، فلا قيمة لها من دون نية الصدق؛ لذا يبَقى الصدق مع الذات، والصدق في الكلام هو سيد التكنولوجيّات، وأقدسها.
للتذكير:
* التنفس على بساطته يبقى من أعظم التكنولوجيات الإنسانية.
* التنفس التلقائي خلال اليوم لا يوفر أكثر من ١٥ ٪ من حاجات دماغك للأكسجين.
* الخيال قوة خارقة إن حُرِّكَتْ بنِيّة واضحة، وحدسٍ موجَّه.
* الإجابات التي تظهر في نفسك، هي نتيجة للتردد الطاقي لأسئلتك، الواعي أو غير الواعي لها.
* الأسئلة نوعان: الأساسية، والفرعية.
أسئلة للتفكر:
إن أصبح التنفس العميق الواعي جزءًا لا يتجزَّأ من حياتك، كيف سيساعدك هذا على التطوّر؟

لماذا التنفس مُهِمٌّ برأيك؟

كيف ستبدأ بتفعيل قوة خيالك اليوم؟ سَمّ شيئًا واحدًا ستبدأ بعمله؟

ماذا كنت تتخيل باستمرار عندما كنت طفلًا، وكان يشبع روحك بالحماس؟

ما هو أهم سؤال تسأله لنفسك، وباستمرار في الوقت الحالي؟

قدسية الكلام

للكلّام أثرٌ يتعدّى الاعتقاد، فهو طاقة تتسرّب من فم الشخص، وتأخذ رحلة غير منتهية في أرجاء الكون. فكلّ كلمة تُطلَق من الفم، هي تجسيدٌ لخليقة جديدة، تجوب فيها بحار الزمان والمكان، ليتجلّى فيها العمار، أو الدمار، الشفاء أو المرض، التمكين أو التحقير.

كلّ ما ذكرناه في السابق هو مُرشدٌ للاتصال بعالَمك الداخلي، في عالم الأفكار والأحاسيس، وهنا يأتي الكلام كَرافد لهذه المقدّمة، ومُكمّل للمهمة. فالكلام هو الحلقة الواصلة بين عالَمِك الداخليّ والخارجي، وكأنّه جسر الاتّصال بين أفكارك وعالم المادة، فإن لم يتوازَ كلامك مع حقيقتك الداخليّة، فقد سقَط هذا الجسر مباشرة، ووقعت مرّه أخرى إلى بحيرة المنسوخ.

فكيف لك أن تستعمِل الكلام كجسرٍ مَتين لذاتِك الحقيقيّة، ورسولٍ صادقٍ عمَّا يَختَلِجُ أعماقك؟

عادةً ما يقفز الذهن في هذا النوع من التساؤل، إلى البحث في فنون الاتصال، ولكن لا فن بالاتصال يُجدي من دون الأساس، والأساس واضح وبسيط، وهو الصدق بالكلام. الصدق هو الفَيْصل في قُدرَتك على الاتصال، والتعبير من عدمه، وهو المقياس الحقيقي لقدرتك على التأثير.

ومن الممكن أن تقول الآن في خَلَدِك: ولكن هذا معروف، أنا أعرفه، أنا أعْرِفُ أهميّة الصدق في الكلام، وأثره في التعبير، لكن سأطلب منك ألَّا تخادع نَفْسَك لبساطة الحوار، فكيف تَعرِف حقَّ المعرفة أنّك تعرف الشيء، أو لا؟ الإجابة بسيطة للغاية: إن كُنتَ تَعْرِفُهُ فأنت تعيشه، وغير ذلك، فأنت لستَ بِعارِفٍ له، ولكن سمِعتَ به، وتُدرِكه على مستوى سطحي.

هذا ليس نوعًا من التقليل من شأنّك، ولكن لتأكيد صدقك مع ذاتك، فهنا تتاح لك الفرصة الذهبيّة، لترى أين أنت على أرض الواقع، ومن دون زيف أو تلاعب، واسمح لي بأن أضيف هذا المثال للتوضيح:

عندما كنت أُعطي محاضرة في مكان معيّن، قامت سيّدة قبل بداية المحاضرة بمشاركة معاناتها معي من التوتر والقلق المستمر. وعند بدء المحاضرة، بدأت نفس السيدة بالمشاركة المستمرة مرة تلو الأخرى، وتلو الأخرى، ولكن مع انحياز الحوار كل مرة من المشاركة البنّاءة إلى محاولة إثبات «خطأ» الذي كنت أُدرّسه. وعند النهاية، ولرؤيتها عدم فعاليّة هذه الاستراتيجية، قرَّرَت أن تقول الأمر كما هو، فرفعتْ يدها وبصوت استهزائي قالت: «إيهاب شكرًا لك، ولكن كلّ ما شاركته نعرفه، فهو ليس بالجديد وإنّما كلامٌ مكرّر، وقديم»!... يعني « كلّه أصلًا بنعرفوا».

ولأنّي كنتُ مستقرًّا في ذاتي خلال المحاضرة، لم أهتز لهذه الكلّمات، وشَكرتها على جُرأتها في التعبير، ثم نظرتُ إلى الجمهور بهدوء، وقلت: «كيف لك أن تعرف أنّ الشخص عارفٌ لموضوعٍ معيّن أم لا؟ فما المقياس هنا؟ ومن ثم أضفتُ، إن زَعَمَ الشخص أنّه عارفٌ كيف يحصل على مليون دولار، فالطريقة الوحيدة للتأكد من صحّة هذه المعرفة، أن نرى حسابه البنكي الآن، فإن كان به مليون دولار فهو عارفٌ، وغير ذلك فهو لا يعرف، وقِس على ذلك».

ومن الممكن أن تتخيّل ردّة فعل السيدة حينها...

فإن كنتَ عارفًا لأهميّة الصدق بالكلام، فحياتك ستعكس هذا الصدق بتطبيقه لأقصى طاقاتك، وستعكسه بإحساسك من الطمأنينة الداخليّة، والثقة بالنفس، والنزاهة، والفاعليّة العليا. وإن كانت الحال عكس ذلك، فأنت لستَ بعارفٍ بذلك، ولكنّك تُدركه على مستوى الجزء التحليليّ فقط.

وصدّقني لن يتغيّر الحال، وتلتزم الصدق بالكلام، إن لم يصلك الوعي الكامل بأهميّة هذا المسعى، فأيّ تدريبٍ بُنِيَ على قوانين أخلاقيّة فقط من دون فهم عميقٍ، فهو ركيك الحيلة؛ لأنّه لم يأتِ من صُلب نفسك وخبرتك الشخصيّة؛ لذلك سينهار هذا الالتزام عند أوّل نقَطة ضغط؛ لأن بُنيانهُ لم يَكُن

بالمتين أصلًا. لذا دعنا نركّز الحوار على أهميّة الكلام الصادق، بطريقةٍ عمليّة وممنهجة.

الصدق في الكلام هو الرضوخ لرغبة الحياة الأساسيّة، وهو ليس كرضوخ الخائف لأعراف المجتمع وقوانينه، وإنّما الرضوخ لقوانين الكون الأساسية، فهو رضوخ الفرسان، وليس رضوخ العبيد. فالفارس أيقن في قلبه، أنّ الصدق هو مفتاح الحياة وقوتها الحقيقية.

فإن كذبتَ على الناس كلّها، فلن تستطيع الكذب على نَفْسِك؛ لأن كود الصدق كائن وأصيل فيك، ولا يمكن اختراقه؛ لأن نظام الحياة هُنْدِسَ بطريقةٍ لا يخترقها الكذب. ففي باطنك تعي الكذبة وتُميّزها، وهي تُؤلِمك، فهذا أسلوب الرحمة في هندسة الحياة، لتبقيك متيقّظًا لحقيقيك الكاملة، وفروسيتك النبيلة، وهذا سرّنا الصغير.

لا يمكن اختراق كود الصدق، حتى إن أردت.

مهما استطعتَ إخفاء الزيف في الخارج، وحتى لو احترفته لدرجة التوهّم به، فلن تقدر على مواجهة نظام الحياة الصادق، فنظام الحياة انبثق من رَحِمِ الصدق، وهذا كودٌ كونيّ لا تستطيع اختراقه، ومن الحِكمة الطاعة الكاملة له.

وإن أردتَ إثبات ذلك، فهل تَذكُر المرّة الأخير التي لبستَ فيها شيئًا مقلّدًا، وبدا للناس كأنّه أصلي؟ فهل تستطيع القول إنّك أحسستَ في نَفْسك، أنّك تلبس قَطعة أصليّة، بالطبع لا.

فإن بُنِيَتْ روح الحياة على صَوْن الصدق، وحتى في أصغر الأمور، فكيف لك أن تتناغم معها، من دون الصدق بالكلام!
لذلك كلّ مرة تقول فيها كلمة غير حقيقية، فإنّك تنحاز عمَّا هو أصيل فيك، وتفقد جزءًا من قوّتك، أو بالأحرى تبتعد عن القوّة الأصيلة في داخلك. وبالناحية الأخرى، كلّ مرة تقول فيها الحقيقة، فإنّك تتوازى مع قوّتك الحقيقيّة، لتتضح فيك صفات الفارس الأصيلة، وما هذه الصفات؟
الجرأة، النبل، الأناقة، الطهارة، القوّة الصارخة، الأمانة، التصميم، القيادة، القدرة على التغيير، فكل هذه الصفات تتجلَّى من صدق الحديث؛ لذلك أَعتبِرُ «الصدق في الكلام» في ميزان الفروسية بأعلى المقامات، فالكلام للفارس هو الشرف الحقيقي، وهو عهدٌ صادقٌ يَخُطّه مع رُوح الحياة. فالفارس يُفضِّل الموت على تلفيق كلمته.
(تذكر أن هناك في عُمق ذاتك يسكن الفارس، وتسكن معه حقيقتك).
كلّ هذه الوصوف جميلة في بوتقة الفروسية، ولكن السؤال يبقى، كيف ستُطبِّق الصدق في الكلام من خلال حياتك العمليّة؟
فلنبدأ بأهم درجات الصدق في الكلام وهو الالتزام...
في كلّ مرة تُطلق التزامًا من فَمِك، ولا يُحقّق ذلك الالتزام، فهو اهتزازٌ لوزن كلامك، وهدرٌ لطاقته؛ لذلك سترى أنّك

كُلّما كسرتَ التزاماتك، كُلّما سقَطتْ قُدسيّة كلامك، وتحوّلتَ إلى الهزيل، وإن هَزَلَ كلامك هَزَلت، فالكلام هو سلاح الفارس الحقيقيّ، وضعفُه هو ضعفٌ له.

فقد تُفكّر الآن ولكن إيهاب أنا لديّ حالة خاصة، و... ولكن دعني أوقفك هنا قبل الخوض في هذه المجادلة غير المنتهية، وسأطلب منك باحترامٍ كامل، أنْ لا تنجرف مع أفكارك، ولا تتماشى مع حُجج نظام الخوف فيك، الذي يريد أن يعطي شرعيّة لعدم الانتصاب بالتزامك؟ فمهما كانت الحُجج منطقيّة، فلن تخترقَ نظام الحياة الصادق.

فنظام الحياة هُنْدِسَ بمنطقٍ بسيط، وفيه الصدق يُوازي القوّة، أي:

الصدق= قوّة

الكذب = ضعف

ولك الخيار.

ولتبدأ السير في الطريق الأوّل، دعنا ننظر إلى أكثر الأماكن تحديا لصدق الكلام. الإلتزامات. لن أطلبَ منك أن تَحرِق نَفْسَك بالالتزامات، ولكن على العكس تمامًا، خفّف منها، نعم خفّف منها. فقبل النطق بالالتزام، تريّث قليلًا، لتُفكّر إن كنت قادرًا على تلبيته أم لا؟ فالصدق لا يعني زيادة الالتزام، بل الوفاء فيه، ولا تحزن إن كسرتَ هذه القاعده في السابق، وكُن عطوفًا مع نَفْسَك لأنّك لم تعرف، ولكنّك الآن بدأتَ

تعرف، فابدأ التدريب، وابدأه بعطف ورَوِيّه. وسَتَرَ بتدريبك على صدق الكلام، أنّ كلامك سيرتقي تدريجيًّا إلى درجة القَسَمَ، ومعه الارتقاء في كل نواحي حياتك.

هذا الوعي وصلني في أحد تأمُّلاتي اليوميّة، فكُنتُ مرة أتأمّل وأسال صوت الحِكمة في داخلي، ما هو الشيء الوحيد الذي إذا غيّرته الآن، سيغيّر كلّ حياتي؟ وأتى الجواب بوضوح الكريستال: حَوِّلْ كلامك إلى نوعٍ من القَسَم، وانظر ماذا سيحدث.

وفعلًا اليوم الذي بعده بدأتُ بتطبيق هذه النظريّة، بالنظر إلى الأماكن التي صدرت فيها التزامتي الكلامية بالرخيص، لأبدأ بعمليّة التطهير. فمثلًا سألني حينها رفيقي بالسكن، إن كنتُ قادرًا على رمي القمامة ذلك اليوم، وكنت على وشك أن أقول نعم، بحُكم العادة، ومن دون رغبة صادقة للتنفيذ، ولكن تذكرت حينها قسم الكلام، وأخذت وقتي بالتفكير، ومن ثم قلت: «لا، لن أستطيع اليوم، وسأفعلها غدًا»؛ ولأن كلامي تشبَّع حينها في روح الصدق، أحسست لحظتها بطاقة مختلفة للساني.

اليوم الذي بعده نهضت من التخت، وبعد القيام بروتيني الصباحي من التأمل، وغيره من التمارين لشحن طاقتي، أردت القفز للعمل، ثم تذكرت القسم، وبقرار قاطع قلت: سأذهبت لرمي القمامة قبل أي شيء. في الطريق إلى القبو،

وأنا أحمل القمامة في يدي، أحسست بشعور من النشوة؛ لأني أنفذ ما قلت، حتى أصل إلى «لحظة رمي القمامة» والتي مرت بالتصوير البطيء في ذهني، مسجِّلًا إيّاها كالانتصار التاريخي، وكأني ربحت كأسًا من نوع ما. قد تكون كأس الصدق السحرية!

استمررت بعدها بالتدريب على صدق الكلام في النواحي المختلفة من حياتي، وبدأتُ الملاحظة سريعًا، أن كلّ مكان خلا فيه كلامي من القدسيّة، كان يعاني من كثير من التعقيدات، والذنب، والاستنزاف الطاقيّ غير الضروري، وأمّا النواحي التي كان فيها الكلام مقدّسًا، كانت بسيطة، وسلسة، وتتخلّلها الفاعلية العظمى. فابدأ التدريب على صدق الإلتزام من الآن، نعم الآن، فما المكسب من إطالة معاناتك؟! ابدأ التدريب بأصغر الأشياء، فإن قلت لشريكك إنّك ستَجلي الصحون غدًا، فافعل ذلك، أو لا تَعِد أصلًا، وإن قُلت إنّك ستبعث الإيميل اليوم، فَلَبِّ ذلك.

هذا المستوى من الالتزام في الكلام يطبَّق على نَفْسَك قبل الآخر، بالأصح الالتزام مع نَفْسَك هو الأهم، فماذا تظن أنّك تحسّ عندما تكسر التزامك مع نَفْسَك؟ وحتى إن خدّرت ذلك الإحساس «بالألم» مع الحُجج الممنهجة.

إن أردت معرفة هذا الإحساس، سأسالك ماذا تحس عندما لا يفي شخص بالتزامه معك؟

نعم حسّها في جسدك الآن، هكذا تمامًا ما تحسّ عن نَفْسك، وإن أردتَ الإجابة واضحةً صريحة فهي: فقدان الثقة.
عدم الصدق مع نَفْسك، سيُفقدك الثقة بالنفس؛ لأنّ كلامك فقد الثقة التي تأتي ضمنيًّا مع الصدق.
فإن التزمت الصدق بكلامك مع نَفْسك ومع الآخرين، وهي النتيجة الحاصلة إن حدث الأول، فسيرتفع إحساسك بالثقة الداخليّة، وستشعُّ هذه الثقة على الناس، فتراهم في وجودك آمنين، وفي كلامك مصدّقين، وكيف لا، وكلامك قد شابه القَسَم في ترديده. هذه هي الثقة التي يبحث عليها الناس، في عالم افتقد لها؛ لذلك في السابق كان أكثر التجار احترامًا وثراءً، هم من كان كلامهم كالميثاق، بحيث يضع الناس عندهم الأمانات لسنين عدة، ومن دون أي صكوك، فكلمتهم الصك والثقة، وهذا سرّنا الصغير.
الصدق في الكلام هو أقوى من كل الصكوك والعقود.
فإن أردتَ أن توقظ روح التاجر الأمين فيك، فالتدريب على صدق الكلام هو الأساس. وتَنبه أنه في هذا التدريب يجنّ جنون نظام الخوف، وتشتعل عواطفه الدفينة، ولكن لماذا؟ للتوضيح دعنا نعطِ هذا السيناريو: تخيّل للحظة أنّ شخصًا طلب منك الذهاب للغداء، وأنّك لا تريد، فماذا تقول عادة للتملّص؟ إذا كانت الإجابة أن تأتي بحجّة كاذبة للاعتذار،

وهذا أسلوب نظام الخوف لضمان التقبُّل الخارجي، فأنت تَسقُط هنا عن قدسيّة الكلام؛ لأنّ كلامك خلا من الصدق.

فهل ستكون قادرًا أن تقول شكرًا لدعوتك، فقط، ولكن لا لن أستطيع القدوم من دون أيّة إضافات.

أكاد أتخيّل نظرة التعجّب في وجهك الآن، والسبب لأنّنا بنينا مجتمعًا أصبح فيه قول الحقيقة بالغريب، بل الغريب جدًّا إلى درجة الضحك، وهذه علامة واضحة أنّ المجتمع ليس المكان الذي تلجأ إليه، لتتعلَّم كيف تعيش من ذاتك الصادقة.

وقد يتسارع ذهنك الآن لاعتراض آخر ليقول: «إيهاب، أنا أريد أن أقول الصدق مع الناس، ولكن لا أستطيع؛ لأني سأجرح مشاعرهم؟».

نحن لا ندعو هنا «بتدريب الصدق» أن تفقد تعاطفك مع الناس، فالصدق لا يعني فقدان التعاطف، بل على العكس تمامًا، فلا يكتمل الصدق من دون التعاطف؛ لأنه ساكنٌ في روح الصدق؛ لذلك لك أن تردّ على الدعوة كالتالي: «شكرًا جزيلًا على الدعوة، وعلى تفكيرك الجميل عنّي، ولكن سأعتذر عن التلبية».

هنا ستكونُ صادقًا ولطيفَ القلب، ومن دون «الكذب»، أو ما نسمّيه بالمجتمع المجاملة. وتذكَّر أنّ زيادة عدد الناس التي تجامل، خوفًا من «جرح المشاعر» وهي في الحقيقة خوف

من عدم التقبل الذاتي، لا تغيّر ثوابت الكون، ونظامه المهندَس للصدق، فدع صدقك العطوف يعلو على المجاملة.

وإن كان صديقك المقرّب الذي يدعوك، ولا تدري ماذا تفعل حينها، فقد تقول له الحقيقة موضّحًا: «إنّي بدأتُ التدريب على قول الصدق كما هو؛ لذلك سأجعل كلامي صادقًا معك»، وإن لم يُقدِّر صديقك هذا المسعى، فقد لا يكون الصديق الذي تتمسك به؛ لأنّه لا يتماشى مع اتّجاهك الصادق، هذا إذا كان الصدق الاتّجاه الذي تختار أن تسلك.

العبرة، أن تصوغ عباراتك بالطريقة التي تتماشى مع الصدق، والتعاطف، والذكاء المجتمعي، ولكن من دون أن تضيف مجاملات، أو حججًا كاذبة؛ لأنّ بهذا سقوطًا عن قدسيّة الكلام، وبه السقوط عن ذاتك الأصليّة.

بالنهاية، المبدأ واضح وصريح: الصدق في الكلام، لأقصى طاقتك، وبعطفٍ مع نَفْسك.

بهذا التدريب المقدّس، ستصل إلى علاقةٍ جديدةٍ مع الكون، تحول فيها كلامك إلى عهودٍ طاقيّة. فعند صِدْقِ الكلام أنت تُثبت لكلّ أرجاء الكون، أنّه إن خَرَجَتْ كلمة من فمك، أصبحت عهدًا وواقعًا، وهنا ستسارع قدرتك على التجلّي السحري، وتحصيل النتائج بيُسر غير مسبوق، فأنت تعي هنا أنّ بينك وبين تحقيق أية نتيجة، كلمة تخرج من فمك، ليس إلّا. وبهذا سترى كلّ كلمة تطلقها كعهد جديد بينك وبين

الكون، تتوازى فيها مباشرة مع القوّة الابتكاريّة للأكوان كافّة. حينها عندما تقرّر البدء في مشروع جديد، وعند اطلاق هذه النية الصوتية، سترى الحياة تُطوع نفسها، وخَلقها لصالحك فورًا، فكلامك أصبح عهدًا، ونُفَذ.

فتخيّل للحظة أنّك عندك تقرّر البدء في مشروع جديد، فأنت عارفٌ أنّه نَفَذ، فقط لأنّك قلت أنّك ستبدأ؟

وماذا تظنُّ سيحدث بعدها عندما يرتقي هذا المستوى من الصدق والتجلّي، إلى مراحل أعلى، بحيث يكون الباطن والظاهر هو نسخة أصلية منك غير مشوشة؟ أنا شخصيًّا لا أعرف، لأني لم أرتقِ إلى هذه الدرجة من الصدق المستنير في الفكر والكلام، ولكن من خلال علاقتي المباشرة مع مصدر الحكمة تساءلت عن هذا، وأتتني الإجابة فورًا، وقد لا تكون نفس الإجابة التي تأتيك، وهي: عندما يستوي «كل كلامك» مع تعبير الصدق المطلق من داخلك، فستتحول كلماتك إلى «وعودٍ محقّقة في الأرض والسماء»، وهذا هو مقام الصديق. هذا المقام هو المُحفّز الأوّل والأخير لي في تدريبي المتواصل على صدق الكلام.

فلماذا لا تأخذ الوقت الآن، لتفكّر بمحفّزك الشخصي؟

وإن كان هذا النقاش الروحيّ أو الكونيّ لا يتوافق مع طريقتك بالتفكير، فحوّلْ كلمة الكون إلى عقلك الباطن. فعندما يُصَدِّق عقلك الباطن كلامك ويقدِّره، فلحظة القول ستراه

يحشد كلّ قواه الابتكاريّة، ومصادرهُ الداخليّة لسبيل غايتك، بدل أن يقول: «آه إنّ كلامك مكرّر، حاله حال الكلام الذي تُطلِقه كلّ مرّة، من دون الرغبة الصادقة في تنفيذه».

فكم تعرف أشخاصًا يقولون. ويقولون. ويقولون... فتراهم في كلّ جلسة يقولون إني سأفتح بيزنيس، وكلّنا ندري أن هذا لن يحصل، ويقولون: إني سألتزم في هذه التمارين الرياضية، وكلّنا ندري أن هذا لن يحصل. فهل تعتقد أنّه بهذه المستوى من التعامل مع الكلام، سيرتقي هذا الشخص إلى قُدرة التجلّي السريع: لا! فقدرته على التجلّي، والإنجاز، والتأثير ركدت، بالرّمي الجائر لوعودٍ غير منفّذة.

أترى الآن، كيف يلمس التدريب على صدق الكلام كلّ نواحي حياتك تقريبًا؟ ومنها قدرتك على الإنجاز، والتعبير، والتمكين. الصدق بالكلام هو تمرينٌ شمولي، وهو من أكثر التمارين تحدِّيًا التي ستأخذها على عاتقك، ففيه الاختبار الحقيقيّ لمستوى نضوجك الذهنيّ، والعاطفيّ، والروحانيّ. الذهنيّ، والعاطفيّ، والروحانيّ. نعم الصدق تمرين شمولي ويلامس كل نواحي الحياة كافة، ولكن هذا لا يعني ابدًا، أننا ندعوك في تدريب الصدق أن تتغافل عن انسانية الخبرة الأرضية، والتي ستواجه فيها الكثير من الإمكان التي «لن يكون» فيها الصدق الخارجي هو الخيار المناسب على

الورق. فكن ذكيا هناك بحيث لا تخترق الدبلوماسية هناك، الصدق مع نفسك.
مثلا قد تذهب لتنفيذ أوراق حكومية، ويُطلب منك أن تسجل اسمك، وقد يكون اسمك الحقيقي غير المسجل في الأوراق، طبعا لك أن تتماشى هناك مع النظام وتعطيه ما يريد بكتابة الاسم المُسجل، حتى ان لم يكن اسمك انت. فنعم الخبرة الحياتية تعم بالكثير من التفاصيل الورقية، والتي لن يكون فيها الصدق الورقي هو المناسب، وهذا طبيعي، ولكن تأكد ان تكون «صادق مع نفسك» حينها، وواضح كل الوضوح عن نية الفعل، فالصدق لا يتضارب مع اللين والدبلوماسية مع الأنظمة الخارجية، بحيث لا تخترق ما تعتبره انت، الحقيقي والصادق لك انت، لتحافظ على تدريبك في الصدق.
أنا متأكد إنك فهمت المغزى فلا تجعل الحالات الاستثنائية كوسيلة للتلاعب بالصدق، واعزم الصدق دائمًا وأبدًا، وبالمُضِيِّ في تدريب الكلام الصادق في الالتزامات، والأعمال، والعلاقات، وكلّ نواحي الحياة الأخرى.
أنا شخصيًّا ما زلتُ غِرًّا في هذا التدرب، وبكثيرٍ من الأماكن كلامي لم يلامس القدسيّة بعد، ولم يُجسَّد للحقيقة الكاملة، فأنا أعي مدى التحريف الذي يُطلَقُ من فمي كل يوم، أو التلاعب من داخلي، أو رمي الوعود غير المنفذة. ولكنّي ملتزمٌ أن آخذ المسؤوليّة هناك، وأعدّل المسار بسرعة، ومن

دون ملامةٍ لنفسي أو للناس، بل بتعاطفٍ كامل مع الذات.
لذلك ان قلت لشخص اعطيني ثانية وسأرد عليك، التقط نفسي، بتعاطف، وأقول له :»لا أخطأت اعطني أربع دقائق وسأرد عليك!»

لذا المقصد ليس ملامتك، أو أن نثبِّط من عزيمتك بتدريب الصدق، بل لتحميسك للمضيّ في هذا الطريق بعطفٍ ذاتيّ، حتى تنضج برويّة في الصدق الشموليّ، ليُصبح كلامك مجسِّدًا لحقيقتك، فلماذا لا يكون هذا جزءًا من طموحك المشروع؟ الطموح لتجسيد حقيقتك بكلّ تفاصيلها، وفيها الطموح لتزأر كلّ خليّة من خلاياك بحقيقتك كاملة. وهنا يراودني قصّه لغاندي لترسيخ هذا الطموح فيك (قد لا تكون هذا القصة حقيقية، ولكن انظر إلى المغزى).

في مرة من المرات أتت أمّ من قرية مجاورة لزيارة مهاتما غاندي، القائد الروحي للهند حينها، وقامت بصحبة ابنها معها الذي يعشق غاندي، ويعتبره مثاله الأول. كانت غاية الأم أن تساعد ابنها عن الإقلاع عن أكل السكر، فأخبرت غاندي بأن يقنع ابنها بذلك، وردَّ عليها: «تعالَيْ الأسبوع القادم». ففعَلَتْ الأم، وأتت الأسبوع الذي بعده مع ابنها، وعندها قال غاندي: «يا بُنَيّ، لماذا لا تخفّف أكل السكر؟ فهو ضارٌّ لك.».

استغربت الأم من هذه الجملة، وسألت غاندي:» لِمَ لَمْ تقل هذا الأسبوع الماضي، وأجبرتنا على السير كلّ هذه المسافة

مرتين؟!» فردّ غاندي: «لأنّي الأسبوع الماضي كنتُ أنا نفسي آكُل السكَّر.».

فلا تخف المسير لهذا المستوى من الصدق، وهو مستوى التجسيد الكامل لحقيقتك، ودعه كالرؤية المُلهمة لحياتك وشخصيّتك. وإن خُيِّل لك أنّك ستفقد كلّ الناس حينها بهذا المستوى من صدق الكلام، فهذا «قد» يكون صحيحًا، إن بَنيت صدقاتك الحالية على رداء الكذب. ولكن هذا لن يهزّ شعرة لك؛ لأنّك ستكسب نَفْسَك حينها، وستجذب بعدها لحياتك بعدها من توافق مع الحيّ الصادق، وهنا ستذوق طعم الحياة الصادقة، وما يكون هذا طعمًا؟ هو عسل الحريّة ، فالصدق والحريّه واحد، وهنا ستصبح كمُشكلٍ للعالم المستنير، الذي تتوق إليه أنت والإنسانيّة كافّه، وهذا سرّنا الصغير.

طريق الصدق هو طريق العالم المستنير، الذي تتوق له أنت والإنسانيّة كافة.

وكما أكدنا، وسنؤكد، لا تُحوّل السير في طريق الصدق، لطريق الملامة، فدع التدريب رقيقًا وعطوفًا، وإن رأيتَ كلامك، أو التزامك في أصعدةٍ معيّنة رخوة، فأرجوك لا تنجرف في دائرة ملامة الذات، فهل غيّرَتْ الملامة أيّ سلوك تسلكه؟ طبعًا لا، فما الملامة إن لم تكن إحدى أساليب نظام الخوف، ليُظهر لك طِيبُ المسعى في التغيير، وفي عُمق هذا

الملامة، حاجة الخوف المبطّنة لتُبقيك على حالك، من دون أيّ تغير.

فعندما يَنكشف لك رُخص كلامك في بعض النواحي، وهذا حال كلّ البشر، دعها كلحظة للإدراك، والمراجعة العَطوفة، فبالنهاية أنت دائمًا تَفْعَلُ أفضل ما تعرفه باللحظة. وإن لاحظت نَفْسَك لا تقول الصدق، فلا تخفْ أن تعتذر وتصحّح، وعسى القصة التي سأقولها الآن تكون ملهمةً لك في هذا المسعى:

ففي إحدى المحاضرات التي كنتُ أُعطيها أمام أكثر من مئة شخص، بدأتُ بشرح جانبٍ عمليّ عن التنفّس القلبيّ، ومن ثمّ أضفت: «إني لن أستطيع أن أوضح لكم أثر التنفّس من خلال الجهاز الإلكتروني؛ لأنّه سيأخذ وقتًا كثيرًا»، وأما الحقيقة وقتها أنّي ذهبتُ للبيت متأخرًا قبل المحاضرة، ونسيتُ أن آخذ الجهاز معي.

التقَطتُّ نَفَسي بهذه الكذبة، بسبب حساسيتي الجسديّة للكذب، وكأن شيئًا في نفسي اهتزّ، ولك أن تتخيّل موقفي حينها أمام مئة شخص. ولكن قد تقول الآن، ما المشكلة؟ فهم لا يدرون ما الذي حدث أصلًا، وهذا صحيح، ولكن أنا أدري. أدري أنّي لم أَكُن صادقًا، وهنا كانت لحظةُ الخيار، فنظام الخوف كان يصرخ في داخلي: لا تعترف بالكذبة الآن، وتفضح نَفْسَك أمام كلّ هؤلاء الأشخاص، ولكنّ الجزءَ المَحِبّ للحقيقة

في داخلي لم يسمح بذلك، فتوقفتُ، وقلت: «يا سادة أنا أعتذر منكم، أنا كذبت والحقيقة كذا وكذا،» وأكملتُ المحاضرة.
وتدري لم يكن الموضوع بهذا السوء...
للغرابة، بعدها بأقلّ من أسبوعين كنت أعطي «كورس القائد المستنير»، وأتت إحدى المتدربات وقالت: «إيهاب السبب الرئيسي الذي ألهمني للتسجيل في الكورس؛ لأنّي كنتُ موجودةً في المحاضره التي اعترفت َبها بكذبتك، وهناك زاد احترامي وثقتي فيك».
أتمنى أن يكون هذا عِبْرة لك، للتدرّب على الصدق حتى بعد الإخفاق، وبالنضوج والرحمة، لَتَراكَ تعيشُ أكثر من نور الصدق وقوته، وهكذا ستصبح كمنارة الحقيقة والأمل لكافة البشرية.
للتذكير:
* الصدق هو أساس القوة الذاتية.
* ابدأ التدريب بصدق الكلام، بالتخفيف من التزاماتك، وتنفيذ ما تَعِدُ فيه.
* لك أن تكون صادقًا وعطوفًا، وذكيًّا اجتماعيًّا بنفس الوقت.
* عند زيادة الصدق في الكلام، ستزيد ضِمْنِيًّا قدرتك على تجلّي الأهداف بيُسْرٍ رهيبٍ.
أسئلة للتفكر:

لماذا تقاوم الصدق في الكلام؟ وهل السبب الذي يمنعك هو من مكان الحب، أم الخوف؟

ماذا عليك أن تفعل لتذيب هذه المقاومة برُقِيٍّ، واستمتاعٍ؟

ما هو حافزك الرئيسي للتدرُّب على صدق الكلام؟

ماذا ستحس داخل نفسك إن بدأت بتنفيذ ما تَعِدُ نفسك به؟

لماذا الصدق «كقيمة» مُهِمٌّ لك؟

الأملُ المُتَجذِّرُ

إن أردتَّ أن تقتل إنسانًا، اسلبه الأمل، فالأمل لرؤيا الروح بمثابة المَنْفَس، ومن دونه تختنق الروح، وتبدأ الرؤيا بالتعفّن والنسيان. فالمعادلة واضحة:» لا حياة من دون أمل»، وكيف تكون في الحياة حياة إذا استيقظْتَ صباحًا، ولا أمل لك في أي شيء؟ فهنا تكون المعاناة محتومة، ومصير التعاسة مكتوبًا، أليس هذا هو الجحيم بحدِّ ذاته؟

وماذا لو قفزنا إلى السيناريو المعاكس تمامًا؟ وكان الأمل هو القوّة المحرّكه لقلبك، فماذا سيختلف؟

أجزم الكثير...

الأمل هو طاقة الفعل المحرِّكة، وهو بوّابة الرؤى والأحلام، وهو مفتاح الإصرار والاجتهاد والتصميم، فالأمل هو ما يجعلك تحاول للمرّة المئة، بعد تسعٍ وتسعين عثرة. لكن بالرغم من قوّة الأمل الجبّاره، يبقى، وللأسف، مفهومنا عن الأمل سطحيًّا للغاية، لا يتعدّى في وصفه دروبَ الأمنيات الورديّة، التي تُجرّد صاحبها من القدرة على مواجهة التحدِّيات باتّزان.

والغريب أن هذه السطحيّه في منظور الأمل، هي ليست الطريقة ذاتها التي نحسّ فيها بالأمل عند النظرإلى تتابع الأيام. فعندما تنام بالليل، فأنت لا تَتمنّى أن يأتي النهار،

فهناك إيمانٌ راسخٌ لحدوث ذلك، إيمانٌ تبلور على شكل اليقين؛ لذلك لا تنام، وتقلق حيال بزوغ الصباح، فأنت عارف بهذا.

هذا النوع من الأمل يجلي الهموم، ويذيب القلق، بقوّة الضمانة التي يقدمها...من الممكن أن تقاطع هذا التراود الكتابيّ الآن، وتقول: انتظر، فتتابع الأيام هي ظاهرة مضمونة، والأمل فيها أكيد. الحقيقة لا، فلا شيء ضامنٌ لتكرار هذه الظاهرة غدًا، وحتى لو حَدَثَتْ لملايين السنين، ولكن الأمل وحده الذي يولد هذا اليقين.

تخيّل الآن أنّ هناك أملًا أقوى من تتابع الأيّام، أملًا لا يشوبه التغيّر، ولا مفاجآت الزمان النادرة، إنه أملٌ موجودٌ وساكن، ولا شيءَ في الكون قادرٌ على زعزعته، أو التأثير عليه. هذا الأمل يكون مصدر قوّة وطمأنينة للشخص الذي اهتدى إلى سِرّه، هذا هو «الأمل المتجذّر».

وللأمانة، ولسبب ما، لم أفقد اتصالي قَط مع روح الأمل المتجذّر، ففي أعماقي كنت دائم الدراية أن الأمل حيٌّ دائمًا، وأبدًا. لم أستطع أن أفسِّرَ هذا الأمل بكلّماتٍ منطقية، ولكن هناك في حجرات قلبي الساكنة، ظلّتْ شفاه الأمل تحدثني وتقول « كلّ شيء تمام». ومع رحلتي في طريق الصحوة والتطور، أخذ فهمي للأمل بالنضوج بسرعة، حتى تحوَّلَ إحساسه الحدسي، لفهم ذهني أعمق، أقدر أن أصوغ فيه

درجات الأمل بوضوح تام، لتصل إلى أسمى أشكاله، وهو «الأمل المتجذّر».

فلو أردنا أن نُحاكي العقل التحليليّ هنا، ونعطيه ما يريد من المراحل المتسلسلة، فقد نَصِفُ مراحل الأمل الثلاثة:

المرحلة الأولى: هي شكلٌ من الأمنيات اللحظيّة، نشتهي فيها واقعًا أفضل ممّا عليه الآن. هذه الأمنيات، تَسقُط كَريشةٍ حالمةٍ على ذهن صاحبها، لتقطع تصلّبه الفكري، وتأخذه ولو للحظات إلى عالم الخيال، والتي قد يَبزُغُ منها أفكارٌ، وإلهاماتٌ جديدة.

أما المرحلة الثانية: فهي وجدان المعرفة الراسخة، أن لا شيء كائنٌ على حاله، فكلّ أشكال الحياة وظروفها متغيّرةٌ، أو كما يقال: «حتى هذا سيُعدّي». هذه المرحلة من الأمل، تضيف نوعًا من السلام، وصبرًا على الشدائد، هو الصبر المقرونُ بسُنَنِ الطبيعه وقوانينها، والتي تكشف لنا، أن لا شيء في عالم المادّة باقٍ على حاله للأبد، فحتى أكبر المصائب «ستُعدّي».

بعد هذا المرحلة ننتقل إلى المرحلة الثالثة، وفيها الأمل ليس مرتبطًا بأيّ حدث، أو حتى اليقين بتغيره، وإنّما الفهم الصادق، إنّ كل خبرات الحياة كائنٌ فيها بذرة التطور في الوعي. في هذا ضمنية المعرفة أن التغيير بسيط؛ لأنَّ خبرة الحدث لا تأتي من الحدث ذاته، ولكن من خبرتك الفكريّة

باللحظة، فكلّ ما يتطلبه التغيير هنا، هو مستوى جديد من الوعي، ليتيح لك مستوى جديدًا من الأفكار، ومعه نوعيّة خبرة جديدة، وبذلك التطور لمستوى جديد في لعبة الحياة الروحية. فالأمل هنا لا يستوجب التغير الخارجي للأحداث لبزوغ فجر نور جديد، بل التغير في المنظور الفكري، من التجمّد إلى التقدم، من التوتر إلى السلام، ومن اللعنة إلى الفهم الأعلى.

فالأمل على هذا المستوى راسخٌ؛ لأنّه يضمن «بضمانة كونية» أن هناك فرصة للتطور، والتغيير من أي حدث، ومهما كانت شدّته، عند الارتقاء عن إسقاطاتك الفكريّة باللحظة، لكشف بذرة التطور من روح الحدث.

وربّما السؤال الذي يراودك الآن: كيف أصل إلى هذه المرحلة من الأمل المتجذّر؟

لتلبية هذا المبتغى، دعنا نبدأ برمي مفهومنا الموروث عن الأمل، والذي لا يتعدّى المرحلتين الأوليَيْن، كشكل من الإيجابيّة الهشّة في تحفيز النفس، أو الصبر الثقيل على الشدائد، ولنخلق سويًّا فضاءً جديدًا، ليولد فيه مفهومٌ أنقى عن الأمل، وهو الأمل المتجذّر.

الأمل المتجذر يولد مباشرةً مع بذرة المعرفة الباطنيَّة، أنّ الحياة تعمل في سيادة قانون التطور، فهذا المستوى من الأمل هو قرينُ اليقين، أنّ الحياة مسخرة للتطور دائمًا وأبدًا، ولا

يمكن أن تَسْلُكَ إلّا مَسلَك التطور دائمًا وأبدًا. فكلّ عناصر الحياة خادمةٌ «لتطورك» الشخصي في الوعي، ضمن رحلة التطور الشمولي لكل عناصر الخليقة، فهذا قانونٌ وسُنّة، وهذا سرّنا الصغير.

كلّ عناصر الحياة وتَوجُّهِها، محكومةٌ بسيادة التطور.

هنا سنغوص أكثر في ثَنِيّات هذا التطور، فَوَعيُ التطور المبطّن، هو مِنْ أهمِّ- إن لم يكن أَهمّ المعارف على الإطلاق- ؛ لأن فيه المعرفة الحدسيّة لرعايتك الأبديّة، رعاية الحياة لك، ولكافّة أولادها. هنا ستتجلّى حالة الطمأنينة فيك لأعلى صورها، فتسمح لحقيقتك أن تَبثِقَ من استرخاء «بيئتك الداخلية»، لتتعدّى حالة الخوف الدائم، إلى التدفق المستمر مع تعبيرك الصادق، وبالمعرفة الكاملة أن الحياة لا تسلك إلّا مسلك التطور.

فبذرة التطور المستمر هي في روح الكون، وستبقى الحال كذلك، ولذلك سنبقى نتطور، شئنا أم أبينا. ولكن قد تتساءل هنُا، ماذا عن كلّ التحديات الإنسانيّة عبر التاريخ، التي لم يحصل فيها أي شكل من أشكال التطور، أو التغيير، ولنُسَمّ منها: الحروب، والفقر، والمجاعات، وغيرها. فكل هذه التحدِّيات قائمة منذ عقود. وعقود. وعقود ولم يحدث فيها أي تغيير، فهل تطلب مني أن أنكرها؟ الإجابة لا، ولكن نستذكر

معًا، ومن ذاكرة الروح، أنّ أحداث الحياة كافّة، هي جزءٌ من لُعبة الحياة الروحيّة في غايةِ التطور في الوعي.

فكلّ أشكال المعاناة التي ذكرناها، هي شكلٌ من اللعب الجاهل، وفيه استخدام مغلوط وسافرٌ لنعمة الفكر الابتكاريّة، نُسخِّر هذه النعمة الكونيّة، في أفكارٍ وتجليّات لا تتناغم مع حِكمة الطبيعه الأم، لنلوّث بها أجسادنا، وعقولنا، وأنظمتنا، ومجتمعاتنا، والأرض ككلّ. نُلوّثها بسموم العُقد، والعار، والكذب العقيم، وبتيارات مكررة من السبب والنتيجة.

ولكن بالرغم من أن الحال كذلك، وهو من صنيع أيدينا (ومن بينها يدك ويدي)، وبالرغم من أن هذه المعاناة الكلّية، نتيجة جهلنا الفكريّ المُطلق، والمغطّى بِحُليّ الشهادات العلميّة، فلا يستطيع أن يتغوّل هذا الجهل على دوام «البذرة الكونية للتطور»، فلم، ولن يقدر على فعل ذلك. فهناك بعُمق كل هذه الأحداث يَقطُنُ الخير الأصيل في الحياة، خلف لعبة الخير والشر، حاملًا معه كنزنا الوجوديّ الدائم، وهو بذرة التطور المستمرة من كلِّ حدث، وعدم قُدرتنا على «رؤية» هذه البذرة، لتُزهِرَ مرحلة التطور التي بعدها، لا يُلغي وجودها.

مهما كان أو حصل هناك فرصة ذهبية للتطوّر، هذا إن استرخى ذهن الإنسان لِيَستَشِفَّها، ولذلك يقال إن مشاكل الإنسان كافة، هي لعدم قدرته للجلوس بصمت في داخل

الغرفة! هناك فرصة روحية للتطور في كل الأحوال، أو كما يقال بلغة الخيمياء: «هناك ذهب في روح كل معدن». أمّا ذهنك المحدود، فهو من فقد الهداية لهذا الذهب، ففقد الهداية له بأحكامه الازدواجية على أحداث الحياة اليوميّة، مُفسّرًا إيّاها بالخير أو الشر السطحي، وهي خَلَت في باطنها من المعنى، أو كما أَوْضَحَ شكسبير: «لا يوجد خيرٌ وشر، وإنّما التفكير فقط مَن

يُظهره كذلك». فخلف ازدواجيّة التفكير بالخير والشر، يَقطُن الخير الباطني كفرصة للتطور، لأنّ روح الحياة الواحدة لا تسير إلا مسيرة واحدة، مسيرة التطور الشمولي.

فهناك خيرٌ أصيل ومبطّن في كلّ شيء، ولا يمكن أن يُسلب هذا الخير؛ لأنّه في عجينة التكوين ذاته، وطينة الروح الواحدة، فلا شيء يحيد عن هذا المبدأ، وحتى الشر ذاته، وإن أراد. فحتى إن أراد «الشرير» أن يؤذيك، فهو يعمل في خَيرك ليُطورك، هذا إن اخترت أن «تراه» من عين هذا الواقع. وعند استنباطك هذه الحقيقة الكونيّة بوجود فرصة التطور في كل الأحداث، ومهما كان مستوى الظلام، والحقد، والضغينة الذي يكسوها، سيولد صارخًا من «رحمك» طفل الأمل المتجذّر، وفيه بذرة التمكين، والعزم، والتغيير (وهذا يطبق على الرجال!).

وإن أردنا أن نأخذ الحوار إلى منحى العمليّة الآن، فلننظر إلى خبرات حياتك السابقة، فمن المؤكد أنّك اختبرت الخير المبطّن شخصيًّا، فهل تذكر المرّة الأخيرة التي عشت فيها تحدّيًا صعبًا، وفسّرتها حينها بأكبرالشرور، أو حتى كنوعٍ من العقاب الكوني؟ ولكن بعد فترة اتّضح لك الخير المُبطّن فيه: فقد ساعدك هذا الموقف للتطور. قد يكون من نصب عليك في الأعمال، أو تلك العلاقة السابقة، ككاشف لك عن أفكارٍ مستورة في ذهنك، كانت تقيدك من التقدّم، ووضوح رؤيتك، أو عن أسباب الجذب الداخلية لهذه المواقف، وأين عليك وضع الحدود الطاقية. وبذلك تحوّل «الشر»في ذهنك، إلى نقطة نضوج وتطور مهمّة في حياتك، وحتى من الممكن أنه أصبح الآن، كمادّة زخمة لمقالاتك أو حواراتك، تلمس بها قلب السامعين بجرعة صادقةٍ من الإلهام.

فماذا تغيّر؟

هل اختلف الحدث، أم اختلف منظورك عن الحدث، بانجلاء إسقاطاتك الذهنيَّة عنه من «مفهوم» الخير والشر، إلى نجم الخير الأصيل خلفهما؟ لتستنبط بحِكمة حينها، كيف يصُبُّ الحدث في خدمة تطوّرك. فاليقين الراسخ بكينونة التطور من أي حدث، حتى إن لم تكن قادرًا على رؤيته حينها، هو بعينه خير الحياة الذي يبرز من حالة الأمل المتجذّر.

ولا تخلط الأمل المتجذّر، بالمحاولة البائسة لكبت المشاعر من داخل الموقف، وإلغاء أحاسيس الأسى، بالادّعاء الكاذب بأنّ كلّ شيءٍ خير، وله فائدة لك، فهذه حالة مرضيّه تدعى الإنكار. الإنكارهو شكل من أشكال كُرهِ الذات، ترفض فيها المشاعر التي تحسّها باللحظة، وفي هذا رفضٌ للذات ككلّ. فالإنّكار هو إحدى الاستراتيجيات الدفاعيّة من نظام الخوف، للهروب من شعور الألم، ودفعه للخارج، أما الأمل المتجذّر فهو النقيض للإنّكار، وفيه السماحيّة الكاملة لأحاسيس اللحظة أن تُعبِّر عن نفسها، من الخوف، والغضب، والكره، وغيرها، لترتقي بعدها تدريجيًّا بالسؤال لنفسك: كيف يكون هذا الموقف كخادم لتطوري؟ أو ماذا عليَّ أن أتعلم هنا؟

فعملية الارتقاء لبوابة التطور في الوعي، هي عملية خيميائيّة دقيقة، تتطلب في خطوتها الأولى مواجهة السواد الداخلي، للبدء بعدها في عملية التنقية والارتقاء. المهم أن هذا كله يحصل بحضور الطمأنينة الصادقة؛ لأنّ كلّ الخبرات اللحظيّة، تعمل في صلبها للتطوّر الشمولي، ورفعة الوعي.

فهذه الطمأنينة وحدها، هي التي تحفزك، وتشرح صدرك للفتح أكثر للخبرة الحالية وأحاسيسها كافة، وإن كانت مؤلمة، وهي من تضيف رونق الأناقه عليك، للتعامل الحكيم مع أحداث الحياة وتحدياتها بسلاسة الماء؛ لأنك متجذّرٌ هنا

بالمعرفة الباطنيَّة أنّ في عمق كلّ خبرات الحياة فرصة كائنة للتطور.

وقد يبقى التساؤل قائمًا هنا: لكن لماذا تعمل الحياة للتطور دائمًا وأبدًا؟

والإجابة؛ لأنّ هذا قانون، وهذا القانون هو الأساس في اكتمال رسالة الخلق.

من دون هذا القانون، ستَهتزُّ أركان الحياة ونظامها الدقيق، ويَهتزُّ معها سبب الخلق، وليس على الأرض فقط، بل على الأكوان كافّة، المرئيّ وغير المرئيّ منها. فكلّ ذرة بالكون، تعيش رحلةً تطوريّةً لا منتهية، رحلة لا منتهية من التطّور في الوعي؛ لأنّ أبعاد الوعي لا منتهية. وهذا خبرٌ سارٌّ، وليس مُضْجرًا؛ لأنّك ستعي هنا، أنّه ليس هناك حدود لوعي الحُب، والتعاطف، والحِكمة التي تستطيع الوصول لها.

التطور المستمر، فيه علاقات امتزاجية مع مفهوم «الإثراء» في الحياة، فإن لم يُهَنْدَس التطور في قلب التكوين، فلن تجد علاماتٍ للثراء. فمن دون التطور لن تجد خبرات تَحدث، ولن تجد معها معارف تُبنى وتُستنبط، لتثري الخبرات السابقة، وبهذا يموت «مفهوم» النهضة والعمران من معجم الحياة، وهذا مستحيل.

سمعنا مرارًا وتكرارًا، أن نتوقّف عن استخدام كلمة المستحيل، وأذكر أنّي في وقت من حياتي، عاهدتُ نفسي ألّا

أقول هذه الكلمة أبدًا، فقد أحرقتُها من معجم كلماتي، لأحس الوَقْعَ الجميل لإحساس «اللّا مستحيل» مع الحياة، ولكن سرعان ما أيقنت، أنّ هناك شيئًا اسمه المستحيل. ليس المقصود هنا بالقيد الذي تضيفه إلى قيودك الذهنيَّة، وتُسمّيها بالمستحيلات، بل المستحيل الكونيّ الجميل.

ذلك المستحيل الذي ينبثق من نظام الحياة الأصيل، وشيفرته الدقيقة. هو المستحيل الذي يُحرّرك من المخاوف كافّة، ويسطع فيك الأمل المتجذّر، ليهمس في أذنك ويقول: أن تخالف الحياة تُجاه التطور في الوعي.. هذا مستحيل؛ ولذلك الخسارة هي مستحيل أيضًا! لأن الخسارة هي فقط لمن «لا» يدري أن هناك فرصة للتطور من أي موقف.

أن تعمل الحياة باتّجاه يخالف الخير الشمولي هذا مستحيل، وألَّا يحدث التطوّر طوال الوقت، وما بعد الوقت مستحيل، وأن تكون مفصولًا عن مصدر الحُب، والحِكمة، والرخاء، والابتكار، والطمأنينة مستحيل، وأن تُهدّد قيمتك بالضياع مستحيل. هذا هو المستحيل الجميل، الذي يأتي مُغلّفًا مع ضمانة الهندسة الكونيّة.

لذا يبقى قانون التطوّر في قائمة المستحيلات، فهو قانون روحيٌّ سائد ومن المستحيل تحريفه، وهذا سرنا الصغير. قانون التطوّر، هو قانون سائد، ومن المستحيل تحريفه وإن أردتَ فعل ذلك.

وقد تقف هنا للحظة، وتعود بضع خطوات للخلف لتقول: لو عدنا لموضوع الحرب، فكيف يكون فيها أيّ شكل من التطوّر؟ وكما قلنا، الحرب ليست إلّا تجلياتٍ للأفكار غير المتناغمة في الوعي الكلّي. ولكن حتى الحرب، على قسوتها المدمّرة، وعلى ما قد تخلق من بيئة طاقيّة وضيعة، لجذب أنظمة الخوف الجمعيّة، والطفيليات الروحيّة من كلّ مكان، إلّا أنّها تُظهر ما سُتِر من محتويات الوعي الجمعي، وما قد يَتَخللُه من الغلّ والحقد والأحكام. وعند بزوغ نتائج هذه المحتويات الفكرية على السطح، فهو يعطي الإنسانيّة فرصة الشفاء والتطهير، فهو مواجهةٌ صادقةٌ لِما كان فينا.

وهنا يأتي السؤال: هل سنرى هذا الخير من حدث «الحرب»، ونمشي بطريقِ الشفاء والتطوّر، أم نقاومه؟ لتعيد الحياة الدروس ذاتها، ومعها التكرار لنفس المرحلة الآنية من اللعبة الروحيّة. فالحياة تُعيد تدوير الخبرة مرارًا وتكرارًا حتى يبرأ النظر، ويُكشف المسبّب الحقيقي خلف الأحداث، وهو نفسك أنت. حينها لك أن تأخذ المسؤولية الشخصية، وتأخذ خيارات جديدة ترفعك لمرحلة جديدة من هذه اللعبة الأبديّة.

هذه اللعبة تُلعب على مستوى الفرد والجماعة، ولا يتمُّ التدخّل فيها بملكة الخيار، بل يجوز التأثير الرقيق عن طريق الرحمة الكونيّة، كالعلامات والإشارات الخَفِيّة. فَرُوح الحياة

لا تتدخَّل بالخيارات؛ لأنّها هي مَنْ صانت حريّة الاختيار، كقانون أصيل من لعبتنا الروحيّة.
ولك هذا المثال للتوضيح...
عند بزوغ الفكر التطرفيّ بشدّة في الشرق الأوسط، وخصوصًا بعد عام ٢٠١٢، توالت الويلات والحروب، وتزايدت تيّارات الخوف، والانكماش، وتجلِّيات الأحكام العرقيّة والعقائدية. إلّا أنّ هذه الحالة بنفس الوقت، خلقت الإلهام لكثير من القلوب المستنيرة، لأخذ الخطى الشجاعة في الشفاء والتنوير؛ لذلك رأينا حينها، وبصورة غير مسبوقة بالشرق الأوسط، ظهور مراكز التأمّل والشفاء الطاقيّ، والنهضة بمجال التدريب، ومبادرات السلام وغيرها. فكما خَلَقَت الحروب الكوارث والتفرقة، فهي خلقت فُرصةً صادقةً للشفاء والتطور الجمعيّ ، هذا لمن اهتدت قلوبهم للنظر إلى الداخل طبعًا بغاية التطهير والتغيير، وبأخذ المسؤولية المطلقة من
داخل النفس.
لا ندعو هنا أبدًا. أبدًا. أبدًا إلى الحروب لرؤية الخير، ولا ندعو إلى أيٍّ من أشكال الدمار لتحفيز الحلول والتطور، فهذه احتماليّات فكريّة استنزَفَت نفسها، بخوارجها المعروفة أصلًا للإنسان. ولكن ندعو هنا للرشد بالشدائد، والتنظيف الطاقيّ من الداخل، للخروج من دوائر الوعي المنخفضة، وخلق

الفرصة للوعي الجَمْعِيّ لينهض من رماده. هكذا يستيقظ طائر العنقاء، إلى حدودٍ جديدة، ليُعبّر فيها عن منظور التطوّر الشموليّ، وهذا منظورُ الطبيعة الأمّ، وكودها الأصيل.

لذا كود التطوّر الأصيل، هو كودٌ كونيٌّ يفرض هيبته على الخليقة كافّة، وهنا تراودني قصّة « نيلسون مانديلّا Nelson Mandela رئيس جنوب أفريقيا السابق، فبهذه القصّة بلّورةُ صارخةُ لمفهوم التطور الحقيقي.

قد سمعتُ هذه القصّة من سيّدةٍ قالت إنها استضافت نيلسون مانديلّا مرّةً، وقَصّ عليها هذه الحكاية، وسأعتذر هنا؛ لأنّي لا أذكر اسم هذه السيدة...

من المعروف أن مانديلّا قد سُجِنَ في زنزاته الصغيرة في «روبن أيلند Robben Island» لأول ١٨ سنة من مجموع الـ ٢٧ سنة التي قضاها في الحبس. كانت الظروف قاسية جِدًّا داخل الزنزانة، التي توازي ٧ أقدام مربّعه تقريبًا، بالإضافة للتعامل السيِّئ من السَّجّانين. تخيّل نفسك في هذه الزنازنة للحظة.

ناضل مانديلّا يوميًّا ليبقي على رصانته الداخليّة؛ لكي لا يظهر بصورة الخائف المهزوم أمام السَّجّانين، لذا التزم مانديلّا بتقوية عزيمته يوميًّا. فكان يكرّرلنفسه يوميًّا عبارات التحفيز: إني صامد، ولن أسقط، وهذه شدة آنيَّة وستزول، ولا

أحد يستطيع أن يحيّدني عن قُوّتي، وفي هذا قَدْرٌ مُعيّن من التمكين، إلّا أنّه شتّان بينه وبين التمكين الصادق.

ولنستكمل القصة، بعد ٣ سنين على هذه الحالة، بقي مانديلّا يصارع نفسه والحرّاس وبقناع القوّة الزائف، حتى أتت لحظة من الإلهام غيرت كلّ هذا، أو كما وصفها مانديلّا للسيدة: « أتتني فكرة ذات إحساس جديد، لم أعهده من قبل». هي فكرة من فضاءٍ آخر، أتت لتقول له: ماذا لو لم يكن وجودك بالسجن الآن، كشدة وتزول، وإنّما هو أفضل مكان للتواجد فيه؟

على ما يبدو، وَقْعُ هذه الفكرة كان قويًا على مسامع مانديلّا، فتتبع سُبُلَها بفضول وشغف، لتأخذه معها إلى بوّابة أخرى. فَتَحَت له هذه الفكرة طَعمًا جديدًا من الأمل، لم يكن ليذوقه من قبل، الأمل الذي يهديك إلى طريق القلب، الأمل المتجذّر، الذي يحوِّل السجن إلى فرصة للتطوّر، والنهضة في النفس.

عندها أدرك مانديلّا أنه فعلًا هو الآن بأفضل مكان بالعالم، ليتيح له الفرصة الذهبيّة للنضوج الذهني والروحي والمهاري، إلى دور المُعبّر عن رسالته القلبيّة، وفي عُمقها الرغبة الجارفة لقيادة عمليّة التصالح، وتقريب الأطياف المشتّتة في جنوب أفريقيا، إلى جسدٍ واحد. هنا اكتشف مانديلّا، أنه لا يمكن أن يقود حملة المصالحة هذه، وهو نفسه لم يجسد المصالحة في نفسه. حينها تحوّلتْ الزنزانة الصغيرة

في داخل مانديلّا، إلى مساحة رَحْبَة للتدريب، ومن دون أيِّ مشتّتات خارجيّة، «فَمادة» السجن الذهنيّة تحوّلت «طاقيًّا» إلى حجرة للتدريب والشفاء، ليتعمّق مانديلّا فيها برحلة التصالح الداخليّ والمسامحة.

وعندما استجاب مانديلّا لقانون التطوّر، هنا استجابت الحياة بالمثل، وأخذت مانديلّا إلى تيّارها التطوّريّ، فبدأ الإلهام ينهمر عليه، وبدأ بكتابة رسائل المصالحة، كتعبير مُطلق عن ذاته، والتي بدأت بالانتشار إلى الخارج. وعندما خرج مانديلّا من السجن، كان جاهزًا ليضمّ كلّ الاطياف إلى الحُكم، فهو نضج إلى الشخص القادر على حَمل هذه الرسالة طاقِيًّا.

فلا السجن، ولا السَّجَّانة احتاجا إلى التغيير لولادة أمل جديد، ولكن طريقة التفكير من الداخل. فعالم الوعي هو السيّد على عالم المادة، وليس العكس، وبهذا التغيير لَمَعَ الخير الدفين في الموقف، والذي يعمل دائمًا وأبدًا كخادم لرسالتك التطوّريّة، فهل من مُلَبٍّ للنداء؟

أكاد أجزم الآن أنك بدأت الإبصارَ لقوّة الأمل المتجذّر المقرونة بالتطوّر الأصيل...

الآن أريدك أن تتخّيل، أن هذا ليس إلّا سطحية الحوار!

أيعقل هذا؟

نعم، لأن حقيقة التطوّر الكاملة، تعمل على مستوى يتعدّى شخصنة الحوار، ولفهم المقصود، تناسَ للحظات كيف

يخدمك قانون التطور. أي تناسَ كيف يعمل قانون التطور من أجلك، ولنسعَ سويًّا إلى كونيّة الحوار.

فهل أنت جاهز للولوج إلى قانون التطور من مستوى الكونية؟...

يمُرّ قانون التطوّر بمراحلَ أربعة مغلقة، وهناك تحدٍّ كبير للخوْض في تفاصيل هذا «المربع المغلق»؛ لأنه سيأخذنا إلى كتاب آخر في صلب ميكانيكية التكوين. ولكن لغاية الشرح البسيط، سنُغَطِّي الأساس.

تبدأ الخليقة بعملية التعبير، من اللّامحدود إلى المحدود، كما أوضحنا في الوحدات الأولى. أي التعبيرعن الوجود بأيٍّ من الطرق المتاحة، وهي لا محدودة، ليتحول التعبير بعدها إلى خبرة ملموسة، وهذه المرحلة الثانية.

بعد هذه الخبرة «إن تم الارتقاء في الوعي»، سيتم استشفاء الدروس من الخبرة، فتحصل الرفعة، وهذه المرحلة الثالثة. وبعدها تأتي المرحلة الرابعة في رحلة التطور الكونية، أيضًا «إن تم الارتقاء في الوعي»، ليحدث الإثراء.

لكي تستطيع ملامسة المقصود، فانظر لحياتك، أنت تعبير عن روح الوجود، وكل لحظة تأخذ فيها خيار، فأنت تعبر أكثر فأكثر. ومن هذا الخيار تتجلّى خبرة معينة أمامك، فإن استنبطتَّ من نتائجها دروسًا معينة وكاملتها، ستتحوّل إلى رفعة في وعيك النفسي. وإن قمت بالتذكر بعدها إنك جزء

من الكل، سيتحول هذا الارتقاء من مستوى الارتقاء الشخصي إلى الارتقاء الشمولي، الذي تضيفه إلى شبكة المعلومات في الوعي الجمعي. هذا هو الإثراء.

فلا إثراء من دون تطوُّر في الوعي...

الإثراء هو نتيجة التعالي عن الدروس المستنبطة من الخبرة، من المستوى الشخصي إلى الكوني، وكأنك تقول إن هذه الخبرة أحدَثَها الكون من خلالي، والآن له أن يأخذها في دوائر طاقية متواصلة لتبادل المعارف. فنيلسون مانديلَّا قد أخذ هذه الرحلة الفردية، لإثراء الوعي الجماعي، بأهمية الغفران والتصالح الداخلي في القيادة والتغيير؛ ولذلك يوجد الآن نوع كامل من القيادة، يعرف باسم القيادة بالتصالح الداخلي.

فعندما يرتقي الوعي الإنساني عن شخصنة الخبرة الشخصية، ستتحوَّل إلى دروس في رفعة الوعي الشمولي لتضاف إلى كينونة الكون، فيرتقي الكون في وعيه؛ لذلك نقول إن الرسالة الشمولية لكل الخليقة هي رفع الوعي.

فخبرتك الشخصية على الأرض فيها تطور لك، وكل ما في الكون، وفي النهاية سترى الانفصال الوهمي بين الاثنين سينجلي؛ لذلك مهما بدا الحدث أمامك معقّدًا، وخاليًا من الأمل، فتذكر أنه مهندس بقانون كوني؛ ليحمي «وجوب» التطور في داخله.

هذا المستوى من التطوّر، يتعدّى فهم الذهن المحدود برقعة المكان والزمان؛ لذا فهو يتعدّى طريقة رؤيتنا لنظريّة التطور، كالتطوّر مع مرور الزمان، لنعتبر فيه الزمان كخطّ واحدٍ مستقيم، تحصل فيه عملية التطوّر في منحى الخطيّة، لجنس مُعيّن على مدار السنوات، هذا مفهوم القشور من التطوّر. وأمّا قانون التطوّر الكوني، فهو أسمى من ذلك بكثير، وأعمق من هذا بكثير، وفيه شموليّة رهيبة، وتعدُّدِيّة أكبر للأبعاد، وعلى مستويات الزمان والمكان كافة، وما بعدهما، والأهم من هذا إنه يعمل وِفق نظام الوحدة والمساوة.

فعندما يقوم شخص بقيادة الإنسانية للتنوير، وشخص آخر بالسرقة، هما الاثنان من المنظور الأعلى، فيهما نفس مستوى التطور والإثراء للحياة، فمصدر الحياة له القدرة السحريّة على استنباط الحكمة من كل
المواقف.

أرى الآن عيونك تعترض فورًا على ما قيل، وتعتبره شيئًا من محاولة الأذى الشخصيّ لك.

استرخِ، وتنفّسْ، ثم استكملْ.

أنا أعنيها، استرخِ ، وتنفّسْ... ثم استكمل.

فمن سرق، سيُعلِّم الوعي الجمعيّ درسًا أعمق في قانون السبب والنتيجة، ومن قاد التنوير سيُعلم درسًا في الهداية والوحدة. وهذا لا يعني أنه ليس هناك نتائج طاقيّة للأفعال

على مستوى الشخص، طبعًا هناك نتائج، ولكن لن يستطيع أي مخلوق أن يطغى على قانون التطوّر الشمولي؛ لأنه قانون روحيٌّ خُطّ قبل التكوين، لغاية الإثراء.

لك أن تتنفّس الآن مرة أخرى، لتتشرَّبَ المعاني الخَفيّة خلف الكلام.

ولو لَمَسَ كلّ شخصٍ في العالم هذا الإحساس من التطور المتجذّر، للمس معه حقيقة الأمل المتجذّر، وعندها سنعيش بعالَم جديد، تختفي فيه الملامة والخوف والانكماش، ويرتقي فيه الإبداع والسكينة والتعبير الناصع، عالم نرمي فيه أثقال الماضي لنعيش في حالة تطور مستدامة.

للتذكير:

* هناك ثلاث مراحل للأمل، لتصل حالة الأمل المتجذر.
* في كلِّ حدثٍ في الكون فرصة لتطوّر الوعي.
* لا يمكن أن يُخترق قانون التطور؛ لأنه قانون كوني سائد.
* عالم المادة، يتغير بتغير المحتويات الفكرية من عالم الوعي.
* التطوُّر يمُرّ بمراحلَ أربعة لرفع الوعي، وبهدف الإثراء.

أسئلة للتفكر:

فكِّرْ بحدثٍ واحدٍ في حياتك الآن، لا تريده، ماذا سيحدث إن رأيته كفرصة للتطور وتعلم الدروس؟

ما هو الدرس الذي قد تتعلمه، عن نفسك، من هذا الحدث؟

ماذا سيحدث إن لم تتعلم هذا الدرس؟
لماذا التطور مُهِمٌّ في حياتك؟

رَمْيُ أحْمال الماضي

لتَسطعَ حقيقتُك المتجددة على ما هي، وجب رَمْيُ الأثقال التي تحملها على ظهرك، ومن أكثر هذه الأثقال وزنًا هي الماضي. فعند الانخطاف المستمرّ لشريط الماضي، وأشرطته المحروقة، فأنت تستهلك قدرًا كبيرًا من الطاقة، في محاولتك الخاسرة للتشبُّث الذهنيّ بما مضى، لإبقاء المجهول مألوفًا، من خلال مقارنة الحاضر بمنشآتك الفكرية المعهودة. تفعل ذلك لإعادة ذكريات السابق لمنظورك الحالي، وهنا تُصاب الخبرة الحاليّة بالثّقل، والملل، والندم، والتجمّد المَقيت.

هذا نقيض تمامًا لرحلة الذات الأصليّة، وهي رحلة تَجدّد وتلقائيّة، فالذات تتدفق من فضاء اللحظة، خلود اللحظة، وليس من ذكرى الزمان. وكيف يكون غير ذلك، والتلقائيّة هي وليدةُ اللحظة، وليست وليدةَ حساباتٍ معقّدة، ولا رحلات ذهنيّة في تيار الماضي، نستنشق منها المقبول من غير المقبول. فدع الماضي للمكان الذي يعيش فيه: قبر الزمان، ودع نَفْسَك تتجذّر في قلب اللحظة، فهناك موطن قوّتك الأصيلة، وبراءتك التلقائيّة.

منهج التلقائية، هو مهد الذات الأصلية، وهو يُلقي ببدعة الشخصيّة الثابتة إلى صندوق الخرافات، محررةً نفسك حينها من وَهْم الثبات، لكي لا تَتَسمّر كالحجر، فتتحول إلى شكلٍ

من البنيان الفكري الصلب، وإنّما تكون فيك تلقائيّة الانسياب. هذه حقيقتك الأصليّة، وفيها تعابير الحياة المُطلَقة، ويا إلهي ما أجمل هذه التعابير! فهي كنسيم الهواء العليل في الصيف الرطب، تضيف به ارتواء للحياة. وهذا سرنا الصغير.

الذات الأصليّة ليست شخصيّة متحجّرة، وإنّما تلقائيّة التعبير في اللحظة.

هذه التلقائيّة هي عنفوان الأطفال المتأجّج، وروح المرح الحرّة، غير آبِهَةٍ «بالعيب» المبرمج. فما الأطفال إلّا تعبيرٌ ثوريّ مُتّقد، ومُصَفّى من أشكال القيود والأحكام كافّة، فالقيد لا يلمس روح الطفولة، وهي مُنغمسةٌ في نشوة التعبير الصادق.

نشوة اللحظة، وتعبيرها الصادق، لم ولن تسطع فيك، وذهنك يحدّد مسارات الماضي كمعيار التعبير الآنِيّ، فلا تَخَفْ من أن ترمي بأثقال الماضي الآن، وتسمح لعُمرانه القديم أن ينهدم بالغفران، فلا جديد قادر على الولادة، دون المساحة له. فعمليّة الأصالة هي عمليّة متجدّدة، تنبع من رَحِم اللحظة، وفيها السقوط المتكرّر لبُنيانِ فكريّ قديم، بنيانٌ خدم رسالته، وأوفى خبرته، وآن الوقت لهدمه. فعناصر الكون كافّة تعمل بالهدم والبنيان، ولك أن تنظر للطبيعه كدليل دامغٍ على ذلك، فما الفصول الأربعه إلّا عمليّة هدم وبنيان متجدّد. فامشِ مع هذا الثابت الكوني واحترمه، ودع الماضي يتساقَط ويتجدّد،

باستمرار، وإلّا أتت الحياة وأسقَطته رغمًا عنك، وبقوّة الطبيعيّة.

فما هو الماضي إلّا «تفاسيرٌ» محدودةٌ لأحداثٍ قديمة، تقطن فيها هذه التفاسير في نقاط معينة من خطوط الزمان، لتُسقِطَ وِجهتها الفكريّة على ما هو قادم. ووجهة الأفكار المقيّدة من ماضيك، هي من تستر كنوزك السماويّه، كنوزُ الخيارات اللّا محدودة، فحريّة الاختيار، تقطن في فضاء اللحظة الساكن، التي لم يلمسها طائر الزمان. وكيف لطائر الزمان أن يلمس اللحظة، وهو الذي يُحلّق من داخل فضائها؟!

فالماضي ليس ما حدث، ولكن من «الفكرة» التي نُسقِطها على ماذا حدث؛ ولذلك هو وَهْم، نعم. وَهْم، فهذه الأفكار نُسقطها على أحداثٍ ماتت واندثرت، أفكارٌ تخضع لعوامل مختلفة قد تُخلّها من التوازن الفكري. ومنها تحليلاتك الشخصيّة، وآرائك الوقتيّة، وفَلْتَراتك الخاصّة، والشخْصَنَة، وتفاسيرك لما حدث في مستوى نُضجِك في ذلك الوقت، فهل تثق بتحليلاتك على عُمْرِ الخمس، أو الست سنوات؟

لذا آن الأوان لترمي ماضيك... أو الأدقّ أن نقول أن تَرْمِيَ تفسيراتك الحالية عن الماضي.

وليس المعنى مَنْ رَمَي الماضي بالنسيان، أو التغافل، أو الإنكار، فكلّ هذه ليست بالحالات الصحيّة، بل المطلوب هو التعلّم السريع من أحداث الماضي، واستنشاق الحِكمة منه،

ومن ثَمّ توديعه إلى المكان الذي ينتمي إليه، قبر الزمان. فلا تكن كجدّتي التي أفَنَتْ عُمرها وهي تتّقد بالغضب؛ لأنّ جارتها قبل أربعين سنة سَرَقَت دجاجتها! فكميّة الطاقة المستنزفة في المحاولات المتكرّرة لإحياء الماضي، قد تستعملها بفعاليّة أكبر باتّجاه اكتشاف الذات، وتشكيل رؤيتك المرغوب بها. فلا اكتشاف الذات، ولا الطاقة الابتكارية يسعون للّحاق بالماضي، فلماذا تفعل ذلك؟

ولكن قد تقول الآن: ماذا عن الألم الذي أحسسته بالماضي، كيف أنساه، أو أتركه؟

إن كنت قادرًا على احتمال «حقيقة الإجابة»، فسأجيب؟

والإجابة، لم لا؟!

وسأكون عطوفًا معك هنا وأقول، الألم هو ليست مسؤوليتك عند لحظة حدوثه، ولكن حملك لمنظور الألم كل لحظة بعد انتهاء الحدث، هو مسؤليّتك الكاملة. هي مسؤليتك بالتمسك بنفس «المعنى القديم» على الحدث، والذي ليس له أية حقيقة في هذه اللحظة، الآن.

ولكن نظام الخوف فيك سيَتنصلُ من هذه المسؤولية بخدعته المعهودة، وبقوله : «بدّك أنسى الموقف وأسامح الشخص اللي أذاني؟!».

إن كنت تُحب نفسك، فالجواب سيكون طبعًا! أنت لا تسامح من أجل الشخص، ولكن من أجلك، نعم من أجلك؛ لأنك

تستحق أن تعيش أفضل، لأنك تستحق أن تسمح لألم الماضي، بأن يحول نفسه إلى حكمة تمضي بك إلى مستقبل أفضل. وهذا ما سيحصل تلقائِيًّا عند التخلّي عن تعلقك بصحة «ماضيك»، وألمه.

وعند تركك لرحلات الماضي، ستذوق حريّة من نوع آخر، وهي حريّة الوجود كما هو، غير ملوث بذكريات الأسى والقيود، فما هو الماضي إن لم يكن غير ذكرى؟

تأمّل في هذه الجملة للحظة...

لا ماضي يحيا من دون ذكرى؛ لذلك تغيير «وعي الذكرى»، هو تغيير للماضي وتعدٍّ له بالكامل، ،وبهذا هو تعدٍّ لأحاسيس الماضي المقيّده، وفتحٌ لأحاسيس الروح في اللحظة. لهذا قد نقتسم الأحاسيس إلى شكلين، أحاسيسُ الذكريات، أو أحاسيسُ الروح، الأوّل يلعب في بُعد الزمان الواهم، والثاني يلعب في بُعد الخلود.

فذات مرّة كنت في مخيّم تدريبي، بصحُبة معلّم روحاني جميل اسمه «موجي Mooji»، أمضينا هناك عشرة أيّام بالصمت الكامل. في هذه الأيام لا يُسمح لك بالكلام، الكتابة، التكلّم على الموبايل، أو أيّ أنشطة فكريّة أخرى، فحتى النظر إلى المشاركين الآخرين غير مسموح؛ لأنّ هذه الفترة مخصّصة للتعمُّق في ذاتك بصدق. أذكُر عند اليوم السابع بدأ

ذهني بالسفر إلى الماضي بقوة، ليُحضر إلى السطح كلّ أشكال المعاناة التي تعرّضتْ لها في الماضي.

وفي لحظة معيّنة ارتقى مستوى الوعي عندي لمرحلة غير مسبوقة، لأرى أن كلّ ما «عانيت» به في السابق، هو نتيجة شخصنة هذه الأحداث، وتصديق أفكاري عنها، يعني أنا خلقت المعاناة! فليس الحدث الذي يداعبه ذهني، وإنّما التفاسير الفكريّة التي أطلقتها عليه، فتارة أطلقت من هذه التفاسير حُكمًا على نفسي بأنّي ضعيف، وغير مرغوب، وتارة أطلقتُ بها مفهومًا عن الناس، بأنهم لا يُحِبّونني ولا يحترمونني، وبذلك الحياة لا تحبني. وتارة حوّلتُ تلك التفاسير إلى قراراتٍ قطعيّة، بأنّي سأنغلق عن الناس، ومعها موهبتي على الإحساس الحدسي الصادق، وتارةً أخرى، شكَّلَت من هذه التفاسير سؤال الضحيّة المكرّر: « ليه بصير معي هيك»، أو لماذا يحدث معي ذلك؟

كان في هذا السؤال صوت اللوَّام الداخلي، الذي يندب الحياة على المعاناة التي اختبرتها، فهو كالجريح الذي يخاطب روح الحياة قائلًا: لماذا فعلتِ بي ذلك؟ لماذا فعلتِ بي ذلك؟ وفي العمق يتجلّى عدم الرغبة لاستكمال الحياة. فحتى على حدّة ذهني حينها، وتنوّع التكنولوجيات الروحيّة في جَيْبي، بَقِيَ جزءٌ من ذهني لاعِنًا لما حدث، وغَيرُ راغبٍ في استكمال رحلة الحياة، وسؤال: « ليه صار معي هيك» بقي راقصًا في

الخلف بخلسة، طابعًا بَصْمَتَهُ الشرسة على تجربتي الخاصّة.
ومهما ازدادت حنكتي الحدسيّة، بقي هذا السؤال صامدًا في الخلف، رافعًا مناعته عن أي أساليب أستعملها للتخلص منه، ليتَحوّل هذا السؤال إلى مُعتَقدٍ فكريٍّ راسخٍ، وفي خلفيّته صورة الضحيّة التي أسقطتها من كيس الماضي إلى اللحظة.
وعندما ارتفع الوعي حينها، رأيت الماضي كما هو: كأفكار محمولة في خط الزمان، أو الأدقّ أن نقول دوائر الزمان؛ لأن الحركة الكونيّة لولبيّة. ثم دَبّ الضحك فيَّ، وليس الضحك العادي، بل نوعٌ من الضحك الهستيري، حتى اضطرّ أحد المتطوعين هناك لأخذي لخيمتي؛ لأنّي لم أستطع التوقف عن الضحك لأكثر من عشرين دقيقة، والمضحك أكثر، إني لم أكن قادرًا على تفسير ما حدث من دون الكلام! فاستمررت بالضحك، وهو بدأ الضحك معي. فمن منظورٍ أعلى، كانت هناك رؤيةٌ واضحة، أنّ كلّ هذه الأحداث تخلو من وعي الضحيّة، وتخلو من الشخصنة، وتخلو من التفاسير، وتخلو من الاستنتاجات، وتخلو من الأسئلة، وتخلو من المعاني، إلّا التي اخترعتها بذهني الخائف حينها، لتصبح معتقدات راسخة، يبني ذهني عليها أدلّته الدامغة. وفي هذه اللحظة بدأ الماضي بالانجلاء، وبدأ التغيّر بالحدوث.
للأمانة، لا أستطيع القول إنّ بعد تلك التجربة، لم يعد للماضي وجودٌ في ذهني، بل بالتأكيد له، ولكن دبّ اليقين في

أنّ الفائدة الوحيدة للذهاب إلى الماضي، هو للتحرر فقط، عن طريق شفاء المشاعر العالقة، لاستخلاص الحِكمة منها والتطور، وليس لغرض الملامة، والتكرار المقيت.

فشرعيّة الملامة لماضيك، أو ما تبدو عليه الشرعيّة، ما هي إلّا صوت الملامة الخائف في ذهنك، يستر فيها مفاتيح رسالتك الأصليّة، والتي تقبع فيما صميم ما ظننت يومًا أنّه سبب ألمك المحوري، لتلوم فيه الدنيا، البلاد أو الأشخاص.

أما فالقائد الحق، فهو من انصاع لإصبع الألم، الذي ينادي عليه بِرقّة، ليجري هناك بسرعة، فيكتشف أنّ في عمق هذا الألم، نداء الطبيعه لرسالته القلبيّة، وقوّته الخفيّة، وهذا سرّنا الصغير.

في عمق ما ظننت أنّه سببُ ألمك يومًا، تَقبَعُ كودات رسالتك، وقوّتك المستورة.

لذلك، عندما أعمل مع أيّ متدرّب الآن، ونكتشف مكان «عدم أمان» فيه، وهو سِترٌ لألم فكريّ مخبَّأ فيه، فهنا ما نسافر عادة في بُعد الزمان، ونذهب إلى مَصدَر الألم الفكريّ عند الطفولة، وليس بغاية إصلاح الماضي، فهذه المهمّة المستحيلة؛ لأنّ الماضي غير موجود، ولكن بهدف شفاء العواطف العالقه هناك وتحريرها. هناك يستشعر المتدرّب الموقف الذي حدث من وعي أعلى، فيتحوّل الماضي حينها من أداةٍ للمَلامَة المستمرة، إلى منطق السبب والنتيجة، وهذه

أعلى حالات الوعي في رؤية الماضي، ليتحول فيه منظورالضعف إلى التمكين، وشكلية اللعنة إلى الحِكمة.

فعندما ترى موقف الماضي، من مكانٍ أنقى من الشحنة العاطفيّة المكبوتة، سيتحوّل الماضي لنوع من الحِكمة، ورافدٍ لتطور جديد في حياتك، وربّما لهذا قال دكتور «جو دسبينزا Joe Dispenza»: « إن الماضي من دون شُحنةٍ عاطفيّة، هو حِكمة».

وهذا شيء ألمسهُ يوميًّا، فكلّما ارتقى الوعي، وشُفيت المشاعر العالقة، تغير ماضِيّ.

ومن الممكن أن تقول الآن: ولكن إيهاب ماذا تعني» بتغيير ماضيك».

الماضي هو مساحة فارغة من الأحداث، تضيف لها «فرشاة أفكارك» ألوانها الخاصّة، وتفاسيرها المختلفة، لتصقل فيها نماذجك الفكريّة عن الحياة، وعن نَفْسك، فتصبح نقاط جذب «مغناطيسية» في خطوطك الزمنية، حرفيًّا. وعند ارتفاع مستوى الوعي، بالتجذّر باللحظة، فقد ترى ماضيك بطريقة مختلفة تمامًا، ومعه الحِكمة الدفينة ممَّا حدث لك في السابق.

تذكر أن تفاسيرك الذهنية ستتحوَّل إلى طاقة مغناطيسية، لتُحدّد ما تجذب في المستقبل.

مثلًا، في نفس المكان الذي فسرت فيه تنمُّر الطلاب عليَّ في الماضي، على أنه ضعف في شخصيتي، تحوَّلتْ هذه

الصورة إلى طاقة مغناطيسية، تجذب إلى نفسها معايير متناغمة معها. ولكن بعد نهوض الوعي من داخلي، والسماح لطاقة هذه التفسير الجذابة بالزوال والانهدام، رأيت تفسيرًا مختلفًا تمامًا. رأيته من منطلق القوة.

فالكربون يتحوَّل إلى الماس بسبب الضغط الشديد لصقل جوهره، وأنا أيضًا جذبت كل هذه الأحداث لحياتي منذ صِغَرِي لنفسي؛ بسبب قوتي الروحية، التي أرادت استخراج الألماس مني باكرًا، وبإجباري للنظر إلى كل أماكن الألم المخبَّأة داخل عقلي الباطن. هل هذه حقيقة؟ قد تكون كذلك، أو لا، ولكنه منظور تقديمي أُفضِّلُه أكثر، وهذا يكفيني! هكذا تحوَّل النموذج الفكري عن نفسي من صورة الضعيف إلى القوي، ومن بوابة نفس الماضي.

ولكن تيقَّنْ أنَّ الماضي لن يُغيِّرَ نفسه، ويفتح لك الأسرار الدفينة عند ذاتك، إن استمررت بالتقصّي خلفه (إلّا إن فعلتَ ذلك بقصد الشفاء العاطفيّ). بل عندما تروّضُ ذهنك من الغرق في بحار الماضي، لتتّضح لك الصورة الأكبر في بُعْدِ اللحظة، وترى أن كلّ عناصر الكون، كانت وما زالت تعمل باتّجاه التطور الشموليّ. فمهما حصل في حياتك، يقبع في روحه خيرٌ عميق، وحِكمةٌ عميقة، وفيها مفاتيح التطور، وكأنّ أحداث الماضي، ومهما كانت، قد جُبِلَتْ، وصُمِّمتْ لدعم رسالتك الأصليّة.

ومن الممكن أن تقول الآن: ولكن ماذا عند هذا الموقف الشنيع الذي حدث لي، فهل يجب أن أراه كخير؟ لا، لن نطلب منك ذلك، فهذا نوعٌ من التفكير الإيجابيّ المُنكر، وخصوصًا عند وجود عواطف مشحونة، مقترنة بحدث الماضي، ولكن ما نريد أن تَفتح ثنايا ذهنك له، هو احتماليّة وجود الخير الدفين في باطن كلّ حدث، حتى إن لم تستطع أن تراه الآن.

منظور الخير الدفين لن يُفتح لك بالتفكير الإيجابيّ، بل بخلق المساحة الولّادة له، للمرور تلقائيًّا بمراحل الخيمياء الثلاثة: من سواد المشاعر، إلى بياضها، وإلى حُمرتها. هذه الألوان هي تلخيص لتحوُّل إحساس الألم، إلى المنظور الأعلى من التمكين والحكمة، لينقل المنحى الذي ترى فيه موقف الماضي، من الألم إلى «فهم تقدميّ»، يضاف به لمستوى تطوّرك، ليعمّ ذهنك بالسكينه والهدوء.

ولهذا السبب بالضبط، يتحدث الكثير عن قوّة الغفران، فما الغفران إلَّا عملية خيميائية دقيقة، لتَنجلي فيها العواطف العالقة، وتفتح بوابات الفهم على مصراعيها. الغفران ليس واجبًا أخلاقيًّا لتأديته، أو حتى نداء للشخص الآخر ليُكرّر ما فعله، وهو بالتأكيد ليس إكراهًا للتفاعل المستقبليّ مع من تريد الغفران معه. فالغفران لا يعني ابدا إنك ستعيد الصداقة أو العلاقة مع الشخص الذي سامحته، ولا يعني إنك لن ترفع عليه قضية بالمحكمة. فالغفران ليس له أي علاقة بالخطوة

التس ستخطوها أو لا تخطوها بعده، وإنما هو تفريغ لمشاعر الألم والغضب، لرَمْي أثقال المنظور القديم، والفتح لمستوى فهم جديد عن ذاتك، وأوّل من يحتاج هذا الغفران هو أنت.

وعند الفهم الأعمق «لخير» ما حدث، لا يعود للغفران مكانٌ، فهو أوصلك على كتفه المشدود للموقع المنشود، وهو الشكر على ما حدث، ليتحوّل الماضي لما يجوز أن يكون عليه، كحِكمة خادمة لرسالتك.

فالآن أرى بوضوح الشمس، أنّ كلّ التنمر، والاستضعاف، والقيود المجتمعيّة التي اختبرتها، هي نفسها الوقود المحرّك لرسالتي، والتي في روحها دعوة شموليّة للأصالة والوحدة التمكين. فالجميل أنّ الماضي لم يتغيّر، ولكنَّ تفاسيري لأحداث الماضي تغيّرت، هي تغيّرت من الغضب إلى الفهم، ومن الملامة إلى الامتنان.

أرأيت كيف تحوّل الماضي في ذهني من مُعرقلٍ ضخم، لداعمٍ لرسالتي، فلولا إحساسي بألم رفض الذات، والمشي في رحلةً الفارس لتحويله، لما انبثق من قلبي حُبّ التغيير الصادق، وفيه القيادة المستنيرة لشغف التعبير الصادق. فكيف لوقود التغيير أن يتّقد، بدون إحساسي العميق بالتعاطف، لمن أحسّوا أنهم مرفوضون، ومستضعفون، كما كنت أصدّق واهمًا في نفسي.

وهذا ما يفعله الكتاب تلقائيًّا، بنقل وعيك من رفض وجودك كما هو، لفضاء التقبّل اللّا محدود، وفي عُمقِها نقلةٌ مَرِنَة لنقطة تركيزك من الخارج إلى الداخل، حتى ينهار هذان البعدان بالذوبان، لترى أنهم في عمقهم واحد، روح واحدة، تَقبّل واحد، وقوّة خلّاقة واحدة. فمسعى الكتاب الباطنيّ هو أن يُغريك بخفّةٍ لفضاء الذات، وبواباته للحظة، ذلك الفضاء الذي لم ولن يشتري قصص الخوف المثقلة عن الماضي، وهنا تبدأ عمليّة شفائك الفوري. فالشفاء الحق هو العودة إلى عمق ذاتك، والذي لا يحتاج الشفاء أصلًا، وهذا سرّنا الصغير.

الشفاء الحق، هو ليست عمليّة إصلاح للماضي، وإنّما بتذكّر ذاتك الأصليّة، التي لا تحتاج الشفاء أصلًا.

ففي إحدى المرّات، عندما بدأت العمل مع متدرّبة جديدة، طلبتُ منها، وكعادتي، أن تُجيب على مجموعة من الأسئلة التي أبعثها قبل بدأ التدريب، وفي أحد الأسئلة كانت إجابتها «أنها مكسورة من الماضي». بالطبع عندما بدأنا التدريب، قمتُ بالتركيز على هذه النقطة، لأساعدها أن تَعِي، أنّ الشفاء ليس عمليّة إصلاح لكسور الماضي، وإنّما العودة لذلك النقي فيك، الذي لم، ولن يُكسر.

وهنا لن نحتاج إلى مئات الجلسات، للتحدث عن طفولة المتدربة، وانكساراتها، لنضيع سويًّا بدوائر مغلقة من التحليل الذهني، ما فيها إلّا التأكيد على صورة المنكسر، وفي الحقيقة

«أنّك مكسور»، وتحتاج الإصلاح، هي بذاتها ليست إلّا فكرة، مجرّد وَهم. لذا فإنّ الشفاء الحقيقي هو ليس بإصلاحك، وإنّما التذكر أنّ في ذاتك يقبع الحيّ الكامل، وليس المكسور، وهذا لا يحتاج وقتًا أكثر، بل نَقلةً في المنظور. فلا تظنّ كما تعلّمنا من المجتمع، أنّ الزمن يشفي جراح الماضي، فليس الزمن بشافٍ للجراح، بل التغير بالمنظور، لتَذكّر النقيّ الكائن فيك، وهو الشافي.

وبهذا التوضيح، وبكلّ ما ذكرنا عن «الماضي» حتى الآن، نأمل أن يسطع من داخلك الوضوح، لترى الماضي كم هو ذكرى! الماضي لا يقطن إلّا بذهنك كذكرى، وأما الحقيقة لا تقبع إلّا في فضاء اللحظة، الآن. في هذا الفضاء تعدّي لكلمة الماضي المكرر، وفتح على أفكار جديدة، ومعها عوالم جديدة.

لتبَقى في هذا الفضاء المتجدّد، سأقترح عليك تمرينًا ذهنيًا بسيطًا، ولكنّه غاية بالتأثير، ولا أقدر أن أدّعي أنّي اخترعت هذا التمرين، فقد تعلّمته من مدرّب أتاني من هاوي لاسكتلندا، خصّيصًا لتدريبي بشكل شخصيّ على مدار أربعة أيام، وهذا التمرين من أهم ما التقطتُّهُ منه، وهو يُدعى «حتى الآن».

حتى الآن، هي من أفضل الطرق للتعامل مع محدّدات الماضي، ووهم الشخصيّة المحدودة، فماذا نعني بحتى الآن؟ سنوضّح ذلك ببعض التطبيقات العمليّة، مثلًا قد تقول:» إنّي

لا أذكر أسماء الناس»، وفي هذا إعلان أبديٌّ صارخٌ، وبالعهد المُطلق، أنّك ستستكمل باقي حياتك بهذه الطريقة. ولكن عندما تقول أنا لا أذكر أسماء الناس، حتى الآن، فأنت تفتح المجال للتغيير.

في جملة حتى الآن، اعترافٌ صادقٌ بالمكان الذي أنت فيه الآن، وبنفس الوقت فَتحُ المجال الكامل للاختيار والتغيير، فإن قلتَ: أنا لا أذكر أسماء الناس، حتى الآن، فأنت قادر على التغيير حينها، والبدء بتعلّم استراتيجيات جديدة لتذكّر الأسماء.

وللتوضيح أكثر، دعنا نأخذ مثالًا آخر على ذلك، ودعه يكون: أنا لا أعرف أن أدير المال، ولنحولها إلى: أنا لا أعرف أن أدير المال، حتى الآن، وبهذا لديك الفرصة لتأخذ قرارًا جديدًا، للبدء بتعلّم كيفيّة إدارة المال. كما ترى «حتى الآن»، تخلق فاصلًا في أنماط الماضي، وتُحدِث إضرابًا فجائيًّا بالأنماط الفكريّة المكرّرة، لتُعطي مساحة جديدةً من الاختيار والتجديد، فحتى الآن تذكرك أنك تعيش في لحظة من الاحتماليات اللّا محدودة. هي احتماليات «عارية» من الخوف، والأحكام.

للتذكير:

* الماضي هو «وعي ذكرى».
* عند ارتفاع وعيك الحالي سيتغيّر ماضيك.

* الغفران هو جالٍ للماضي، وهو من أجلك، وليس لأيِّ شخص آخر.
* عند إضافة «حتى الآن» لأيّ مُقيّد فكري تطلقه على نفسك سترجع إلى عالم الاحتماليات اللّا محدودة.

أسئلة للتفكر:

لو تركت كلّ مقيّدات الذهنية من الماضي لعشر دقائق فقط، كيف ستختبر الحياة الآن؟

ماذا سيحدث لو تصالحت مع ماضيك؟

ماذا لو كان الماضي الذي اختبرته مُهندَسًا لخدمة رسالتك؟

من أنت من دون ماضيك؟

قوّة العُري

لا تُلاقى عادة كلمة العري بالترحاب والتهليل، وإن أردت الدليل على ذلك، تجرّأ أن تقول لشخص ما: عَرِّ نفسك، هذا لأن المجتمع ألبس كلمة العري «رداء العار»، مغلّفًا إيّاها بكثير من القبح والاشمئزاز، لتصبح كلمة العري قرينة الدعارة، وهي بالحقيقة طريق الاستنارة!

طريق التنوير الحق، هو طريق التعرية وليس الإضافة، فالإضافة بالتعريف، تعني أن المضاف إليه، في كينونته خزي وإرباك، وهذا يتنافي مع عقائد الكون الأصلية، والتي تنصُّ على أن الخلق كامل، ومكتمل بذاته، وهذا سِرّنا الصغير.

الخلق مكتمل بذاته.

صفة الكمال هي في روح الخلق والخالق؛ لذا يجب أن يكون الكمال صفة الخليقة، ولا نتكلم هنا عن مفهوم الكمال المشروط بشكل معيّن، أو أسلوب معيّن، أو منطق معيّن، وإنما هو كمال الخلق كما هو. هو كود روحي مشفّر في قلب الخليقة.

فـأنت كما أنت، كامل، نعم أنت كامل، ومُبهر، وجميل، وساحر، ولا تحتاج الغطاء لتشعّ هذه الصفات، بل على العكس تمامًا، فالغطاء يبشعك ويثقلك. وهو أيضًا يغذّي عقلك

الباطن ببرمجة العار، والتي تقول في لغتها الملعونة: إن وجودك كما هو معاب، أو كما اعتدنا بلغة الكتاب: أنت كما أنت لست كفاية. هذا هو محرك نظام الخوف الدائم، والذي أُبرز لنا في طرق مختلفة ومنها روايات الزمان وحكاياتها، كما في قصة الخلق.

العار يظهر في قصة الخلق كالعاطفة الأولية بعد السقوط، فمثلًا عند النظر إلى قصة آدم وحواء، نلمح الحاجة إلى التغطية الفورية لحظة السقوط من الجنة، وفيها رمزية السقوط من وعي الوحدة إلى الانفصال، بعد الأكل من تفاحة المعرفة.

تفاحة المعرفة قد ترمز إلى أحقية الذهن الوهمية في «الحكم» على الأمور، من الصحيح والخاطئ، ومن معرفة بشرية محدودة. هنا ولدت الحاجة إلى تغطية ما كان خاطئًا، أو معابًا في تكوينه، كنتيجة لهذا الأحكام السطحية، والتي لا ترى الكمال خلف الازدواجيات.

لذا بدائية العار تحكم الإنسان منذ قدم الزمان، وقد أتى الآن الوقت لاحتراقها، فالعار لا يضيف لنفسك طُهرًا ولا إجلالًا، وإنما يُرهقها بلعبة الاختباء. بالعار ستُخبئ نفسك من نفسك، لتسكن في ظلمات النفس، وهذا ما أطلق علية «كارل يونج Carl Jung» «بالجانب المظلم shadow side». هو ذلك الجزء منك الذي يقبع في ظلال النفس، لا يأتيه نور، ولا

هواء، ولا ماء، فأنت لا تدري أنه منك، ولكنه يستعبد نفسك بسلوكيات غير مفهومة عنك. يستعبدك بكرهك له.

الجزء المظلم منك هو الجزء الذي رفضته، وسلمته نيشان العار، فلا هو انفصل عنك لأنه منك، ولا هو عُرف فيك؛ لأنك أنكرته، لذلك اختر الاختباء في دواخلك. اختبئ في سراديب النفس الداخلية، ومن ثم اقفل عليها بالبوابات الحديدية، فأصبح «كالسجين» داخل نفسك. هو سجين «الظلم» المهول، يحرسه «جُند» الغضب المهول.

ولكن الحقيقة تقول إن الظلم الحقيقي هو ظلم النفس، وبإخفائها، فلا قوّة على وجه الخليقة تقوى على ظلمك، إن لم تكن أنت ظالمًا لنفسك، وبإخفائها، تماما كما أنه لا قوّة تقدر على كرهك إن لم تكن أنت كارهًا لنفسك، فقوى الظلم والكره تتحوّل إلى المارد الخادم لمن اختار حقيقته كما هي. بصورة أدق، فكل قوى الكون، وحتى الحاقدة منها، تتحوّل إلى طاقة التمكين لمن اختار حقيقته، خيار «كن أنت».

 «كن أنت»، هي ليست إظهارًا لجانب معين منك، وإخفاءً للآخر، وإنما تعرية كاملة للنفس الإنسانية، وهذا هو مفهوم التزكية الحق، فتزكية النفس هو بتنويرها من ظلمات الخَفِيّة، والتعتيم والاختناق، فيرتقي ما كان قابعًا منك في الظلام إلى طريق الرقي والتكامل النفسي، ومع باقي الأجزاء.

فلك الخيار، إما بالإخفاء، أو العري التدريجي، والأول سيكون نتيجته العذاب الحتمي. هذا لأن إخفاء النفس، هو أشبه بإخفاء طفلك في خزانة مظلمة؛ خوفًا من حكم الزوّار عليه، وهو في الأصل الخوف من عدم توازى عفوِيّته مع «قوانين النَّبالة الاجتماعية».

وليس هذا فحسب، بل نسيانك لوجود هذا الطفل، لدرجة إنكاره، فلا هو ينضج مع نضوجك، ولا يرتقي مع ارتقائك، بل يختنق في حجرة الخزانة. ومن منظورٍ روحي أسمى، هو الاختناق في حجرة الزمان والمكان.

أتظن طفلك الداخلي سيفرح بذلك؟!

فإن أتاك نور الحكمة، وقرّرت فتح ما في الخزانة، فطبعًا ستواجه غضب الطفل وأحزانه، ومعه دور المظلوم الذي يجسده، وواقعه المُتجلي مع هذا الدور، من سلاسل الظُّلام والمستغلين، وأنت الخلاق لكل هذا. وستواجه أيضًا طريقة الطفل الخاصة بالتعبيرعن كبْتِهِ المتواصل، وقد تكون برفض التواصل معك، أو التمرد، أو حتى معاقبة النفس لصون كبريائها، أو غيرها من تعابير الألم والكبت.

ومن مشى في رحلة التعرية يعرف تمامًا معاني هذه الحروف، ويعرف التحدّيات العاطفية لعملية التعرية؛ لأنه عند التعرية يُرى المكشوف كما هو، والذي قد يكون صادمًا لك في الوهلة الأولى. هي الصدمة، بأن ترى أنك بجهلك

وضعت طفلك داخل الخزانة، وأغلقت عليه، وليس هذا فحسب، بل ألصقت على فمه لواصق مختلفة لمنعه من الكلام؛ خوفًا من أحكام المجتمع عليه.

ومسؤوليتك- نعم مسؤوليتك- أن تتعامل مع هذه الاختلالات النفسية حتى يرجع التوازن لطفلك، ليتطهّر ألمُهُ بعماد التقبّل والحنان.

وهذا النضوج لن يقتصر فقط على كشف زيفك الداخلي، بل على زيف النفس الإنسانية ككل، وماذا فعلت، وأنت شريك بهذا.

فماذا فعلت النفس الإنسانية؟

خبَّأتْ أطفالها المجروحين في خزائن حديدية في قاع المحيطات، وأحاطتهم بطبقات مرجانية.

هي طبقات الانفصال، بل وَهْم الانفصال.

هل ما يقال هنا يثير غضبك؟

جميل... إذًا تنفس واسترخِ، ودع لنفسك الفرصة لاستقبال المعارف والشفاء، حتى تعرِّي نفسها من تيارات الإنكار.

شخصيًّا عندما اكتشفت حجم الإنكار الإنساني لما فعل ويفعل، عن طريق الأحكام والإسقاطات الخارجية، صُدمت، ولكني أيضًا نضجت. فإن أخلت الصدمة الأولى توازني، فهي نبهتني أيضًا لأهمية «خيار العري» لنفسي وللكل، هو خيار التقبُّل وحب الذات.

تذكر أن مَلكة الخيار قائمة دائمًا وأبدًا...
بعد هذه الصدمة عاهدت نفسي بالتزام طريق التعرية على الإنكار، فهو طريق الصراط المستقيم، وهو ليس بالخيار السهل، ولكن لروح الحكمة خيارها الوحيد، خيارها المنطقي، منطق النظام الواحد. وبأخذي هذا العهد الصارم، بدأت حرقة النار بالتعالي، هي نار الخيمياء التي تحرق لباس الزيف، فتحرقه برهبة التعاطف وبراءة الأطفال، لتحوّل هويات الانفصال التي دشَّنَّاها، وغذَّيْناها، وتفاخرنا بها إلى رماد مسحوق.
فإن عرَّفت نفسك بالمحروق، عانيت، وإن عرَّفت نفسك بالحارق استمتعت، وإن عرَّفت نفسك «بالوعي الشاهد» للحارق والمحروق، وهذه حقيقتك، خلصت! وهذا سرنا الصغير.
أنت لست حارق الزيف، ولا الزيف المحترق، وإنما الوعي المراقب لهما.
وهل انتهى الاحتراق؟
لا، فنار التطهير المقدسة هي عملية مستمرة استمرار الحياة، فالعري أسلوب حياة، وليس حدثًا واحدًا.
ولكنِّي أظن أن في حياة المرء تأتي اللحظة التي يقول فيها: كفى! كفى مجاملة، وتملّقًا، ووضعًا للأقنعة، كفى، فقد قَرفت

نفسي من نفسي، وحرقت القناع الآن، أهون علي من العيش الزائف.

وهذا ما حصل معي...

واسمح لي هنا بأن أشاركك معك اللحظة التي قلت فيها كفى.

في مرة سافرت إلى أيرلندا مع صديقي «كريس»، نهدف سويًّا لأخذ جلسة من التشافي الروحي الخاص، باستخدام أساليب متأصلة من حضارة المعالجين الأصليين في أمريكا اللّاتينية. ذهبنا إلى المكان وكلنا شوق وحماس، حتى التقينا مع المعالج.

بدأ المعالج بالتكلم معنا، وما علينا فعله، ومن دون الاستطالة بالشرح قادنا إلى مكان التشافي. مشينا سويًّا عبر السهول الخضراء، وهواء أيرلندا العليل يتراقص داخل صدورنا، والذي زار ريف أيرلندا يعرف نقاء الهواء فيها، والجمال المذهل لسهولها، هي سهول سحرية متوهّجة ترتدي رداء الخضرة على مدّ النظر. سرنا على هذه السهول حوالي ربع الساعة، قبل أن نصل إلى المنطقة المنشودة.

عند الوصول هناك، بدأ قلبي بالخفقان سريعًا، فعند الاقتراب من مواجهة نفسك بعمق أكبر، يعرف نظام الخوف فيك ماذا سيحدث، وطريقته الوحيدة لتلافي ذلك، بتفعيل منبّهات الخوف في جسدك.

تيقّنتُ لهذه المنبهات، وتنفّست، وأبعدت تركيزي عنها، ووجّهته إلى النهر الريّان أمامي ليقص عليَّ حكايته المفضلة: «ما تفكر كثير، وامشي مع التيار».

أخذت نصيحة النهر، وقفزت إلى عملية التشافي...

هناك اختبرت مباشرة، رهبة العُرْي.

العُرْي الذي أتكلّم عنه هو ليس عريَ الملبس، بل العري الأكبر:

الموت...

نعم هناك اختبرت، وبحق اليقين ونوره، المعنى الكامل للموت والإحياء، لينجلي بعدها هذا الخوف من كياني تمامًا، فالموت لي الآن مدعاة للفرح، والسرور، والإجلال، وحتى مدعاة للاحتفال!

الموت هو نهج حياة أسلكه، أتراقص بين حلقاته المتكررة، كعلامة على البدء، والتجديد.

من خبرة الموت تلك وغيرها، عرفت أنه في خِضَمّ رحلة الموت ستجد رحلة الخلود، والتي قد نسمّيها أيضًا برحلة العُرْي، فلا سبيل لمعرفة الذات الخالدة، من غير التعرية الكاملة للذات الزائفة. أيضًا هناك في هذا السهل عرفت أن الإنسانية ككل استحدثت كافة الاستراتيجيات العبقرية للهرب من العُرْي، فالعُرْي لشيطان النفس، وهو نظام الخوف، عدوّها اللّدود.

تذكر أن نظام الخوف استُحْدِثَ على أساس مغلوط، ووهم مبرمج، وإن عَرَّى نفسه لنفسك كُشفت لعبته، وإن كُشفت لعبته، فَقَدَ هيْبَتَه، وانجلى قوامه، ليتحوّل من سيد نفسك إلى خادمها الودود.

لذ ا يعادي نظام الخوف فيك مسلك العري؟

وكيف ذلك؟

بعاطفة العار...

معتمدًا بذلك على صديقه المخلص: «الجهل المجتمعي»، والذي يغذّي هذه العاطفة بدراية، أو من دون.

ومن هنا يأتي السؤال: ما هو العار؟

وهنا سأستعيض بواحدة من أقوى تعاريف العار، على الأقل برأيي الشخصي، وهذا التعريف أتى من أعمق الباحثين في هذا المنحى، وهي الدكتورة «برينيه براون Brené Brown» التي كرّست الجزء الأكبر من عملها لدراسة العار؛ كي تعرّفه ببساطة: إن وجودك كما هو خاطئ. لهذا العار هو أخطر بكثير من الذنب برأي براون، فالذنب يقول إنّ هناك شيئًا خاطئًا في تصرفاتك، وإنما العري يشَخْصِنُ هذه المعادلة ليحّول وجودك للخاطئ.

وللأسف ثقافة العار، قُدّستْ، وورّثتْ لأجيال وأجيال، وخاصة في نسيج البلاد العربية، حتى أصبحت كلمة «عيب»، موازية لشهرة صباح الخير.

هذا هو التوارث الأعمى للعادات والتقاليد، بل هو التقديس لها، وأخشى أن يقضي هذا الموروث على الأمة ككل، بل على الكرة الأرضية ككل! نعم لا تستغرب هذا، فالموروث مسؤول عن الحروب والكوارث، وحتى الاحتباس الحراري!

كيف يكون ذلك؟

لأن الموروث يضع قيمة للستر «المرضي»، والتملُّق على قيمة الحقيقة، وإن سُتِرَتْ الحقيقة عنك، وعن مجتمع كامل، سُتر معها حقيقة الواحد، كلنا واحد، وبهذا ستصبح الحروب والتلويث بالمستباح. فمن منطق الانفصال كياني لا يتعدى جسدي، وليحترق البقية.

ولكن لك أنت يا من استنرت بنور الوحدة، وقوّة الخيار، لك أن تقود التغيير، ولك أن تأخذ خيارًا آخرَ: بتشفير العار.

وأنا أعني الآن...

فلماذا لا تبدأ بتشفير العار من حياتك، وبالواضح البسيط، وهو على مستوى الكلام.

فكيف يكون ذلك؟

بحرق كلمة العار من معجمك، أو كما ترويها شفاه المجتمع بالـ «عيب».

لماذا ترددت، أتخاف خسارة العيب؟!

لا تخفْ، فإن خسرت العيب، أنت كسبت.

فهل ستكسب مثلما فعلت أختي منار؟

في إحدى المرات كنت أزور بيت العائلة، وكانت معنا بنت أختي منار، جويل الصغيرة، تلعب وتركض في ساحة البيت، وتصرخ على أمي: تيتههههههه.

وكالعادة بدأت أمي باللعب مع جويل، لتقوم جويل بطاقتها الصاروخية، بالقفز والرقص والغناء بصوتٍ عالٍ، لتأتي أمي بعفوية «بريئة» وتقول لجويل: «عيب تيته». تخيل طفلة عمرها ٤ سنين تبدأ بشرب طاقة العيب، لتدخل مرة أخرى في «دوامات الخطيئة الأصلية»، وما هذه الخطيئة إلّا العار، وهي جوهر كره الذات، والاقتناع بنقصها!

لحسن الحظ أيقنت أختي منار لهذه الحقيقة مبكّرًا، لما عانت قبل من كلمة العيب كفتاة في البلاد العربية، لتقول لأمي، وبكلِّ حزمٍ وصرامة، واحترامها على هذا: «أمي أرجوكِ لا تقولي لجويل عيب؛ لأننا لا نستعمل هذه الكلمة بتًّا في منزلنا».

فهل لك أن تفعل مثل منار؟

قم بذلك الآن، ولا تقل هذه الكلمة بتاتًا لنفسك أو لغيرك، والاثنان واحد، فهذه الكلمة ليست أساسًا لعمران الأرض! قرِّرِ الآن ألَّا تقولها، وسامح من قالها لك من قبل، وابدأ صفحة جديدة.

الآن ، نعم الآن...

لك أن تختار الآن بِقَبر العيب، فهو من يبقيك في أنقاض الوعي السفلية، وحتى الدكتور «ديفيد هاوكنز David Hawkins» يوافق على ذلك. وضع هاوكنز وهو صاحب نظرية «مستويات الوعي» العار على أخفض درجات الوعي الإنساني، وبتردُّدٍ طاقِيٍّ يوازي الـ 20، مقابل التنوير الذي يوازي 1000.

فكيف لك أن تنهض بوعي التنوير الحب والابتكار، إن كانت كلمة العيب على لسانك، تطلقها على هذا وذاك، وفي كل إطلاق لهذه الكلمة، عار آخر تبرمج به نفسك، فما تعيب عليه بالخارج، هو سجن لك، وهذا سِرُّنا الصغير.

ما تعيب عليه بالخارج هو سجنك الداخلي.

وإن أردت الدليل على ذلك، سأعطيك مثالًا بسيطًا على سجن العيب، وإن تم بطريقة غير مباشرة.

كنت مرة مع إحدى صديقاتي، نزور متجر فيراري في إيطاليا. هناك تجد الكثير من الملابس والإكسسوارات التي تظهر جوهر السيارة، وسألتها حينها:»ما رأيك

بـ «فيراري Ferrari «، فقالت: «إن فيها الكثير من الإظهارٍ Show off«

كما لاحظت الآن، في نفس هذا التعليق، شكل من العيب المبطن على أسلوب فيراري.

فما هو الصِّحِّي إذًا، أن تكون كفيراري، وتظهر قوّتَكَ، وثراءك للناس؟

لا هذا ولا ذاك، بل الاثنان سويًّا، وما بينهما. نعم كما سمعت: الاثنان وما بينهما... وهذا هو حب الذات.

بحبّ الذات، ستكتشف أن تعابير الحياة لا تنحصر في نطاق الازدواجية، فالحقيقة تتواجد بين الأقطاب، وما بينهما، وعلى أبعاد مختلفة. وللتوضيح العملي، افتح يديك الآن، لتحمل القطب الأول في اليد اليمنى، وفي هذه الحالة هو الإظهار، وأما اليد اليسرى، فاحمل فيها التكتُّم.

الحقيقة ليست باليد اليمنى أو اليسرى، وإنما بمساحة المنتصف كاملة.

لك أن تتخيَّل الآن أن منطقة المنتصف ليست محدودة، ومتواجدة على أبعاد عِدَّة.

أستشعرتَ الآن عالم الاحتماليات اللَّا محدودة؟

تذكر أن من رأى الحياة بمحدودية الأبيض والأسود، وهو لون العار، فقر، ومن رآها كما هي بأبعاد عِدّة، ونواحٍ عِدّة، وتداخلات عِدّة، وهو لون الثراء، ارتقى.

فقد تحتاج أحيانًا إلى أن تكون كالفيراري لتظهر نفسك للخارج وبافتخار، فتسطعها حتى النجوم، وتلهم بنجاحك الناس، وفي تارة أخرى قد يكون التكتّم هو الحكمة، وليس

كتمان الخوف من الحسد، وهو وليد النقص، أو وهم النقص، وإنما كتمان القوّة والحب إن اقتضى الأمر.

فشخصيًّا تراني دائم الكشف عن رحلاتي حول العالم، على شبكات التواصل الاجتماعي، لأكون بمثابة «المثال» لشخص التزم طريق الأصالة، وجنى من متاع الأرض والروح أعلاها من مغامرة، وحرية، واستمتاع. وبنفس الوقت هناك جوانب معينة من حياتي أختار إبقاءها لنفسي، ولا أكشفها للعامة.

ولكن عند وصْمِ العار على فيراري بأنهم يتفاخرون بالمظهر، ستسجن نفسك بهذا الحكم، ليختلّ توازنك؛ لأنه انحاز لواحد من النقائض على الآخر، فتراك لا تسمح لنفسك بالتفاخر في المساحة الحقّة لذلك. وحتى مجالك الكهرومغناطيسي سيختلّ حينها؛ لأنه ابتعد عن توازن نظام الواحد.

فلماذا لا تكون كذلك؟! عاريًا من أحكامك، ومحتضنًا لكل أقطابك، وتعابيرها.

وإن رفضت مسلك العري، واخترت مسلك العار، وأحكامه المختلّة، ستفوح منك رائحة العيب في كل مكان، فكل الأحكام هي من إبط هذه الرائحة النتنة، لتملي عليك أحكامك ومن دون وعي، بأن جزءًا منك، أو أجزاء كثيرة تقبع في دائرة

الإصلاح. ودائرة الإصلاح تعد ما في داخلها بالمكسور، وتعتبر وجوده خاطئًا.
وإن أردت الصدق، هذه كذبة، نعم كذبة، فلا يوجد إنسان على وجه الخليقة يحتاج الإصلاح، وحتى إن كانت هذه الكذبة متوارثة في كثير من استراتيجيات العلاج النفسي، حتى وصلنا إلى خلق مسمّى وظيفي كامل اسمه: المُصلح النفسي، وفي هذا انتقاص من قيمة الإنسان، أو على الأقل على مستوى الظاهر.
طبعًا هذا لا يعني الهجوم على المصلح النفسي؛ لأن النية هي الفيصل بالنهاية، وإنما الدعوة للتذكر أن الإصلاح هو فقط لما كان خاطئًا في أصله، وكيف تكون كذلك، وأصلك من أصل التكوين، أصل روحي واحد، وفيه الكمال كود أصيل متجذر.
بمعرفتك الباطنيّة أن أصلك كامل ومثالي، وليس معيبًا، ستبدأ عملية التعرية تلقائِيًّا...
عملية التعرية هي تذكير لما كان أصيلًا فيك، وبتفعيل هذه العملية، وأنت تفعّلها الآن من خلال قراءتك للكلمات، وما بعد الكلمات، ستبدأ المواجهة المباشرة مع نفسك لما وصمته في بالعار، وقد تصعق باليقين بأن في عقر هذا العار يسكن كنزك الدفين، وهو أقوى قدراتك الذهنية، وأعظم مواهبك الروحية. وهذا سرنا الصغير.

في عُقْر ما حكمت عليه بالعار تتجلّى أعلى قدراتك الذهنية.
ودعْني أقلْ لك عن نفسي، فكلّ ما وصمته بالعار، أو الخاطئ في «شخصيتي»، وسخرت قوّة الإرادة لإصلاحه، أو حتى التخلص منه، اكتشفت بالنهاية أن في عقره يسكن جمال الكون، وقوته الرهيبة. فمثلًا في تعريف الرجل الذي تَبَنَّيْتَهُ من المجتمع، هناك «عار» على الحساسية الطاقية، هذا عيب، وكيف تكون حسّاسًا، والرجل الشرقي يُعرف تاريخِيًّا بالقدرة على كبت الإحساس.
لذا حاولت كل المحاولات لأكون «رجلًا» كما باقي الرجال، غير عارفٍ أن في قناع «الرجولة المبرمج» حربًا مع روح الرجولة الأصلية، وعندما رأيت قالب الرجولة المبرمج كما هو- كقالب فكري أعمى- جُبِل من عيون وأيدٍ عمياء، بدأت تلقائيًّا نار التطهير بحرقه من داخل نفسي، لتتضح رِقّة الأحاسيس وجمالها، والتي هي مفتاح الرجولة الحقة. فأعلى تعابير الرجولة، هي في حالة الأمان المطلق لاختبار الأحاسيس كافة، وخصوصًا الباطنية منها، هو الأمان الكامل لإعطاء طاقة الأنوثة فيك حقها في الإحساس، والتعبير، والرِّيادة، فترجع نفسك إلى توازنها بطاقة الذكورة، والأنوثة، وبالتركيبة المناسبة لحقيقتك.
كل طاقات النفس والتي منها طاقة الذكورة والأنوثة، تتواجد في كينونتك في نسب دقيقة، ومناسبة لتركيبتك الخاصة،

لتحدث التوازن والإشعاع الصادق لحقيقتك، ولكن عند وَصْمِ أيّ مكان فيك بالعار، فهو يُحْدث اختلالًا في توازنك الطاقِيّ؛ لذا العري في الأصل، هو منهج التوازن، للعودة إلى ما كان عَفْويًّا فيك.

هذه العَفْوية هي عملية مستمرة من التعرية، هي مستمرة استمرار الحياة، والأنجع أن تتم بمزيج من الحكمة والشجاعة، وبالاستراتيجية الأنيقة في التحدّي أو القتال، للتعامل مع التحدِّيات العاطفية التي تنشأ من العري رويًّا رويًّا، فتنضج بهدوء وقوة في التدريب.

وكيف يكون تدريب العري هذا؟

بالكشف عن نفسك ومكنوناتها، بالتدريج. ودعني أعطِكَ مثالًا واقعيًّا للتوضيح...

في مرة من المرات أَنزلت صورتي على شبكة التواصل وأنا أدخن السيجار، وهو شيء أفعله بالمناسبات، كأسلوبي الخاص في الاحتفال. طبعًا هذا الصورة كانت صادمة لكثير من المتابعين، والتي تحوَّلت إلى ردّات فعل شرسة في التعليقات، وخصوصًا لمن كان يتابعني في شغف لسنين طويلة.

السؤال ماذا استفدتُّ من تنزيل هذه الصورة؟

هذه الصورة هي جزءٌ من تدريبي على العُري، فالهدف منها هو كسر القالب الذهني المعين، الذي يحاول أن يلصقه على

المتابعين، والذي يضع المُعلّم في خانة تخلو من الإنسانية. هو قالب مبرمج يضعه الناس عليك ليعاقبوك عند الخروج منه؛ لأن هذه نفس الطريقة التي يعاملون بها أنفسهم؛ لذا وضعت هذه الصورة لأهدم هذا القالب من نفسي ونفس الناس، لأظهر كإنسانٍ عارٍ من دون دوّامة «المثالية الوهمية». طبعًا هذا لا يتناقض

مع دعوتي الدائمة للصحة والشراب الأخضر، بل يضيف لها توازنًا وحقيقة .

لأنّ هذه الصورة كانت جزءًا من تدريبي على العُري، وجب عليَّ التعامل مع المشاعر التي تظهر للسطح حينها من دون إسقاط أو مَلامة، وهذه المشاعر كانت قوية جِدًّا، من خوف الفقدان للمتابعين، إلى الخوف من التشهير. ولكن مع المراقبة للمشاعر، والقيام بعملية التطهير المناسبة عن طريق التعمّق في تقبُّل الذات، ارتقيت إلى مرحلة أكبر من رحلة العُرْي. رحلة «كن أنت».

لذا تراني دائمًا، وأبدًا أول من يُحطّم صورة المثالية عن نفسي، وبهذا لا أضع ثقلًا على كَتِفَيّ، ولا أحاول متملقًا المحافظة على صورتي المنمّقة أينما ذهبت. فإن أخذت «كورس» معي ستدري أنّي على طبيعتي، وأقول الأمور كما هي، ولا أضع نفسي في خانة معينة، وهذا ما يصدم البعض

في الوهلة الأولى، ولكن بالنهاية يحبونه لحقيقته. فهو يعطيهم المجال أيضًا ليكونوا حقيقيين.

للأسف الكثير من المشاهير يفقدون الهداية لهذه البساطة في التعبير، خصوصًا مع ازدياد شهرتهم، فيبدؤون بخلق الضغوط المجتمعية على أنفسهم، للمحافظة على صورتهم الوهميّة. للأسف هذا يتواجد بكثرة في البلاد العربية، بمحاولة المشاهير والقادة للتقيُّد بصورة تقليدية، والمحاولات المكررة لمَحْوِ ماضيهم، وعدم التكلم عن أخطائهم. هذا هو منطق العار المجتمعي، بالمحاولة المتكرّرة لإخافتك من الأخطاء وعثرات الماضي، فتراك تخاف «الحكم» من الخطأ، أكثر من خوفك من الخطأ نفسه!

قد لا يحاكي هذا الحوار واقعك الحالي، فقد لا تكون من المشاهير، ولكن تبقى العبرة، أن تُعرِّيَ نفسك كما هي. وقد يكون تدريبك ببساطة، أن تعبّر عن أحاسيس مكبوتة من داخلك لشخص معيَّن، ولكن تخاف إن عَبّرت عنها ألَّا يرضى عنك، أو أن لا يراك بمكان القوّة الوهميّة الذي تريد إسقاطه، وهنا بالتحديد يأتي تدريب التعرية، ومن بعدها التعامل مع المشاعر التي ستظهر للسطح.

إن لم تتدربْ على العُرْي كأسلوب حياة، ستتدرّب على التغطية كأسلوب حياة، فأحد قوانين الكون هو التكثير. أي أن الحياة تُكثر ما توجّه طاقتك الذهنية باتّجاهه، وإن اخترت

التغطية مرة بعد مرة، ستزيد تلقائيًّا، لتختنق أكثر يوم بعد يوم.

سأكرر، وأقول «تدريب العري»، أو تدريب «كن أنت»، ليس بالسهل، ولكنه طريق الحرية. هو ليس بالسهل؛ لأنك ستواجه فيه الكثير من المخاوف وفي عقره، الخوف من النبذ المجتمعي؛ لأن الأماكن التي لا تتوازى فيها حقيقتك الذاتية مع «صحة» القوانين المجتمعية، هي مهدَّدة بالنّبْذ، والازدراء. فهناك قانون مجتمعي لما هو مقبول ومرفوض، وهو قانون يُهدد ما ضَعُف من نفسك بعنصر الانتماء: فإن لم تفعل ذلك، أنت لا تنتمي لنا، أنت منبوذ. ومن يحب أن يحسَّ النبذ؟

ولكن صدقني، أنك من نفس خندق «النبذ الواهم»، سترى حضن الله أمامك...

أنا أدري هذا حق المعرفة، وأدري خوف النبذ، وفقدان الانتماء أيضًا حق المعرفة، وأدري الوحدة الصامتة في عمقها، فأنا اختبرته، وتألمت معه، وما زلت إلى حَدٍّ ما. ولكني لم اخترالانغلاق أو الانتقام، أو لعب دور الضحية، وإن كان نظام الخوف في راغبًا في ذلك. بل اخترت طريق الشفاء، والتعرية، والانفتاح.

فمنذ بداية رحلتي في الوعي، وصوت الثورة يقودني يومًا بعد يوم لتحدّي كل المعتقدات المجتمعية في داخلي، إلى

حضن الوحدة، وفي هذا وجدت نفسي ترتجف من خوفها لرفض مدينتي، وأهلها لي، ولكن كل مرة كنت أخطو فيها لحقيقتي خطوة واحدة، كنت أزيد قوة وتمكينًا في الله، لأدعس فيها على حنجرة الانتماء المجتمعي، وبمواجهة ألمي من داخلي، وتطهيره. هكذا كنت أجد حريّة جديدة، وانتماء جديد كل يوم، هو انتماء يتعدَّى البلاد والأعراق، إلى الانتماء الحقيقي، وهو حقيقتك الذاتية، المتصلة بالواحد الأحد.

مثلًا عندما أخذت أصعب القرارات في حياتي، والذي يعتبر تاريخيًّا في منطقتي سكني الأصلية كمصدر للعار لنفسي وأسرتي، وجدت طعم الحرية هناك. لم تكن العملية سهلة وسريعة، بسرعة السطر الذي قرأته، فهي أخذت سنتين من التمكين المتواصل لنفسي، بالتطهير اليومي لمشاعر متعلقة بالخوف من النبذ، ووضع العائلة في منطقة العار، وفقدان الدعم والوحدة وغيرها. ولكن من بوابة هذا التحدِّي العظيم وجدت عظمتي، وعرفت باليقين أن الشخصية تصقل من التحدّيات. ففي نفس التحدّي الذي كنت ألعنه، وأتمنى أني لم أولد لأعيشه، وجدت طعم الحرية والقوة غير العادية.

أظنك تقول الآن: إيهاب لقد نسيت أن تقول ما هو التحدِّي؟ والإجابة لا، فهذا واحد من الأمور التي أختار ألَّا أشاركها للعلن، من مكان قوة، وخيار. والأهمّ أن أشارك معك العبرة من هذه الخبرة:

وسأطلب منك هنا أن تسمعني جيّدًا:
لن تحسَّ الانتماء الحقيقي، إن طلب منك هذا الانتماء بتغيير حقيقتك، فالانتماء الحقيقي يبدأ من حقيقتك، وهذا سرّنا الصغير.
الانتماء الحقيقي يبدأ من حقيقتك الذاتية.
فإن طَلَبَ منك المجتمع أن تنتمي له، بتزييف حقيقتك، وهو يفعل ذلك طوال الوقت، فهذا انتماء زائف، والمُنتمى إليه أيضًا زائف، فحتى إن انتمى كل المجتمع للمجتمع على حساب الحقيقة الذاتية، فهو ما زال زائفًا، والمعاناة مصيره. فالكثرة لا تغلب القوانين الكونيّة التي تحكم سيكولوجيا الإنسان.
فضع انتماءك لحقيقتك فوق كل الانتماءات، وعندها ستجذب لنفسك من تنتمي لهم بالحق.
لذلك في عائلة «كن أنت»، وهو المجتمع الذي نبنيه من رسالة «كن أنت»، وَضَعنا قيمة الانتماء الصادق على أعلى المراتب؛ لأن انتماءنا الفردي، والجماعي يأتي من احتفالنا بحقيقتنا وعُرْيها، فهو الانتماء الحق؛ لذلك الناس تحسّ في المجموعة بحقيقتها الخاصة، وبالوحدة مع الكلّ؛ لذلك أكثر التعليقات التي يقولها الأعضاء في «كن أنت»، إننا أخيرًا أحسسنا بالانتماء الحقيقي، أو وجدنا العائلة الروحية التي

افتقدناها من دون علم، فنحن نحتفل بحقيقتك هناك، ولا ننبذها، ومهما كانت، وأنت معنا الآن، معنا في حقيقتك.

وإن كنت ما زالت تعاني من ثقل الانتماءات المجتمعية، والعشائرية، وقوانينها المتوغلة في أسس النفس الإنسانية، فعليك بالتعمُّق في تقبُّل الذات. وإن بدأت بافتكاك نفسك من هذه القيود، وبدأت الرُّؤى بالاستيضاح، قد يثور الغضب من داخلك، وهذا طبيعيٌّ، لكونك أيقنت كيف كنت مستعبدًا، ولكن سأطلب منك ألَّا تغوص بهذا الغضب طويلًا، فهو يبقيك بالعبودية، بل سامح وتقدّم، واستكمل تدريبك بتقبُّل الذات، هذا مفتاح حريتك.

تذكر أنَّ النَّبْذَ الاجتماعي يحاربك على ما ضَعُفَ في نفسك، وعند تمكينك لنفسك بالتقبّل المستمرّ، ستزدهر نفسك بأجمل مكنوناتها. وهنا سأعطيك تقنية بسيطة، لتساعد نفسك على التقبّل الصّادق، بالإضافة لكلّ ما قلنا في السابق. هي كما اعتدنا بسيطة ولكنها فعَّالة، فدعنا نوضحها لك.

كلّ ما تخبئه في نفسك، كخوف من الحكم المجتمعي عليها، هو في عمقه خوف من رفضك الذاتي له، فإن قبلت ما ترفض، ملكته، وإن ملكته لن تقدر أية قوة، ولا حتى أحكام المجتمع والكون كافة، أن تحبس ما حرَّرْتَهُ في نفسك.

فاختر هنا صفة ترفضها فيك، وقد تكون الكسل، أو التأجيل، أو النميمة، أو الكره، أو التحكم غيرها.

اختر صفة...
ثم خذ 3 أنفس عميقة، واسمح لها بالخروج، واطلب من جسدك الاسترخاء قليلًا قليلًا...
ثم قل لنفسك: أنا (الصفة)، وأيُّ جزء منّي يحكم على هذه الصفة بالخطأ، أو الصحيح، الغِهِ وشفِّرْهُ من كلّ مكانٍ، وبُعْدٍ، وواقعٍ.
سأعطيك مثالًا هنا: أنا أنِمّ على الناس، وأيّ جزءٍ منّي يحكم على هذه الصفة بالخطأ، أو الصواب.. ألغِيهِ وأشفِّرْهُ من كلّ مكانٍ، وبُعْدٍ، وواقعٍ.
في البداية قد تظنُّ أنَّ هذا التمرين فيها لغطٌ ما، ولكن لا، وكل ما نفعله أننا نزيل الحكم عن الصفة، فتراها بوضوح.
المضحك أنه عند إزالتك الحكم، سيتّضح فيك قانون السبب والنتيجة، وسترى الأمور على وضوح، وهنا سيكون التغيير تلقائِيًّا من دون الحاجة للتغيير.
هذا التمرين له قوة سحرية، خصوصًا عند تفعيله في الأماكن التي لا ترى أصلًا صفة معينة فيك! وهي نفس الصفة التي تحكم عليها في الخارج، وإن لم تعترف بذلك.
مثلًا، قالت لي صديقتي مرة: إيهاب إنَّ فيك جزءًا يريد التحكم في المرأة، فرفضت واغتظت لهذه الجملة طبعًا؛ لأن هذا ليس من طبيعتي. فأنا أحكم على مَنْ يفعل ذلك.

ثم عندما رجع الرُّشْد لي، تذكرت أن أيَّ انفعال وحكم، يعني أن هناك شيئًا مَخْفِيًّا عني، وهنا جلست مع نفسي، واسترخيت، وقلت:

أنا أتحكم في المرأة؟! وأيُّ جزءٍ منّي يحكم على هذه الصفة بالخطأ أو الصواب، ألغِيهِ وأشفِّرْهُ من كلّ مكانٍ، وبُعْدٍ، وواقعٍ.

في البداية كانت المقاومة شديدة، ولكن استمررت بالتنفس، وتكرار هذه الجملة، حتى بدأ الصدق مع الذات، وتقبُّلها يسطع للسطح. عندها رأيت البرنامج الفكري الذي يحاول التحكم، ومصدره النسلي، واستطعت بالفطنة والتدريب التعالي عنه. لكن البداية كانت من الصدق في النظر، والتقبُّل لما هو كائن، بدل إخفائها والحكم عليها في الخارج.

هذه العملية قد تكون مرهقة طاقِيًّا في البداية، ولكن استمر، فحريتك الأساس، ولا حرية من دون التعرية الكاملة، وإن ذقت هذه الحرية، وتجذَّرت فيها، ستتحوَّل إلى قائد الحرية، «القائد المستنير».

للتذكير:

* الحاجة لتغطية نفسك، هي ليست من الحب، وإنما من الخوف، والعار.

* الجانب المظلم منك، هو ذلك الذي يكون فيك، ولكن ترفض وجوده، فتحكم عليه من الخارج.

* طريق التعرية هو التدريب المتواصل للكشف الاستراتيجي عن نفسك.
* الانتماء الحقيقي يبدأ من انتمائك لحقيقتك أوَّلًا وأخيرًا.
أسئلة للتفكُّر:
ما هو الجزء منك الذي تخفيه بالعار، وتخاف أن يكشف لك؟
ما هو أسوأ شيءٍ سيحدث لك إن كُشِفَ؟
هل تفضل أن تواجه هذا الخوف، أم تبقي عليه قيد الإخفاء؟
ملاحظة: قد يكون العار الذي تخفيه عميقًا، مثل التحرش الجنسي، وفي هذه الحالة هناك طريقة آمنة للتعامل معه، وهو ما ستجده في أحد فيديوهاتي على اليوتيوب بعنوان: تحرَّرْ من العار اليوم.
* ماذا سيتغيَّر في حياتك إن وضعت انتماءك لحقيقتك، على منزلةٍ أعلى من أيِّ انتماءٍ آخر؟
القائد المستنير
إذا كان قطيعٌ من الأغنام يمشي باتّجاه هاوية الوادي، فهل من التعقّل أن تكون جزءًا من هذه المسيرة؟ ورغم وضوح الإجابة، فإنّ الغالبيّة العظمى من الناس تفضّل الذهاب إلى الهاوية على الطريق المجهول، فكما عهدنا القول: شرٌّ نعرفه أفضل من خيرٍ نجهله! ولهذا السبب بالذات، طريق الأصالة تتطلَّب إيقاظ روح القيادة فيك، لِفكّ الارتباط مع وعي القطيع،

والمشي في رحلتك الفريدة، لتتحوّل بعدها إلى الراعي الحكيم، والمُرشد الواعي نحو المروج الجميلة.
وعيُ القطيع متجذّر في السيكولوجيّة الإنسانيّة منذ قرون؛ لذا ترى غالبيّة الناس تسلك طرقًا مكرّرة في العيش والتعبير، وإن أردت المثال على ذلك، فانظر إلى مدينة معيّنة، ألا تراهم يشاركون نفس الكودات الموَحّدة عن كيفيّة التعامل مع الحياة، والتعبير عن الذات، إلّا من استفاق من غيبوبة الوعي الجمعيّ، وتكراره. فإن أردت أن تكون قائدًا مستنيرًا، فلا تتراجع عن اتِّخاذ الخطوة الجريئة، بالمُضِيّ قدمًا في رحلتك القلبيّة الخاصّة، حتى لو انحرفت عن مسيرة القطيع.
ليست الدعوة هنا إلى الثوريّة العشوائيّة، لهدف المخالفة فقط، فهذا شكلٌ من المعاكسة الصبيانية التي لا تتعدّى وعي القطيع، بل المطلب هو النظر الصادق إلى داخلك نفسك، والحزم في السير باتّجاه ذاتك الأصليّة. فلا تظن أنّ أيّ قائدٍ منذ فجر التاريخ وحتى الآن، قد وُلِدَ من دون الانفصال عن وعي القطيع، ولا تظنّ أنّه لم يمر بمقاومات خارجيّة وداخلية، تعزم في صرخاتها أن تبقيه في منظومة المعهود المكرر.
القطيع له ميكانيكيّته الخاصّة للحفاظ على وعيه الجمعي؛ لذا يمشي القطيع بتردُّد طاقيّ مُعيّن ليُبقي على أفراده في اتّجاه ثابت، وإن انزاح الفرد عن القطيع، فهذا النظام المبرمج سيبدأ

بمقاومته ليبقيه في نفس السكة. طبعًا هذا النظام مقبول في الأسراب الحيوانية؛ لأنّها تعمل بتناغم مع نبض الأرض، ولكن عندما يأتي الموضوع للإنسان، فوعي القطيع ليس بخادم لرسالته.

وعي القطيع الإنساني، وإن ارتقى عن تسيير الحركة الفيزيائيّة كما في عالم الحيوان، فهو يعمل بطريقة مشابهة، فالإنسان خَلَقَ أنظمة فكريّة معيَّنة كالعادات، والتقاليد، وغيرها، لتعمل كاتّجاهات فكريّة مُطوِّعه للقطيع، وعند الانزياح عن هذه الاتجاهات المشتركة، يقوم وعي القطيع بتفعيل كود الرفض الجمعيّ في داخل الفرد، محرِّكًا أحاسيس العار، والذنب، والإحباط، كشكل من التلاعب العاطفي.

ليس المقصد هنا أن ترتعب من وعي القطيع، أو أن تنصاع لأوامره، بل أن تتحرّر منه بفهم ميكانيكيّة عمله، ولكن لماذا التحرّر من وعي القطيع أصلًا؟ لأن هذا الوعي لم يولد من رحم الحِكمة؛ لذلك إن نظرت في غالبيّة المعتقدات المجتمعيّة، ستعرف أنها ليست خادمة لعمليّة اكتشاف الذات، بل على العكس تمامًا، فهي تلعب في صندوق المعاد المقلد؛ لذلك نسمّيها بالعادات والتقاليد، وللتوضيح خذ هذا المثال...

لوقت طويل كنت أضع الزيت والزعتر (وهي أكلة أردنية رائجة) في داخل الفرن بدل الخزانة، وفي خلال فترة دراستي قامت أمي بزيارتي، وسألتها: «لم اعتدنا منك أن

نضع الزيت والزعتر بالفرن؟»، فأجابت:» لأني تعلمت ذلك من أمي»، وعندما سألنا جدتي عن السبب، وجدنا أنها كانت تفعل ذلك؛ لأنّه لم يكن عندها متّسع في الخزانة حينها!

هذا المثال وعلى طرافته، يروي الكثير عن طريقة بناء الأفكار المجتمعية المتداولة، فإن صدقت بتمحّصك عن الأفكار المجتمعيّة، ستراها في غالبها أفكارًا موروثةً، وليست مستندة على الحِكمة، أو السلامة النفسية. قد تكون هذه الأفكار مفيدة وقتها، ولكن في الغالب لا تتماشى مع التطوّر الجنونيّ الذي نمرّ به، فنحن نعيش الآن بعصر الصحوة، وفيه تغيّر جذريّ في أنظمتنا الطاقيّة، فعصر الصحوة يحتاج إلى فهم مختلف للحياة، وإلى مهارات جديدة كلّيًّا في القيادة، والرِّيادة، والعلاقات، تلك التي تعتمد كثيرًا على الحدس، والذكاء العاطفي والرّوحي، وهذا لن يحدث بالانصياع الأعمي للنظم المجتمعيّة.

لا تفسّر القول رجاءً على أنه دعوة عامة لشيْطنة هذه الأنظمة، بل النظر إليها كما هي: كأفكار- فقط أفكار- ولك أن تنتقي الخادم منها، وتتخلّى عن غير الخادم لك. بالحقيقة هذا هو الأساس الفكريّ الذي وجب قياس الأفكار عليه فقط، وهذا سرّنا الصغير.

الأساس الأسمى لتبنِّي الأفكار، أو التخلّي عنها، هو التمحّص الصادق إن كانت خادمة لك أم لا.

التخليّ عن الأفكار المجتمعيّة لا يحصل بالمقاومة، وإنّما بالتمكين التدريجي، فأنت بالنهاية إنسان وله مشاعره، ويحتاج الوقت للنضوج، والجُرأة، والتطوّر، فالتمكين لا يعني إضرام الحروب مع النُّظم الفكريّة، وإنّما بالمحافظة على تركيزك في اتّجاه تمكين الذات، وفي أساسه تقبّل الذات. فغالبيّة النظم المجتمعيّة تتغذّى على
ضعف الذات، أو «الوهم» بضعف ذاتك، لتقتنع بأنّك فاقدٌ للقوّة والحِكمة والحُب والتقبل، وفي الحقيقة هذه الخصال قابعةٌ في روح تكوينك.

الأنظمة المجتمعيّة، وللأسف، قد وُلدت بغالبها من نظام الخوف الذي يستند على لبنة الأحكام، مسخِّرةً منطقها الرئيسي على جمودية الصحيح من الخاطئ. هذه الجمودية تعمل كنوع من السجن الازدواجيّ، ليرى فيه الناس كفريقين، «مع» أو «ضدّ»، «الصديق» أو «العدوّ»، ولن تفلت من قبضة هذا النظام الازدواجيّ بمحاربته، لأنّه كأيّ نظامٍ فكريّ له وسائله الدفاعيّة الخاصّة، والتي بناها، وحماها على مدار العصور ليُحافظ على وجوده. وإن تَهَوّرت وقمت بمحاربته، وأقولها من خبرة، سيأخذك إلى دوائر طاقيّة مُغلقة من الصعب الخروج منها؛ لذا وجب التعامل معه بحنكة عن طريق التدرّج في تقبّل الذات، والإنصات لصوتك الداخلي،

لترتقي إلى اليقين الخالص بأنّ الإجابات في داخلك، وليس في الأنظمة المجتمعيّة، ولا حتى أيّ نظام آخر!

تذكّر أنّ الأنظمة المجتمعيّة تسيطر عليك من خلال كود الرفض الجمعيّ، ويفقد هذا الوحش الذهني سيطرته، عندما يسطع التقبّل الذاتي من داخلك، ليستذكر القائد فيك قوته الحقيقيّة، وعندها ستعرف أن هذه الأنظمة ليست ثوابت الخارج، وإنّما أفكار تشكل من خلال ذهنك، وبالأحرى من خلال الاستعمال الأرعن لقوّتك الفكريّة. فطاقة الفكرالابتكارية هي من داخلك، وهي المشغلة لكلّ الأنظمة الفكريّة في الكون؛ لذا أنت صاحب النفوذ والقوّة دائمًا وأبدًا. فكلّ هذه الأنظمة وإن طوّرت نفسها، وبنت وسائلها الدفاعية المعقّدة، فهي ليست إلَّا أفكارًا من داخلك، ولا تقوى على أن تصمد في نور الذات.

وهذا لا يعني بتاتًا أن تهرب من هذه الأنظمة، فهذا الهروب من الحياة نفسها، وحتى الكتاب لا يدعوك لذلك، وإنما هو دعوة للانصهار بقلب الحياة الأرضية، وليس الفتور عنها، فالقائد المستنير هو من يتداخل في الأنظمة الموجودة، ويطور فيها، من دون أن يفقد نفسه، وحِكمته الروحيّة، فتراه يتماشى مع «قوانين» التعليم، والعمل، والمال، وبنفس الوقت يخلق أسلوبه الخاص من داخل النظام.

القائد المستنير هو ليس ذلك الشخص الذي يهرب من الأنظمة والمجتمع، ليمضي كلّ وقته متأمّلًا في الكهوف، أو اليوغا، أو الرقص الروحاني، وإنّما هو الجاذب لحِكمة التأمّل، وأبعاد الذات المختلفة، إلى عمق المجتمع، لتحديث الأنظمة السائدة بالحُب، والعمل الصادق الجادّ.

القائد المستنير هو مَنْ عَرَّى نفسه تدريجيًّا من جراثيم الأنظمة الفكريّة في خضم تواجده فيه، ليخلق أسلوبه المستقلّ في التعبير والريادة. وإن بدت هذه بالمهمّة الصعبة، وهي بالتأكيد كذلك، فهي تبقى المطلب الرئيسي لوعي القيادة.

فكيف تكون قائدًا، إن لم تحافظ على استقلاليتك الطاقيّة، في خِضَمّ الضوضاء الفكريّة؟ وكيف تكون قائدًا ، إن لم تُلَبِّ بإيمان غير مرتجف نداء الحِكمة الأصيلة فيك؟ فالقائد الحق هو من رمى بتدريجية، وركّز على كلمة التدريجية، مُكبِّلات القطيع الفكريّة؛ ليخطَّ لنفسه طريقًا جديدًا في وسط المعمعة. وللدقة هذا الطريق ليس بالجديد، فهو الطريق الساكن الأصيل، الذي تحلم فيه منذ عيون الأزل، وتعشق المضي فيه قبل المجيء، ليشع نجمك الأصيل.

عندما يتَّقِدُ نجمُ القيادة فيك، سيرى البعض في ذلك الإشعاع إغراءً يكاد لا يعرف ما هو سِرّه، فيتبعه، وأما البعض الآخر، فسيفضح الإشعاع تعلقهم بوعي القطيع، ليذهبوا إلى

مقاومته ومحاربته، وهؤلاء الذين يتغذّى النظام على طاقتهم باعتمادهم عليه.

هذا لا يخيف القائد المستنير؛ لأنّه يدرك قانون النور بعمق، فهو على دراية أن النور والعبقرية تفضح أركان المخاوف الإنسانيّة، وتعري زيف الخوف، والبعض قادر على احتمال هذه العمليّة من التطهير، والبعض الآخر سيلعنها، ويلعن القائد المستنير، ظانًّا أنه سبب آلامهم. فلا تخف من أن تدع نورك الداخلي يتَّقد أكثر وأكثر، وأما ردود فعل العامة، فهذا ليس مسؤوليتك، فبالنهايه كلّ شخص له رحلته الخاصّة ليمضيها، وسعته الطاقيّة الخاصية للاحتمال في اللحظة.

اختبرت هذا بنفسي عندما كنت أمشي مرة في مدينة جلاسكو بالليل، وبجانب الحديقة الخلفيّة للبيت. في نصف الطريق سطع بعيني وهج ضوء قوي من العامود في الشارع، فأوتوماتيكيًّا غطيت وجهي؛ لكي لا تحترق عيني، هنا وبنفس اللحظة وصلني إدراك جديد، فعندما يضيء النور بكامل وهجه، فإنه قد يزعج الشخص الذي لم يعتد علي، فإما أن يتأقلم الشخص معه، ويفتح عينه، وقلبه بروية للاتحاد بالنور، أو يلعنه؛ لأنّه سبب إزعاجه.

هذا ما يفعله القائد المستنير، يسطع بنوره كاملًا، ليُذكّر الناس بالنور القابع في قلوبهم أصلًا، فإمّا يلهمهم للاتحاد بقلبهم، أو الانغلاق التام عنه، والنتيجة ليست من شأنك، فكما

قلنا: كلّ شخص لديه رحلته الخاصّة التي يخوضها، وعليك أن تحترمها، فهي رحلة مصونة من التنظيم الكوني، وخادمة للكلّ. وفي شمولية كلّ هذه الرحلات، وإن كان فيها المقاومة للتطوّر، تطوّر شمولي للخير، أتذكر كود التطور الذي تكلّمنا عنه من قبل؟

لذا شأنك الوحيد أن تفتح نفسك للنور، ليلد القائد فيك من وهجه.

هذه العمليّة لا تحصل بلحظة، فولادة القائد ليست بالضربة الواحدة، وإنّما تأخذ عمليّة مخاض مستمر، يتم في هذا المخاض، التخلي التدريجي عن وعي القطيع، ودحر أفكاره المسيطرة، لتلد قوّتك الأصليّة، كتعبير واضح عن قوّة الحياة نفسها. فالقائد المستنير يعي أنّ قوّته، هي ذات القوّة في كلّ إنسان، بل في كلّ مخلوق، بل في كلّ حبَّة تراب في أرجاء المعمورة، فقوَّته تعمل كمذكّر لعظمة الوجود ذاتها، وليس للتفاخر الشخصي.

هذا القائد موجود في أحشائك الآن، وبذوره متجذّرة في صميم تربتك، وعندما يحين وقت التلقيح، سيزهر بطريقته الخاصّة. هو القائد الساكن في تربة روحك الفريدة، والمتجذر بجذور رسالتك الأصلية، ليسطع بزهرة روحك الخاصّة. من هنا يفوح ريعان القائد المستنير، القائد الإنسان، القائد الذي لا يدعي المثالية، القائد الشجاع بعريه، والفريد بتعبيره النقي.

هذا القائد تعالى عن الصورة المجتمعية عن القيادة: بالجوع إلى التبعيّة! فذلك النوع من «القائد» ليس إلَّا تعبير الخوف عن القيادة، وللأسف أشكال القيادة التي اعتدنا أن نراها، هي من جراثيم هذا التعبير الخائف، والتي تخلو من طُهر القيادة الحقّة. فقد امتلأت رؤوسنا بصور مقزّزه عن القياده، متمحورةً حول التحَكُّم، والتلاعب، والثقة الكذّابة، لكن هذه القيادة هي ليست بالقيادة الحقة، وإنما تعبير آخر بجوع النفس، وإلى أين سيقودوك الجائع، غير مَعِدته الفارغة؟

وهذا ما يتبعه وعي القطيع حتى الآن، مَعِداتٍ فارغة تسمِّى نَفسَها بالقادة، وتُجمّل نفسها بِلِحى طويلة، ومسابح فضيّة رنّانة (طبعًا هذا ليس حكمًا على مظهر معين، وإنما دعوة للتقصِّي ما خلف المظهر). فقد كَثُرت أشكال القادة المزيفين بالمنظر، موجهين العامة معهم من هاوية إلى أخرى؛ لهذا السبب بالذات نناديك إلى الفكر المستقل والسلطة الذاتية، وبالنظر للإجابات من داخلك. فالفضاء الذي يولد منه الفكر المستقل، هو فضاء صافٍ، سيبعدك عن الأخطاء التقليديّة من أجندات القادة المُزوّرين.

ليس هذا فحسب، فالفكر المستقلّ سيرتقي بك إلى نوع جديد من تحدِّيات الحياة، والتي تتعالى عن وعي القطيع. فتحدِّيات القطيع هي تحدِّيات شخصيّة وتقليدية، لا تتعدّى الحاجة إلى التخلص من التوتر، والقلق المستمر، أي تحدّي البقاء. أما

القائد المستقل، فتراه دائم التبصر في مسائل إنسانيَّة عالقة، وساعيًا مستمرًّا لتحفيز الجنس البشري لحلول ابتكارية نادرة، وبما يتماشى مع رسالته الخاصّة. وهذا سرّنا الصغير.
تحدِّيات العامة لا تتعدّى الحاجة للتخلُّص من التوتر اليومي، مقارنة بتحدِّيات القائد المستنير، بالتبصر بمسائل إنسانيَّة عالقة.

لذلك قلنا ولادة القائد ليست بالسهلة، فهي تتعدّى مستوى التحدِّيات التقليديّة، إلى مستوى التحدِّيات الإنسانيّة والعالمية.
وهذا يحتاج منك إلى إدراة أذكى للطاقة، وفيها إدارة ذهنية، وعاطفية، وروحية حكيمة لحياتك، ولنوعية المُدْخلات التي تسمح لها التراقص في ذهنك؛ لذا القائد المستنير لا يشتّت طاقته «ببرامج» تليفزيونية عشوائيّة طوال الوقت، أو حتى الأخبار، وإن فعل فهو يفعلها من حكمة وذكاء. هذا لأنه حريص على
فلترة المدخلات الطاقيّة التي يسمح لها بالمرور إلَّا بوابته الذهنيَّة، عارفًا أن ليس في ذلك الجهل، وإنّما الذكاء الطاقي المطلق، لغرض الخدمة العليا.

لأنّه بالانحياز إلى مستوى المعطيات التي يتلقاها العامة، من الأخبار وغيرها، ينسل المرء «إذا لم يكن مدركًا، ومحترفًا بالطاقة» إلى شؤم وغيظ من الحياة، وتنخفض طاقته إلى مستوى السلاسل الفكريّة هناك، ليصبح جزءًا من طاقة

المشاكل وليس الحلول. فالقائد المستنير يُضَحّي بهذه البرامج، لا للجهل، بل لعشقه التأثير الإيجابي، فهو يدري أن لا تأثير يحصل، من دون شحن النفس بطاقة الحُب الإيجابية. فإن كانت الأخبار تبيع أكثر بالسلبية، مستعملةً انحياز العقل الأتوماتيكي لهذا الاتجاه، فلماذا تقحم نَفْسَك بهذه الأجندة؟

ليس المقصد هنا أن تُنكر الدمار والكوارث التي تدور حول العالم، ولكن الحلول لا تقبع في الغوص بنفس الدوائر الطاقيّة التي شكلتها، وإنّما بالاعتراف بوجود الظلام، وهو في داخل كلّ سيكولوجية إنسانيَّة، والتعامل معه لا بتغذيته، بل بتطهيره والتعالي عنه، لتقديم تردد طاقي أعلى للإنسانيَّة، فترشدهم لحلول جديدة. القائد الذي يعمل على طاقة الحُب والأمل المتجذّر، هو أكثر فاعليّة وخدمة للإنسانيَّة، من الملايين الذين يذوبون بطاقة الأخبار، ظانيّن أن في ذلك ارتقاءً بالمعرفة والحِكمة.

القائد المستنير له نهجٌ معيّنٌ في التغيير المجتمعي، ولفكّ شفرته علينا التمحّص بمناهج التغيير المجتمعية كافة. وهم يتواردون حول هذه المناهج الثلاثة.

في المرحلة الأولى يقطن منهج التغيير حول محاربة الأمور، فترى من يتبعه، دائمة المحاربة للفقر، أو المخدرات، أو الأمراض، أو العنصرية وغيرها، وبهذا المنهح يتم توجيه الطاقة لما لا نريد، فتزيد في إيقاعها. أما

المرحلة الثانية وهي من منهج التركيز على ما نريد، فترى القائد يبني الرؤى، والاستراتيجيات الفعلية باتّجاه السعادة والصحة والثراء، وهذا تطور ملحوظ في منهج التغيير، ولكن ليس هذا ملعب القائد المستنير بعد.

القائد المستنير هو عارفٌ بقانون الفكر، وبأنه المشكل لواقعه؛ لذلك لا يسعى التغيير على مستوى الازدواجية، سواءً من المحاربة لما يريد، أو دعم ما يريد في الخارج، وإنما يبدأ بالنظر إلى داخله، وبأخذ المسؤولية المطلقة للمسبب من داخله، ليبدأ التعالي عنه. فتراه ينغمس في طريق الشفاء الداخلي، ليسمح للاستراتيجية المناسبة أن تولد كنتيجة للشفاء الداخلي. فطريق التغيير له، من الداخل إلى الخارج، وليس العكس.

مثلًا لو نظرنا لموضوع العنصرية، فالقائد المستنير لا يبدأ بمحاربة العنصرية، أو تمكين الوحدة في الخارج، وإنما يبدأ من نفسه، وبالنظر إلى داخله، لكل المناطق التي تتلاعب فيها أنماط العنصرية في داخله. لذا هو يبدأ من الأساس، بالصدق مع الذات، وفي هذه العملية يولد الفهم من داخله لأنماط العنصرية، فيقاد من تيار الذات لكيفية قيادة التغيير، بإلهام الناس لتطهير العنصرية، ومن داخلهم إلى روح الوحدة. هنا تصبح عملية التغيير أدق، وأصدق وأكثر شمولية وفاعلية؛ لأنها شملت المغير أوّلًا وأخيرًا. فهو التقى مع من يؤثر

عليهم بشجاعته؛ لأنه أول من دخل غابة المجهول قبل القيادة إلى النور.

في هذه العمليّة سيواجه القائد «مقاومة» من نوع آخر، كالاضطهاد من التجديد، وقمع المنهج المختلف في التغيير، وحتى سيواجه الاتهام في الجنون، لوضوح رؤيته واختلافها وبساطتها، فكم نعت القادة بكافّة الصفات من المجانين إلى الكفار؟ وكم منهم زجّوا في السجون خلف القضبان الحديدية، لاقتراحهم حلولًا غير تقليدية؟ فحتى من نقدّرهم الآن من القادة المُلهمين، قد نُعِتوا بكافّة الألقاب وما زالوا، فقبيل نجاح مارتن لوثر كنج الذي قاد الوحدة بين البيض والسود، اتهمه العامة بالمثاليّة، والتمسّك «بالحُب» غير العملي، هذا لأنه رأى بحق اليقين أن الحب هو أساس الوحدة، والتطهير العرقي.

وشخصيًّا أعرف حق المعرفة هذه التحدِّيات التي تواجه القائد الحق، فهذا مصير من يُحلِّق خارج سرب القطيع، والذي يكون في بادئ الأمر كشكل من الوحدة السطحيّة، لاختلاف منظوره عن دائرة المألوف، حتى الالتقاء بالنسور المشابهة. فعندما مشيت بطريق أصالتي، نعتني غالبية أصدقائي وأهل مدينتي بالمجنون وغير الواقعي، وكنت أحس حينها بالألم العميق، بألم الرفض الجمعي، وخصوصًا أني

كنت أرى حلولًا سلسة وبسيطة لكل المشاكل الفردية والعالمية، والتي تتلخص برفع الوعي.

ولكني أعدك أنه بعمق هذا الألم والوحدة الآنيَّة، ستجد أنّك تمشي إلى عمق أكثر مع ذاتك. فعند الوقوف وحيدًا في فرادتك، سيحصل الاتصال فيك مع روح الحياة الواحدة، أو كما أبدع في وصفها عبقري الأساطير البروفيسور «جوزيف كامبل Joseph Campbell» بقوله: « لنمشِ في رحلة البطل الخاصّة فينا، وبهذا الطريق الذي نظن أن فيه أننا سنجد العزلة، سنجد الله، وبالطريق الذي نظن أننا سنذهب فيه للخارج، سنجد مركز وجودنا، وبالطريق الذي نظن أننا فيه سنكون وحيدين، سنجد العالم أجمعين».

فتذكر أنّه على صعوبة رحلة القائد الذي فيك، إلّا أنها بسيطة، بل الخيار الأبسط! نعم بسيطة؛ لأنّها تقودك أكثر إلى حضن العالمين، فعند الانقياد مع نبضك الابتكاري الأصيل، والمشي برحلتك الفريدة، فأنت تسير مع اتجاه التيار الكوني ولا عكسه. وإن كان في هذا تحديات مرحليّة، بسبب سحبك الولاء من الأنظمة الفكريّة البالية، لحساب نظام الخوف، فصدقني القادم أجمل.. هذه هي رحلة الهداية المنشودة. رحلة أسطورية لعمق الذات، رحلة القائد المستنير.

فلا تخفْ أن تُفعّل كود القيادة فيك؛ لأننا نحتاج هذا التفعيل أكثر من أي وقت آخر، نحتاجك لأن تستذكر ذاتك

باستقلاليتها، ونحتاجك أن تحب ذاتك، وتتقبّلها، وتعشقها، لتستذكر قوّتك الحقّة. فنحن نحتاج الآن إلى قوّة المفكرين المستقلين، الذي يُسلّمون ولاءهم إلى المكان الوحيد الذي صحّت الولاية له، وهو صوت القلب. فالقائد المستنير هو مفكر مستقل يقدر على الاستماع إلى آراء الجميع، والتلاعب بكلّ الأفكار المختلفة على أنها احتماليات فكريّة، من دون فقدان اتصاله بصوت الحِكمة من داخله.

القائد المستنير يعي أنّ أفكار العامّة، وحتى أفكاره الشخصيّة، ليست قوانين، وسننًا كونيّة، وإنّما اقتراحات، نعم مجرّد اقتراحات، ودوره الرئيسي هو التمييز الثاقب بين النافع، وغير النافع، بالعودة لحدسه، فحدس القائد، هو قائده.

الحدس هو مفتاح القائد الداخليّ، ومرشده الأزلي؛ لذلك ترتقي القيادة مع ارتقاء الحدس، والذي يعتمد على قدرة التمييز لمصدر الأفكار: هي من صوت «الخوف»، أو «الحِكمة» من داخلك، وهذا تدريب. فالأول ثرثار، ومعقّد لضعفه، والآخر ساكن، وبسيط لقوته. وتيقن أن الحِكمة مختلفة كلّ الاختلاف عن العواطف اللحظية الجياشة، والتي يسمّيها الناس بصوت القلب، فصوت القلب، هو نتاج السكون، وليس الهيجان العاطفي، وهذا سرّنا الصغير.

صوت القلب، هو صوت السكون، وليس الهيجان العاطفي.

وقد يكون السبب الرئيسي الذي يعطلك عن سماع صوت القلب، هو كثرة الضجيج الداخلي، وهذا يحل بالعودة أكثر وأكثر لفضاء الذات، العودة إلى داخل قلبك، لسماع الإجابات من سكينة القلب. فداخل قلبك تجد كلّ الحِكمة في الكون متاحة لك الآن، هي حِكمة خالصة، ولها الحلول لأيّ مشأكل قد تواجهها في أي زمان، هذا لأن الحِكمة هي معرفة روحيّة كاملة، تترفع على بُعْدِ الزمان. كلّ قائد أدرك هذا السر، وأدرك أن الحِكمة في داخله الآن، وأن الإجابات من داخله الآن.

ولك أن تتدرَّبَ على سماع الإجابات من داخلك، بنقل تركيزك إلى قلبك، والتنفّس في داخل، وخارج قلبك كما ذكرنا عن التنفس القلبي من قبل، حتى تجد الصفاء خلف الأفكار، ومن ثمَّ قد تسأل ما شئت من قلبك. في البداية قد لا تأتي الإجابات فورًا، وهذا طبيعي، فأنت تعيد هندسة أنظمتك الطاقيّة، لتوجيه البحث إلى داخلك، ومع التدريب، سترى الإجابات تخاطرك بوضوح أكثر، وبالوقت ستزداد قدرتك على التمييز بين إجابات الحِكمة، وثرثرة الجزء التحليلي منك. ستميز بين الحدس، والترّهات الفكريّة.

وبعد فترة سيصبح مرشدك الرئيسي، هو صوت القلب، والجمال أن هذا المرشد لديه كلّ الإجابات التي تبحث عنها،

الإجابات التي تناسب رحلتك الخاصّة، وإيقاعك الحالي، فهي إجابات مسخَّرة لك وليس للعامة،
إجابات فريدة، وتوازي فرادتك. وعند الاستماع لهذه الإجابات، وتنفيذ اقتراحاتها، ستزداد ثقتك بحِكمتك القلبيّة، لترى نَفْسَك تلين أكثر وأكثر على الحِكمة الأصيلة، وليس آراء خارجيّة.

شخصيًّا صوت الحِكمة بالنسبة لي هو رفيقي الدائم الذي لا يفارقني، وحتى إن لم تأتِ الإجابات التي أرغب، في الوقت الذي أرغبه، فحتى هذا لا يخلو من ولائي الكامل لهذا الصوت، وكلّ ما عَلَيّ فعلُهُ هو الإنصات أكثر، والصبر أكثر، والإجابة أو «العلامة» ستظهر بشكلٍ أو بآخر، أنا على يقين من ذلك. ومن الجميل، أن تكون على يقين أن الحِكمة موجودة دائمًا وأبدًا في داخلك، وجاهزة لإرشادك طوال الوقت.

دعني هنا أعطِكَ مثالًا واقعيًّا علّه يوضح المقصد، وهو عن أحد أهم الكورسات في أكاديمية «كن أنت»، وهو معسكر خيمياء الروح. عند بداية تشكيل هذا الكورس طلبت من الحِكمة أن ترشدني إلى مصادر المعرفة التي أحتاجها، لتتركب صورة الكورس مع بعضها كاملة، هذا مع الملاحظة أن هذا الكورس أتاني من إرشاد الروح، وليس اختياري التحليلي.

بعدها بفترة كنت أنتظر في المطار في لندن، وفي جانبي كانت تقف فتاة، فتفعَّل حدسي فورًا حينها، وأرشدني بطريقته الخاصّة، وبمزيج من الصوت والأحاسيس إلى أن أذهب، وأتكلّم معها، وكما اعتاد حدسي مني، فلبّيْتُ، وذهبت إلى الفتاة، وقلت لها: «سيبدو ما أقول غريبًا جِدًّا، ولكن لسبب ما أحس بأني عليَّ التكلّم معك». للمفاجأة اتّضح أن الفتاة مدرّبة روحيّة، فتكلّمنا مع بعضنا حوالي ربع الساعة، ثم ولسبب ما، بدأت هي بالتكلّم عن أحد المعلمين الذين تعلمت منهم، فأخذت هذا كعلامة، وأخذت اسمه فورًا، وذهبت للبيت لأبحث عنه.

أحسست بأن حدسي قادني للفتاة لأجد هذا المعلم، ومن دون أية معرفة عنه، وعن أسلوبه، فسجّلت في الكورس الذي كان سيعطيه بعد أسبوعين. عندما ذهبت إلى الكورس، تبين لي لماذا قادني حدسي هناك، فهذا المعلم لديه معرفة فريدة، احتجتها بشدة للكورس. هذا النوع من السِحر والأعاجيب، هو ما يحصل عندما تسمع لحِكمتك، وتنفذ ما تقول، وتذكر الشرط الثاني، وهوالأهم، التنفيذ؛ لأنّه إن استمعت لصوت الحِكمه ولم تتبعه، ستتلاشى تدريجيًّا حساسيتك له؛ لأنّك لم تثق به.

وقد تفكر بنَفْسِك الآن، ولكن إيهاب صدّقني إني استمعت إلى صوت الحِكمة أو حدسي من قبل، ومشيت خلفه، ولكنّه قادني إلى أسوأ الأماكن! نعم، قد يأخذك حدسك إلى أماكن قد تظهر

على السطح بأنّها «سيئة»، ولكن في حقيقة الموضوع غير ذلك.

تذكر أن الحدس يلعب لعبة كبيرة، وله قدرة خارقة على الاتصال بمعطيات فكريّة كثيرة، تتعدّى سعة الجزء التحليلي المقيّد بحدود الزمان والمكان، فالحدس هو المرشد الحكيم الذي يأخذك دائمًا وأبدًا إلى أبسط وأسرع الطرق، وهذا قد لا يتوازى مع مفهومنا السطحي عن البساطة والسرعة، فقد يأخذك حدسك مباشرة إلى الأماكن التي تحتاج فيها للشفاء العاطفي بشِدّة لتحقيق هدفك.

مثلًا عندما تضع هدفًا واضحًا أمامك- هدفًا يعبر عن قلبك- فالحدس سيكشف لك كلّ المقاومات، والجروح العاطفيّة التي تمنعك من تحقيقه، ليجري الشفاء هناك، وتحصل النهضة السريعة نحو الهدف القلبي. فقد يأخذك حدسك إلى علاقة قد تنتهي في شهر، ولكنّها ضرورية لتتعلم خبرة معيّنة منها، وتعمّق فهمك لذاتك، لإيضاح رغباتك الأصليّة، لتجذب أصدق علاقة في حياتك، كما حدث معي! أو قد يأخذك حدسك إلى «خسارة» آنية، لتكشف معتقدًا معيّنًا، وتبني سعتك السيكولوجية، وعمق الشخصيّة الكافي، لتحتمل ما سيأتيك بعدها في عملك الريادي.

مثلًا في المرة الأولى التي وجّهني حدسي لعمل تدريب جماعي، كانت النتيجة نجاحًا كاسحًا، إلى درجة أنه لم يأتِ أحدٌ!

وبالرَّغم من إحساسي اللحظيّ بالإحباط، لم أقمْ بمَلامَةِ حَدْسي؛ لأني عرفت، أن هناك لعبة أكبر يلعبها، فتعاملت مع أحاسيسي بالسماحية، والتقبّل والحُب، ومن دون لعب دور الضحيّة. عدت بعدها إلى حالة الهدوء، ونظرت إلى الطريقة التي روّجت لها للحدث، وتعلمت الدروس وعدلتها، ثم قمت بتجديد التدريب الجماعي بعدها بأسبوعين، وعندها أتى حوالي عشرة أشخاص.

بسبب هذا الحادث بالضبط، تعلمت كيف أفصل قيمتي عن عدد الناس الحاضرين، وتعلمت أهمية الإصرار، وأهمية التعلم السريع للدروس المستفادة، والتقييم، والتعديل، وطبعًا الأهمية الكبيرة للتسويق، والتي هي من دون شك أهم خصال النجاح المستدام.

لذا ثق بحدسك، وخصص الوقت الكافي للاستماع له، والسمع ليس محصورًا على حاسة «السمع»، فقد يقودك حدسك بالإحساس، أو الرؤى الذهنيّة، أو الومضات الفكريّة الجديدة، أو العلامات، أو غيرها من الحواس الروحيّة الخفيّة. ويبقى السكون هو الجهاز المكبر لنداء الحدس، فكلّما زاد اتصالك بالسكون الداخلي، ارتقت قوّتك الحدسيّة، ومعه

قدرتك على الانصياع خلف ندائه، ذلك النداء الذي يغرد في نفسك إلى رحلة الغموض.

أما وعي القطيع فالغموض له هي كارثة الكوارث، ومكان يتلاعب به صوت الخوف والندم، ليرجعهم بسرعة خياليّة إلى مسار القطيع، ثابتين فيها أكثر من الأول. فلا تكن كالشخص الذي بدأ بالانقياد خلف حدسه المستقلّ، وعند إصابته بحيرة الغموض، رجع إلى الخلف، معتقدًا أنه تائه بالطريق الخطأ، فرحلة الأصالة هي ليست رحلة معروفة المعالم مسبقًا- وإن كانت كذلك- فهي ليست رحلتك الخاصّة! فكلّ خطوة باتّجاه رحلتك الخاصة، هي خطوة لقلب الغموض، تتبخَّر فيها القوانين الفكريّة المعتادة من ذهنك، لتتيح المساحة للتجديد، وفي هذه المنطقة بالمنتصف تتجلَّى حيرة الغموض.

فاستمتع بالغموض كعلامة على التجديد، وعاملها كفضول الأطفال في وَهَجِ الحياة، فإن مات الغموض، مات الطفل فيك، ومات الإنسان، ومات المفكر المستقل، ومات القائد المستنير.

فالقائد المستنير هو ليس العارف لكلّ شيء، بل على العكس تمامًا، هو المستمتع بغموض الحياة، والمستمتع بعدم المعرفة؛ ولذلك قال سقراط: «الحِكمة الحقيقيّة أن تعرف أنّك لا تعرف شيئًا»، فالقائد الحق لا يخشى الغموض؛ لأن إيمانه متجذّر

بمكان أثبت، من الحاجة المرضية لمعرفة تفاصيل الطريق قبل السير فيه، أو حتى ضمان النتائج. فإيمان القائد متجذّر في المغامرة ذاتها، وهي المغامرة التي ينادي لها صوت الخلود.

صوت الخلود هو الصوت الذي يهامس القائد بإغرائه الصامت، مناديًا خلايا جسده إلى مغامرته الأسطورية، وفيه رسالته الوجودية. في غموض هذا الصوت يتجلَّى عمق الحياة اللّا منتهي، وأسرارها اللّا منتهية، وبهذا إحساس غير منتهٍ من الفضول. في نقاء هذا الفضول، تجد إحساسَ الدهشة الكونيّة، وليس كما خُيّل لنا بفرصة للهروب، وجلْد الذات، وهذا سرُّنا الصغير.

الغموض هو صدر الدهشة الكونيّة، وليس كما خُيّل لنا كفرصة للهروب، وجلْد الذات.

فلا تخفْ من أن تسلك خفايا الصوت الغامض، فلسبب ما هو سيد العارفين، هو الصوت الذي يغني برقة، وتواضع في سكون ذاتك، مشعلًا في همساته الصامتة نيران قلبك البيضاء، ليطهر ذهنك من شوائب الزيف عن نَفْسَك. هو ذلك الصوت الذي يغني للمجهول، وفي رنينه أغنيَّته الوجودية، فأنصت لصوته، أو كما قالها لنا الشاعر الصوفي العاشق جلال الدين الرومي:»أنصت إلى الناي يحكي حكايته«، فنغم

الناي له روايته الخاصة ليقصّها، وفي أنين ندائه رسالتك القلبيّة.

الرسالة القلبيّة هي جزء لا يتجزَّأ من اكمال مسيرة القائد فيك، وتعبيره الفريد، فكيف تحقق شهوة القائد الذي بداخلك، إن لم تحقق رسالته الفريدة؟ فالرسالة للقائد، هي تلك المغامرة المجهولة، والطريق التي لم تَدُسْهُ قدم من قبله، فحرمتها مصونة من صون أصالتك.

الرسالة هي التي تضيف لتعبيرك الفريد فرادة، وتضيف لارتكازك ارتكازًا أعمق، فلا يكون تعبيرك المميز بالعشوائي أو المبعثر، بل التعبير المعزّز بأحادية المسعى. هنا يَسْطَعُ بعدٌ آخرُ للأصالة، يمتزج فيه تعبيرك الفريد برسالتك الفريده، ليتحوَّل هذا التعبير إلى شكلٍ من المهمّة.

في هذا الطريق ترقص الذات بعيدًا عن وعي القطيع، وتتسامى عن لعنة التقليد، لتتحوَّل إلى الخادم الأصيل لقلب رسالتك، وهنا يرتقي مفهوم الاستمتاع، من الاستمتاع بالنتائج فقط، إلى الاستمتاع بالرحلة ذاتها. فهذه الرحلة ليست كباقي الرحلات، والتي يهيمن عليها مفهوم النهايات، فالرسالة القلبيّة تعمل على مستوى يترفَّع عن مستوى البداية والنهاية؛ لأنّها تتموّج في روح الخلود، فهذه الرحلة هي محفّز خالد للخيال والعطاء، والإلهام.

في الأساطير، عندما كان يذهب الفارس للبحث عن الخلود، بالبحث عن «إكسير الحياة»، كان يدرك في بنهاية البحث، أنه مشى هذا الطريق ليكتشف ذاته، وأن إكسيرالحياة ليست قارورة دواء سِحريّة، تحول الفاني إلى الخالد، بل هو التذكار لما كان في عمقه، ما كان خالدًا في ذاته. وعند هذا الاكتشاف، تتولد رغبة جديدة في قلب الفارس، للعودة والتذكير والعطاء، فالفارس انتشى هنا بأن يكون خادمًا للحياة وروحها الواحدة، خادمًا للمحُبوبة، فترى الفارس يُعرّي نفسه من جراثيم الزيف، والتقبّل الخارجي، ليلعب بصدق دور المذكر للناس. المذكر لما كان أصيلًا فيهم، وقد نسوه آو تناسوه.

ولكن لا يعود الفارس هنا للعطاء كما مشى في الرحلة، في رحلة الإتيان بإكسير الحياة، بل عودته مختومة بمعرفة صادقة، تعلق كالوسام على صدره، هو وسام لا يخضع لتهديدات الزمان، ولا يتغيَّر بتغيُّر المناصب، فهذا وسام القوّة المختومة بِحبر اكتشاف الذات. هو الوسام الذي ناله الفارس لقاء شجاعته، الشجاعة التي روَّضت تنين الخوف، ليغدو هزيلًا، وترى ناره وألاعيبه القديمة قد فقدت وهجها، فوسام اكتشاف الذات، هو وسام الفارس الذي سلم نفسه لرسالة وجودية تتملكه، لتفرغ عصارتها من خلاله، فتصبح الرسالة هي الفارس، والمحرك، والقائد، والمعلم.

وإن بدا هذا الفارس بالرمز الأسطوري، فتذكر أنه أنت، وهو القائد الذي يعيش في صلبك، أما الرسالة التي يحملها، فهي رسالتك القلبيّة التي تحول التعبير عن الذات، إلى التعبير الأسمى عن الذات. فقد ارتقى التعبير هنا من المتعة اللحظية في السريان، إلى سبب راسخ، وواضح العيان، ولا نعني السبب هنا بالهدف السطحي الذي تجري لتحقّقه وينتهي، بل نتكلّم عن السبب الوجودي المستدام، والقابع تحت كلّ الأهداف.

الرسالة هي الطريق التي اخترتها قبل الولادة، وكأن فيها شهوة الروح الأصليّة لتسلك مسلك اللّا منتهي، بهدف رفعة الإنسانيّة، والخليقة عامة. فهذا الطريق هو الذي يقيدك، ويحرّرك من قيدك، هو الذي يؤلمك ويطهرك من ألمك، وهو نفس الطريق الذي يعريك برحمة الحُب. فهو الطريق الذي اخترت أن تسلك قبل أن تعرف أنّك سلكت، ومشيت في أسفاره قبل أن تعي أنّك مشيت.

وبالرغم من جمال هذه التعابير الشعرية، وكثرة الرموز المحمولة في باطنها، فإنها قد لا تحاكي العمليّة التي فيك مباشرة، فالرسالة، أو رحلة الفارس، كلّها تعابير مختلفة، تسللتْ من عالم الأساطير للواقعية، لتصف لك، أن النبض الذي يدفعك باتّجاه معيّن، وهو ليس بالاتّجاه العشوائي، بل

هو حدسك المرشد إلى رسالتك إلى التعبير الأسمى عن الذات. وهذا النبض، ما هو إلّا «شغفك» كما يسمّيه العامة.

ففي مسيرتك باتّجاه شغفك، أنت لا تمشي للخارج، وإن بدا الأمر كذلك، فما قد يُخيَّل لك بالسعي الخارجي، هو تكشيفٌ لمعدنك الأصيل. فكلّ خطوة باتجاه طريق الشغف، هي اكتشاف أعمق لذاتك، ومواجهة صادقة أكثر مع تنين الخوف، الذي يحرس طريق الشغف. بهذه المواجهة والانتصار المستمر، سترتقي شجاعتك، ووعيك لمراحل أعلى، لتقترن أكثر بسببك الوجودي، الذي كان، ولا يزال يحرك كلّ مساعيك، وإلهاماتها. وكأنه بالحركة باتجاه الشغف، تبدأ حشوتك الداخليّة بالانزلاق من عمق الزجاجة، لتوضح أن كلّ دوافعك، وهداياك الداخليّة، وحتى «خبرة» ماضيك، سخرت في اتجاه واحد، لتحرير رسالتك المحورية من باطنك إلى يقينك.

وفي اختيارك للانصياع لهذا الطريق، سترى قوى الكون النورانية تعمل بجانبك، وسترى الكثير من المعلمين، والملائكة، والمرشدين الأسطوريين، الذين تعرفهم أو «نسيتهم» على مستوى الروح، والأرض ينجذبون للعمل معك. وكيف لا؟ وأنت أصبحت أداة للرفعة والتأثير الجميل، أداة خادمة لرسالة فريدة.

تذكر أن نظام الحياة قد هُندِس لكشف الرسالة التي ترتسم في دواخلك، وفيها دافعك الوجودي الأصيل، الرسالة التي أغوت روحك المحلقة لتتجسد في تجربة الجسد الفيزيائية. وكلّ ما عليك فعله لكشف هذه الرسالة، هو المُضِيّ باتّجاه الشغف الذي تحسُّه بقلبك الآن، فالشغف هو الخبز الذي ترميه يد الرسالة على طريق رحلتك، لترشدك إلى الخطوة التي بعدها، وهذا سرّنا الصغير.

طريق الرسالة هو نفسه طريق الشغف.

لذلك سأنصحك هنا من كلّ قلبي بألّا تسعى إلى إيضاح رسالتك بالسؤال التقليدي: ما هي رسالتي؟ بل بالالتزام بما أوضحنا، وهو السَّيْر خلف شغفك، مع التأمّل الصّبور في دوافعك المحرِّكة خلف هذا الشغف. ولا تفسر القول، بإهمال التأمّل في ماهية رسالتك، فهذا تأمّل عظيم، وعليه أن يأخذ الأوْلَوِيّة في حياتك، ولكن إن فقد هذا التأمّل العمل التقديمي نحو الشغف، سيتحوّل إلى صداع فكري!

فالرسالة ليست بجملة سِحريّة تنزل عليك، فتحوِّل حياتك إلى جنة الوضوح، وتطهر قلبك بالبرائة، من زيف البحث الخارجي عن الذات. ولكن اكتشاف الرسالة، تأتي من خلال عمليّة تكشيف مستمر لألغاز رحلتك الخاصة، والتعمّق الدائم في أركان دوافعك الذهنية، والعاطفية، والروحية، وهي عمليّة قد تأخذ سنين، بل ستأخذ سنين. نقول سنين، ليس لإحباطك،

وإنّما لتسترخي لجمال الرحلة وغموضها، وكأنّك بكلّ خطوة في مسيرة شغفك، وفي كل تعمّق في ذاتك تكشف لك الرسالة ضلعًا من ضلوعها.

فلا تضيّعْ وقتك، وطاقتك في «البحث الذهني» عن الرسالة، ولكن ابدأ الرحلة الآن بالسعي خلف شغفك.

وقد يُخيَّل لك الآن، لكن لماذا كلّ هذا التعقيد؟ ولماذا لا نعرف رسالتنا منذ البداية وتنتهي المسألة؟ وقد يبدو على هذا السؤال وصمة المنطقية، ولكن تذكر أن جزءًا من لعبة الحياة الروحيّة على الأرض هو «نسيان ذاكرة الروح»، وسبب قدومها هنا، وفي هذا شيءٌ من الحِكمة العليا، لصقل شجاعتك بالمُضِيّ في المجهول، والتعلم غير التقليدي، لتقديس فضولك للسّعي في اتّجاه المغامرة.

وكأنَّ الحياة تقول لك بأنين الناي: إن أردت اكتشاف أحضاني، فأيقظ شجاعتك لتمشي بطريق الشغف، وإن أردت معرفة أسراري، فأيقظ في سِرِّك الالتزام الحُرّ للمُضِيّ بنداء القلب. فروحك لا ترضى أن تكشف أسبابها، حتى تستوي في شجاعتك، وتظهر النيَّة الصادقه لقوّة التزامك. وإن فعلت من دون تحليلات زائدة، ستكتشف عمقًا جديدًا من العطاء والإخلاص.. عمقًا يتعدّى مستوى النجاحات، والطموح الشخصيّة، لتلامس فيه روحًا جديدة من المجد والبساطة، أو بالأحرى هي كانت دائمة البساطة، وأنت أدركت هذا الآن.

وهذا لا يعني بالضرورة أن تترك كلّ شيء في حياتك، من عملك الحالي، وعلاقاتك وغيرها، لتمشي وراء شغفك، ولكن قمْ بذلك بحِكمة، وبإبقاء الأمور كما هي، مع فتح مساحة صغيرة لطريق الشغف في حياتك. وعند المُضِيّ بتيّاره، سيقوم الشغف بتوسعة هذا الطريق بنفسه، ورمي الأثقال التي تحيِّده عندك.

ولكن قد يخطر لك الآن، أني لا أعرف حتى ما هو شغفي، فكيف أمشي في طريقه!

هذا هو حوارنا القادم، ولإيضاح شغفك، سنطلق على كلمة الشغف هنا وبلغة «كن أنت»: النبض الابتكاري. ففي هذا المفهوم شكلٌ أكثر من العمليّة، لتحقيق هذا المسعى الوجودي.

للتذكير:

* ولادة القائد تتطلّب التّحرّر التدريجيّ من وعي القطيع إلى وعي الذات.

* أسرع وأسلس طريقة للتحرُّر من النّظم الاجتماعية هي عن طريق تقبُّل الذات.

* القائد المستنير قادرٌ على التلاعب بكافة الأفكار كاحتماليّات فكريّة في فضائها، ومن دون التعلق بها.

* الحدس هو مفتاح القوة، والأساس للقائد الحقّ.

* طريق الرسالة هو طريق الشَّغف.

أسئلة للتفكر:

هل توقن بأن في داخلك قائدًا؟ إذا كان الجواب لا، فلِمَ لا؟
ماذ يقول لك حدسك، وتخاف أن تسمعه؟
ماذا سيتغير في حياتك إن التزمت في صوت الحدس؟
إن أردت السعي الآن فيما يلهمك، فمن أين ستبدأ؟

النبض الابتكاريّ

النبض الابتكاريّ، هو ذلك الطريق الذي يميل له قلبك، وتتّقد بصحبته حواسُّك، وابتكاراتك، وخيالاتك. هو حلم الروح المستور، والذي تمتزج فيه شواطئ أيامك ببحار الأحلام، ليتحول وجودك إلى حكاية حلم. في أحضان هذا الحلم المُقدّس، تفتح البصيرة نوافذها لأنوار معارف جديدة، أو بالأحرى، معارف من قِدَمِ الزمان مخزّنة في روحك، وفي باطن الأرض، ووهج النجوم. معارف وإدراكات، غير متاحة للشخص الذي لم يلامس طاقة الحلم.

حتمًا قد عشت هذه الحالة من قبل، عندما سلّمت الدفّة لنبضك الابتكاريّ، وحتى لو كانت لوقت قليلٍ، فهل تَذْكُر المرّة الأخيرة التي ألهمت بفقرة شعرية وكتبتها، أو لوحة فنية ورسمتها، أو مقطع تعليميّ عن مادّة أنت شغوف بها، وشاركتها، ألم تحسّ في هذه اللحظات بأن الحياة بدأت تُشبه الحلم؟ ألم توقن كيف تملّكتك طاقةُ الحلم كالحبيب الغامض، الذي تسلّل إلى قيود قلبك بخلسة، لفك كوداته السرية؟

ولكن يبقى السؤال ، هل هذه حالة آنيَّة، وتنتهي؟ أم تستطيع أن تعيش حياتك بهذا الشكل؟ يعني هل تستطيع أن تُسلّم حياتك كاملة وبكل تفاصيلها، لنبضك الابتكاريّ، ليأخذك إلى رحلته المتجدّدة من الابتكارات الدائمة؟

إن كان جوابك لا، وبدا سعيك مع نبضك الابتكاريّ على مدار الحياة، خاليًا من المنطق والعقلانيَّة، وخصوصًا للجزء التحليليّ منك، تأكّد بكلّ أقسام الكون الممكنة، وعهود الحياة كافّة، أنّ طريق النبض الابتكاريّ هو ليس فقط بالمتاح، وإنما هو طريق التعقّل الأصيل، هو طريق الرشد. فميل قلبك باتّجاه معيّن لم يكن بالصدفة، فهذا الميل وُلِدَ من أعماق روحك، وموافقتك على المُضِيّ فيه، هو الموافقة الكاملة على تقبّل إرشاد الروح، وطريقها.

ولتسترحْ نفسك بالطمأنينَة، فإن هذا الطريق ليس بالغريب عليك، وإن بدا أنه يأخذك بعيدًا عن ذاتك، فهو سيقربها معك إلى حَدّ الاتحاد، فلا تضيِّعْ نشوة الاتحاد الخالد، للمنطق الرخيص، الذي لا يعي قوانين الحياة الأساسيّة. فهذا المنطق إن وصف بشيء فَجُلُّ ما يقال عليه، بالأخرق، والمشبع بالأنانيَّة، ونَصِفُهُ بالأخرق؛ لأنّه لا يدري ماهيّة الانجذابات القلبيّة، ومنطقها الروحي الحكيم.

فانجذاب القلب باتجاه معين، هو ليس بالنزوة التي عليك أن تروّضها، وإنّما اللغة التي يتحدثها معك قلبك في طريق الرسالة، فهل هناك من مجيب؟

وما الذي تظنّ أنه الحائل بينك وبين المُضِيّ في هذا الطريق؟ والإجابة «مرّة أخرى»: نظام الخوف، ذلك النظام الذي إن بدا عليها الرحمة، فهو خَلَا من الرحمة، ، واستشرى

فيه كلّ أنواع الطغيان. ذلك النظام الذي يحاول سلبك رسالتك الأصيلة لراحته الخاصّة فقط، فتراه يرمي بكلّ الأسباب التي قد تبدو بالمنطقيّة؛ لكي لا تسلك طريق النبض الابتكاريّ؛ لأنّ رحلة العبور فيه تبدو بالوعرة، وفيها البعد عن منزلك المريح.

وتذكر أنّ الحَلّ مع نظام الخوف ليس بمحاربته، بل بِسَحْب ولائك منه، والتخفيف من الإنصات له، فهذا الصوت الخائف سيبقى يُجعجع، ويجعجع، ويتعالى بالصراخ، وخصوصًا عند البعد عن منطقة الراحة المعتادة، فهو الضعيف الخائف، ولكنّه لن يعلو عن مَيْلِ قلبك العجيب.

فقل نعم لهذا الميل، وابدأ بالتدرب على السريان خلفه الآن. وعند أخذك القرار المتكرّر للانسياب مع تيّاره، من دون أسباب واضحة، أو منطقيّة، ستفتح لك الخطوة القادمة في رحلتك الخاصّة، فانسيابك وراء نبضك الابتكاريّ، هو كإعطاء الضوء الأخضر للكون لفتح المرحلة القادمة من لعبتك الروحيّة، فامضي الآن مع تيارك.

ومهما كان العائق الفكري الذي تواجهه من ليس لدي المهارة، المال، أو الوقت، أو مهما كان السبب، أسْرِ معه الآن، ومن دون الانتظار أن تكون جاهزًا.

فلا تظن واهمًا أنه يجب أن تكون جاهزًا لتنساب مع انسياب قلبك، فالجهوزيّة ما هي إلّا قصّة أخرى، تقصّها شفاة الخوف

عليك قبل النوم، فَدَعِ الشفاه المهترئة تُثرْثِر، وامضِ مع نبضك الابتكاريّ الآَن. امضِ وراءه لأنّه رسالتك، ومصيرك، ومهمتك.

فمهّمتك تتجلّى بالمُضِيّ خطوة واحدة مع ذلك الذي يميل له قلبك، الأمر بهذه البساطة.

وعندما يتحوّل الانقياد مع هذا الميل لأسلوب حياة، وتصبح الأذن المتنصّته لتيّارك القلبي، سترى بنفسك إن كلّ التهديدات « المنطقيّة» التي تلقّيتها من نظام الخوف، ما كانت إلّا تحذيرات واهمة، وخلفها تقبع قدرتك الحدسيّة الكاملة على اشتمام طريق الإلهام، وانجذابات القلب الصادقة.

فهنا تقف على مفترق الخيار، أن توافق مُطأطِأ الرأس على اقتراحات صوت الخوف، لتعيد القديم المكرّر، أو ترضخ لأنبل القوى التي فيك، وتمشي بطريق القلب؟ وبرضوخك البطولي لميل القلب، تتجلّى أسْمَى درجات السيادة على نفسك، وغير ذلك ستكون كحال العبد الذي استعبدَته لنفسك «بمنطق» الخوف الأعمى، وهذا سرّنا الصغير.

السيّد هو من استسلم لطريق القلب، والعبد هو من استعبدَتْه نفسه بمنطق الخوف الأعمى.

فكما ترى هنا إن كلّ أجزاء الكتاب، تغريك باتّجاه واحد، هو اتّجاه النبض الابتكاريّ، أو ميل القلب، أو الشغف ورحلته الفريدة. فكلّ ما ذُكر عن احترافية الذهن، وأنظمته المحرِّكة،

والغوص في كودات الذات، والشفاء العاطفيّ، والقوانين الكونيّة، هي برزت لتعمل كرديفٍ لك، في سعيك الصادق مع نبضك الابتكاريّ.

وكيف لن يَستنفِر الكتاب طاقاته الصاعقة لإغوائك إلى هذا الطريق، وهو على يقينٍ كاملٍ، إنه طريق السعادة المُطلقة.

ولا نتحدّث هنا عن السعادة التي يروّج لها الإعلام، بنوعٍ من الابتسامات البلاستيكيّة، وأحاسيس الإثارة المفبركة طول الوقت. إنّما هي سعادةٌ أنقى، سعادةٌ أنبل، سعادةٌ متجذّرة، ولا تتغير مع تغيّر ظروف الزمان، أو حالاتك الذهنيَّة؛ لأنّها سعادة مُنبثقة من صدق الذات، وصدق النيَّة، وصدق المَسْعى، وفي جوهر هذا المَسْعى يتجلّى نبضك الابتكاريّ.

ليس هذا فحسب، وإنّما في هذا المَسْعى، تتَّسم أشكال الثراء المستدام بكلّ أشكالها، والسر، بكلمة «المستدام»، فالكثيرون انهالت عليهم الثروات الماديّة، ولكن لبُعدهم الداخلي عن طاقة الثراء الحقّه، لم يكونوا قادرين على استدامتها. ونرى هذا جليًّا بالأبحاث التي نُشرت عن الأشخاص الذين ربحوا اليانصيب، وتحديدًا الأعلى من مليون دولار، فالغالبيّة العظمى منهم بدّدوا هذه الثروات في أقلّ من ٣ سنين؛ لأنّها لم تتلاءم مع مستوى نضوجهم السيكولوجيّ، وحتى أنّ الكثيرين دبّت فيهم المصيبة وراء الأخرى، أَتَرى كيف أصبحت الثروة كعبءٍ على صاحِبها، لركاكة القاعدة؟ هذا

بدل أن تقوم الثروة بواجبها الرئيسي كخادم ودود لرسالتك، بتسريع دائرة التأثير، والفاعليّة.

عند السعي مع نبضك الابتكاريّ فقاعدتك أرسخ؛ لأنّ فيها نيَّة مختلفة تمامًا، لا يناشد فيه المرء نتائج لحظيّة، ولا يحلم بصندوق الذهب الخشبيّ، الذي سيحوّل تعاسته إلى سعادة بلحظة، وإنّما هي طريق النضوج المتجدّد مع ذاتك، وتحدّيات الحياة. في هذا المسلك تتجلّى الاستدامة، بأحلى صورها، فطريق الثراء المستدام، هو طريق السعي في نبضك الابتكاريّ، والنضوج برَوِيَّة مع المُعطيات التي ستواجهها في كلّ مرحلة من اللعبة الروحيّة.

هناك في أعماق صدرك، تقبع قوّة ابتكارية خالدة، وفيها قوّةٌ تسعى للتعبير من خلالك، وتسعى لأن تُجنّدك لقادة الحياة الصادقين، في عصارة هذه القوّة تتموّج شهوة التكوين، وفي جوهر هذه الشهوة نداء «كن أنت»، فهل ستلبّي؟ وإن رفضت أو تململت عن هذا النبض الساهر- وهو أيضًا خيار- فالنتيجة هي الانكماش، الانكماش التدريجي حتّى تصغر طاقيًّا أكثر وأكثر، إلى حَدِّ النملة، بل إلى حَدِّ الخفاء.

ولا نتكلّم عن الاختفاء السحري الممتع بغطاء هاري بوتر، بل هو الخوف من تعرية ذاتك، ومكنوناتها. وفي هذا الخوف، انكماش عن عظمتك الأصيلة، وطريقها الأصيل، الانكماش

عن إظهار بريقك، بالطلب الجاهل للأمان الخارجي، وهذا الآخر هو وهم أيضًا.

فعلى سبيل المثال عندما كنت أدرّب سيدة مرّة، اكتشفنا أنَّ لديها مَيْلًا للمشاركة عن العلاقات الإنسانيّة، وعندها سألتها:»ما هي الطريقة المثلى لتبدئي التعبير عن نفسك هناك، وتشاركي مواد هادفة باتّجاه هذا الميل؟» بدأت النظر إلى أعلى، والتفكير بتحليل أكثر، وبدأتُ ألاحظ حينها كيف تحوّل هذا الشغف البريء، إلى تحليلٍ معقّد، وكأنّها تنحاز من مَيْلِ القلب إلى رأسها، فأوقفْتُها، وقلت: « لا أريدك أن تفكري كيف ستُحوّلين هذا الميل، إلى رؤية واضحة المعالم الآن، بل أعْطِني خطوة واحدة لتمشي مع هذا الميل»، فقالت: أريد أن أشارك «كذا وكذا» بفيديو، فحدّدنا الوقت لمشاركة الفيديو.

أتى الأسبوع الذي بعده، ولم تقم السيّدة بمشاركة الفيديو كما اتفقنا، وعندما سألتها لماذا؟ قالت لي: إنها عندما قامت عن الكرسي لتقوم بالتصوير، سمعت صوتًا يقول لها اجلسي، فجلست، وكانت تقُصّ هذا بمنطقيّة كاملة، ثم سألْتُها وبكلّ هدوء: «هل الصوت الذي سمعته حينها هو صوت الحِكمة الذي يرشدك إلى طريق الرسالة؟ « فتململتْ للحظة، وقالت: «لا أظن»، فأصررتُ على أن تجيب، بنعم أو لا؟ فقالت: «لا».

ثم قمت بسؤالها: «هل تذكرين الأحلام التي كنتِ تروينها لي، بأنّك تريدين أن تكوني مُلهِمة للسيدات»، قالت «نعم»، فقلت: «هنا يتجلّى أوّل تَحَدٍّ، لتحويل طاقة الحلم إلى أرض الفيزيائيّة، وهنا يتجلّى الخيار للانسياب بتيار القلب، أو تيار الخوف؟ فماذا اخترت؟»هنا جلست السيدة في صمت لبرهة، وقالت:»الخوف»، سألتها حينها: «وماذا أحسستِ عندما أنصتِّ للخوف لحظتها، وبصدق؟ قالت: «بالراحة»، ثم أكملت: «ماذا أحسستِ في نهاية اليوم، هل بالتمكين، أم بالانكماش؟» فصمتت لثوانٍ أخرى، لتحسّ بما يدور في جسدها، وقالت:»الانكماش».

هنا يتجلَّى خيار الرسالة، إمّا بأخذك الفعل الذي يأخذك إلى التمكين أو الانكماش، حتى إن كان خارج دائرة المريح والمعتاد. هذا طبعًا لا يعني الصراع مع الحياة بالعزيمة المُفْرِطة، فنحن بالكثير من الأحيان نحتاج للتعامل مع المقاومة بفنٍّ ولينٍ، والتي قد تكون على شكل تمكين تدريجي للنفس، أو تغيير المعتقدات من العقل الباطن وأساليبه كثيرة، أوعمليّة شفاء عاطفيّ عميق، للتخفيف من رعب نظام الخوف، وتيسير الخيار باتّجاه القلب، أو قد نحتاج لتعيين مدرّبٍ، أو شافٍ لتطهير الأفكار المُعرقِلة من العقل الباطن، وشحن الدعم المكرّر. لكن هذا لا يطغى على المبدأ الأساسي

وهو: أن خيار الانسياب مع القلب يقودك للتمكين، أمّا خيار الخوف فيقودك للانكماش، وإن كان فيه راحة لحظيّة.

خيار القلب يقودك للتمكين، وخيار الخوف يقودك للانكماش الطاقيّ.

ولا تقلقْ على السيدة؛ لأنّها عادت وأخذت قرار القلب، وأحسَّتْ بالفرق، وبذلك القرار التقدُّمي تحرّرت أكثر، وأكثر من سجن الخوف، إلى نبض الحياة الساهر.

في مسيرة النبض الابتكاري سترى الحدود تنهار بين عالم الخيال والواقع، ، حتى يمزج الحلم بين الخيال والواقع، فيصبح خيالك وواقعك واحدًا، أو كما وصفه بدِقَّة الشاعر الروحيّ «وليام بليك William Blake»: « الخيال ليس حالة خاصّة، إنمّا هو واقعك الإنساني ذاته».في هذا المزج تتحرّر منك قوّة رهيبة، وليونة رهيبة، تحوّل جمود الواقع إلى هيام الاحتماليات اللّا محدودة، وتحوّل فيزيائيّة الحياة الصمّاء، إلى خارطة كونيّة لا محدودة، فترى من داخل ذاتك القارات، والكواكب، والنجوم، والحضارات الكونيّة كافّة.

هذا النبض الساهر هو نفسه، جنيَّة الروح التي تلامس قلبك بحنان في بعض الأحيان، أو تتحوّل إلى المارد الحازم، لتلطمها بشدّة في أحيان أخرى. فاسعَ بقلبِ الحثيث الثائر أن تكون المُعبِّر عن جنيَّة الروح، وعندها سيدبّ في أعضائك مستوى جديد من الشغف، شغف يتعالى عن أحاسيس الإثارة

التي تسطع وتزول، إلى شغف أصيل يولد من بوتقة التعبير الخالص، من بوتقة نبضك الابتكاريّ.

فنبضك الابتكاريّ فريد، وله بوتقته الفريدة ومرشدها الفريد، الذي ينقر على كتفيك للاتّجاه الأبسط، اتجاه الصراط المستقيم. هو نفسه الحدس في باطنك، الذي ينادي بصوتٍ خافتٍ، ليستميل قلبك، لتكن أنت، وفي بساطة «كن أنت» تتراقص أجمل تعابير الصدق والجمال والعبقريّة. هي البساطة الولادة لكلّ التعقيدات، والمعادلات، والفلسفات، والأنظمة الفكريّة جميعها. هي البساطة التي يسطع منها أشكال التكوين كافّة، هي بساطة التعبير الأعظم عن الذات.

أنا اذكر تمامًا، كيف بدأتُ السعي الكامل، باتّجاه نبضي الابتكاريّ، فـــأوّل مرّة حضـــرتُ فيديو عن تطـــوير الذات، لشخــص اسمــه «نواه هاموند Noah Hammond »، أحسست حينها بميلٍ غريب في قلبي، ميل فيه نوع من الإدمان. فكنتُ أرجع من العمل لأركض لاهثًا إلى غرفتي، وأغلق الباب، وأقفز على التخت، وأفتح اللابتوب لأنصت لما يقول، وكلّ مرّة كنت أراه يتحدّث، كان يتفعّل خيالي تلقائيًّا لأرى نفسي أفعل نفس الشيء.

كنت أتخيّل أني أتحدث أمام الكاميرا، لأُعبِّر عمَّا يدور في خفايا قلبي عن الأمل والتطوير، وحتى إن لم أدرِ ما المحتوى

الذي سأشاركه. كنت أقضي الساعات والساعات وأنا أتخيّل نفسي أفعل ذلك، ولم يكن هذا الخيال محصورًا على حالات الخيال التأمّلية، بل كان يصاحبني في طريقي للعمل، والمأكل، ومع الأصدقاء.

لم أدْرِ وقتها أن هناك مهنة محترمة، تتخصّص في التحدّث العلني، أو التدريب الفرديّ والجماعيّ، لكنّ شيئًا في صدري كان يدفعني هناك بلا أي نوع من المنطق، أو الخبرة المسبقة في هذا المجال البتّة. إنه شيءٌ في صدري أصرّ على أخذي إلى رحلة المجهول، بعيدًا عن عملي الهندسيّ المعهود، فطاوعت هذا النبض، وليس كنوع المطاوعة الخاملة فقط، بل بسعي المناضل خلف حريّته، وسعي صاحب الشَّعر المحترق لنهر الماء أمامه. ولم يخذلني هذا السعي أبدًا، فكما طاوعته، طاوعتني الحياة، ولا أعني هنا أنّي لم أواجه التحدِّيات، فالتحدّيات تبقى جزءًا من جمال اللعبة الروحيّة، ولكن بالمطاوعة، فكّكت الكود السري لبوّابة العالم الآخر، عالم تعالى عن التقليد والنمطيّة، إلى جنان الحلم الخالد.

وبعدها بقرابة سنة من اللحاق بنبضي الابتكاريّ، ومشاركة أفكاري بكلّ من استوى فيهم النضج للسماع وفي أي منصة، من غرفتي إلى المراكز، قدّمتْ سيدة عرضًا لي بأن تصوّرني باحترافية، بعد أن تواجدتُ «بالصدفة» بمحاضرة قدّمتُها بحبٍّ، وشغف عن الأداء العالي، فوافقت فورًا. أذكر

تلك اللحظة حتى الآن، لحظة الدخول إلى الاستوديو على سطح العمارة.

مشينا سويًّا أنا والسيدة خلال أدراج العمارة وطوابقها، وقلبي يتراقص من الفرحة، حتى وصلنا السطح، ومن ثمَّ قامت بالدَّقِّ على باب الاستوديو هناك والنداء، ليفتح المساعد من الداخل على الفور. ولكني لم أختبر الموقف هكذا، بل رأيت فتح الباب بالعرض البطيء، وكأنه يفتح صدره إلى عالم سحري آخر، ليتوقف معه الزمان من ذهني.

بعدها سلَّم علينا المساعد، وطلب منا الدخول إلى الداخل، لتسقط عيني مباشرة على الكاميرات والأضواء. بالنسبة لي كان وهج الإضاءة كوهج الشمس في يومٍ صيفيٍّ دافئٍ، هو الصيف الذي يطري بهجة وسرورًا إلى النفس، وجُلّ ما أقدر أن أصف هذا الإحساس بأني وجدت بيتي حينها. حينها عرفت أن نفس النبض الابتكاريّ الذي جذبني إلى سطح العمارة، هو أرجعني إلى بيت قلبي، إلى البيت الذي أمتزج فيه الحلم بالحقيقة.

ولا تظنّ للحظة أني كنت شغوفًا، وساعيًا للتعبير عن نبضي الابتكاريّ منذ ولادتي، بل على العكس، وأعني هنا العكس تمامًا! فقد كنت أستيقظ بمنتصف اليوم، إلَّا إذا أجبرت على القيام؛ لأنّ عندي محاضرة بالجامعة، وإن ذهبت هناك، فإني أركض للخلف لأضمن مكان نومي، بحيث لا يراني الدكتور،

وبنفس الوقت أستطيع تسجيل حضوري، وما أكثر الصور التي التقطها أصدقائي، وأنا نائم في المحاضرات. كنت مقتنعًا وقتها أنّ الحماسة ليست من طبيعتي، ولكني لم أعِ أن الحماس المتجذّر، هو الطبيعة الإنسانيّة عن السَّرَيان مع نبضك الابتكاريّ؛ لذا إذا أنا سعيت مع نبضي الابتكاريّ، أنت تستطيع أن تسعى مع نبضك الابتكاريّ أيضًا.

فواجبك كعاشق للأصالة والحريّة، واسمح لي بأن أسمّيك كذلك، أن تسعى مع نبضك الابتكاريّ، أن تسعى مع هذه الطاقة الكونيّة السريعة. وإني أعدك بأنها ستفتح لك أسرار ذاتك، لتكتشف بنفسك، أنَّ هناك ذكاءً كونِيًّا خالدًا، وترتيبًا يفوق تحليلك، في قلب الطاقة الابتكاريّة، وقلب الحياة، وهم واحد، وهذا سرّنا
الصغير.

في قلب النبض الابتكاريّ يتجلّى قلب الحياة الواحدة.

لذلك سيبقى مَسْعَى النبض الابتكاريّ هو أهم مساعي حياتك، وربّما لذلك لخّص «جوزيف كامبل Joseph Campbell» فلسفته بثلاث كلمات إنجليزية بسيطة: «اتبع بركتك Follow your Bliss ». فهو قال لنا: « أستطيع أن أُلخِّص كلّ ما درسته وأيقنته بجملة واحدة، اتبع بَرَكَتَك، وعندما تفعل ذلك سيفتح لك الكون أبوابًا في الأماكن التي كان

فيها حائط فقط»، وشخصيًّا أرى البركة، كاسم آخر للنبض الابتكاريّ.

ولا تخطئ البَرَكَة، باتجاه الشهوة اللحظيّة، فشتّان بين الاثنين، وليس لعْنُنا بالثانيَّة، فالشهوة اللحظيّة لها مكانها بالحياة أيضًا، والذي يجب أن يُقّدس ويحترم، ولكنّها ليست الطريق التي نصفه هنا، فطريق النبض الابتكاريّ هو ليس أكل الشكولاته طول اليوم واصفًا إيّاها بالبركة! وإنّما طريق الخدمة القلبيّة، وإن كان فيها تأخير لشهوة النفس لحساب شهوة الروح، بالعطاء، والالتزام، والصادق.

وكما أوضحنا، يبدأ المسعى بهذا الطريق، بخطوة واحدة، فالطريق دائمًا يتجلّى بالخطوة القادمة، وغير هذا ستصبح الرؤية التي تدفعك بالثقيلة؛ لأنّها تبدو بعيدة عن نضوجك السيكولوجي الآن، وهناك سبب لذلك، فالرؤية الحقّة تتحداك للنضوج المستمر، لتكون قادرًا على التعبيرالكامل عنها.

فتذكّر عندما مشيت بهذا الاتجاه لم أكن أعي أنَّ هناك شيئًا يدعى بالتدريب أو التطوير، واليوم أصبح مجالي، بل شكّلت مجالًا فريدًا لنفسي، وهو رسالة من «كن أنت»، تمزج فيه حركات التغيير المجتمعية بالوعي والفكر، والعمل الريادي الصادق. فالحلم أصبح حقيقة، بخطوة واحدة كلّ مرة باتّجاه النبض الابتكاريّ، وما زال هذا الحلم، وسيبقى في حالة نضوج مستمرًّا، ليقصّ أحلامًا جديدة على شفاه الواقع.

هكذا أعيش حياتي الآن، بالسعي التام وراء النبض الابتكاريّ، فلا أخترع الهدف القادم الذي سأنفذه من رأسي، بل من إلهام النبض الابتكاريّ، وهذا يتطلب خبرة وتدريبًا، للاستماع إلى تدفّق النبض الابتكاريّ، والتماشى مع تيّاره. ولتوضيح المقصد دعني أكشفْ لك السِّرّ خلف اسم كورس «القائد المستنير»، أو «Enlightened Leader» الذي أُدرّسه، وهو أوّل كورس في أكاديمية كن أنت - من دزن».

قد لمع هذا الاسم في نفسي وأنا نائم، كإلهام بَرّاق، فقمت ومن دون التفكير بالخطوة الأولى؛ لأنيّ أعرف أنّي إذا أعطيت الإلهام الوقت الكبير للتفكير، سيبدأ نظام الخوف بالتسلل إلى ذهني، وبثّ شكوكه المُؤرّقة؛ لذا قمتُ مباشرة اليوم الذي بعده وطلبت من المصمّمة التي أعمل معها، أنت تصمّم صورة كورس القائد المستنير، أو الذي كان يسمّى القائد العالمي حينها، وأنا حتى تلك اللحظة لا أدري ماذا سيحتوي الكورس، أو أيّ تفاصيل عنه.

حتى أني بدأت الإعلان عن الكورس، وأنا لا أدري ماذا سيكون في الداخل؛ هذا لأنّ ثقتي بالنبض الابتكاريّ عالية، ومعها يقيني بأنّ المعلومات ستنهال عندما أعلن عن الكورس، وفعلًا حصل. واليوم أصبَح كورس القائد المستنير من أعمق البرامج في القيادة، يُعلّم فنون القيادة من بُعد آخر، متجذّرًا في حبِّ الذات، والتنوير، والتعبير الصادق.

وهذه الثقة مع النبض الابتكاريّ لم تأتِ بيوم أو يومين، بل نَمَتْ مع السنين، كأيّة علاقة تبدؤها مع شخص آخر، فعندما ترى صدق هذا الشخص، يزداد حبك، واحترامك له تلقائيًّا. وهكذا حال العلاقة بينك وبين النبض الابتكاريّ، فهي علاقة تنضج مع الأيام، وهي تبدأ كما أوضحنا بخطوة واحدة مع يد النبض الابتكاريّ.

فكلّ ما أطلبه منك الآن خطوة واحدة بهذا الاتّجاه.

وكما قلنا إنّ النبض الذي ألهمك، ودفعك منذ البدء لاتّجاه معيّن، لم يكن وليد الصدفة، فهو وُلِدَ من عُمق ذاتك، وُلِدَ من خلف بوّابة الخوف التي تخشى أن تفتحها في داخلك. فنفس طريق النبض الابتكاريّ المحرّك لإحساس الشغف فيك، هو طريق مواجهتك لأكبر مخاوفك، مواجهة ما كان في السابق مصدرَ ألمك، واختناقك الرئيسي.

نعم الشغف يولد من عمق الألم فيك، جذر كل آلامك النفسية، هو نفس المكان الذي لعنْتَه، ظانًّا أنّه مصدر مظالمك الرئيسيّة، نفس المكان الذي خبّأته للعار من أن يظهر، ونفس المكان الذي حبسته بأسوار القلعة الكبيرة، معتقدًا أنّه بذلك حماية لك، وهو معتقلك! ولكن الزمن ولّى للمَلامة، ولعب دور الضحيّة، أو الهروب من ذلك الألم؛ لأنّه من نفس رحم تلك الألم يُصقل مُركب الوعي، والشجاعة، والتعاطف الكبير. هذه العناصر الثلاثة المسخَّرة للقوّة العظمى، والعاملة كالوقود

المحرّك لرسالتك القلبيّة، وبتفاعل هذه العناصر معًا، يولد مزيج العبقريّة للعطاء الخالص.

بتفعيل هذه العناصر الثلاثة، سيدبّ فيك حُب التغيير، وستغدو تَعرِية الذات بالهينة مقابل المساعدة الحقّة، فمن قلب ذلك الألم، تولد فيك الرغبة الكاملة للعطاء والتغيير، وهناك لا يستطيع الخوف بكلّ أشكاله أن يقف عائقًا في وجهك. فقوّة الخوف قد سُلبتْ بالوعي الكامل لعظمة رسالتك الوجوديّة.

فعند التقاء الساعي لرسالته بمكان الألم من داخله، أو ما اعتقد واهمًا أنه مصدر ألمه، ستحصل الصحوة، ليدرك أن هذه الألم، لم يكن إلّا جرّاء البحث المغلوط عن «حب الذات» في الخارج، فكيف للساعي أن يُجسّد رسالته، إن لم يَعِ طعم الألم بنفسه؟ وكيف له أن يتصّل مع أولئك الذين يعانون هناك، إن لم يكن هو نفسه شَرِب من نفس هذه الكأس سابقًا، ليرى أنها ليست إلّا الكأس المغشوشة؟ وكيف لشجاعته أن تتّقد، إن لم تكن فيه الرغبة الجنونيَّة لتخفيف هذه المعاناة، لمن يغرقون فيها؟

هناك في قلب الساعي لرسالته، تضيق المساحة على جرثومة الخوف من الأحكام، فهو الرأى الأهم، وارتضى أن يضع سعيه للخدمة فوق إرضاء العامّة، فكيف لك أن تكون الخادم الحقّ في رسالتك، وأنت تحاول إرضاء العامة بنفس الوقت؟ فالاثنان يسلكان طرقًا مختلفةً، ويمشيان في تيّارات

متعاكسة، فطريق الأصالة هو طريقُ تقبّل الذات، وإسقاط الأقنعة الزائفة، والآخر هو طريق حياكة المزيد من الأقنعة. فعشق العطاء لرسالتك، سيروّض الحاجة لإرضاء العامّة، ويحيّد شحنتها العاطفيّة إلى درجة الاستقرار، وكأنّ ألمك السابق تحوّل إلى مصدر خدمة وتكشيف للذات، وليس إرضاء للناس.

وقد تظن الآن أنّ هذا كلام يخلو من العمليّة، فكيف يكون ما آلمني يومًا نفسه مَصْدر خدمتي وشغفي والهامي؟ وكيف يأخذني تيّار النبض الابتكاريّ لمصدر الألم من السابق؟ وما المُغْرِي بذلك المسعى؟ وكيف يكون ذلك المكان الذي «شوّهني» هو نفسه وقود رسالتي؟ شخصيًّا لا ألومك على هذه الاعتراضات، فأنا أدري صعوبة الذهن لتصديق، بأن ما تلعنه سِرًّا أو علانيَّة، هو نفسه طريق رسالتك، وما تلوم الخالق عليه في الخفاء، هو مصدر شجاعتك.

ولكن ماذا لو... ولنرمِ بعض الفرضيّات هنا على الطاولة، بغرض اللعب بها لا أكثر، ماذا لو كان ذلك الذي اعتبرته المشَوِّه لك، هو ليس بالمشَوِّه؟ وماذا لو كان في «تفسير» المشَوِّه ، كودات رسالتك الأصيلة؟ وماذا لو كان مصدر ما اعتبرته استضعافك يومًا، هو نفسه مصدر القوّة الأصيلة فيك؟

ماذا لو؟؟؟

ولاستيضاح الإجابات لهذه اللعبة الذهنيَّة، دعني أقصّ عليك قصة «ليزي Lizzie « (أقبح فتاة بالعالم)، فقصة هذه الفتاة غاية بالأهميّة، وفيها الوضوح المطلق، عن اكتشاف مفتاح الرسالة عن طريق ألم الماضي. فكما تروى «ليزي» قصتها، فهي استفاقت يومًا لترى على «اليوتيوب» فيديو بعنوان: أقبح فتاة بالعالم، وعندما أمعنت النظر رأت نفسها هناك! ولك أن تتخيّل صدمتها تلك اللحظة، ولك أن تحس الشعور، عندما تجد نفسك كمادّة إعلانيَّة للضحك والتعليق، وخصوصًا في موضوع غاية الحساسيّة كهذا.

وصفت ليزي صدمتها بنوع من عدم التصديق، فهي لا تدري لماذا، أو كيف حدث هذا؟ أو كيف يتحجّر قلب أيّ إنسان بالعالم لهذه الدرجة من القساوة، وينشر عنوانًا هكذا؟

بالرغم من قساوة التجربة، إلّا أن ليزي، ومع مرور الوقت، قرّرت أن تخوض رحلة التطهير العاطفيّ، والتسامح الداخليّ، لتتعدّى أحاسيس الضحيّة والمظالم. وبعد رحلة الشفاء، أيقنت ليزي أنّ الجمال يسكن في داخلها، وهو جمال خالد، جمال روحيّ لا يُؤخذ، ولا يُتنقص منه، ويتعدّى الشكل الفيزيائي، ليشعّ من خلاله.

وبعد هذه الرحلة من الشفاء والوعي، بدأت ليزي بمشاركة قصتها مع الناس، لتصبح متحدّثة مُلهِمة، برسالة مُلهِمة، تساعد الناس أن يروا جمالهم الداخلي.

أترى كيف تحول ألم «ليزي» المحوري وهو شكلها «القبيح» إلى مصدر «جمالها»، وهو نفسه مصدر قوّتها ورسالتها. فهذه النقلة الخيمائيّة بالطاقة، كشفت في وعي ليزي أن المعاناة لم تكن من شكلها، وإنّما من الأفكار المغلوطة عن ذاتها، الأفكار التي تُبعدها عن الجمال الواحد الأصيل.

أترى كيف أصبح»عدوّ» ليزي اللدود، كأكبر نصير لها في رحلتها الروحيّة؟ فهذا الشخص الذي هاجمها، تحوّل إلى كاشف لرسالتها، ومحفّز لحب الذات. أترى كيف هندست الحياة نفسها لتجذب لليزي الحدث المناسب، لتطهير النفس من زيفها، والاستيقاظ إلى رسالتها؟ أترى كيف من رحم هذا الألم، وُلِدَتِ العناصر الثلاثة من الوعي بمعاناة الذين يبحثون عن الجمال من الخارج، ومعه التعاطف العميق معهم، والشجاعة المطلقة للتغيُّر؟

هذه العناصر الثلاثة هي ليست فقط أحاسيس محفّزة، وإنّما هي حاملة معها معارف باطنيَّة للتغير العبقري، والوصول السريع لقلب الجماهير الجاهزة لسماعك، وبطريقة تعبيرك الفريد عن هذه الرسالة، والتي قد يكون بالكلام، أو الكتابة، أو الرقص، أو الغناء...

فتحويل الألم إلى الرسالة هو خيار، هو الخيار ما بين لعب الضحيّة، أو الشفاء للتمكين والعطاء.

وللتوضيح أريدك أن تتخيّل معي هذا السيناريو، تخيّل أن ليزي لعبت دور الضحيّة لذاك الحدث، وتخيّل أنه بعد مرور ١٠ سنين على هذه الحادثة، وليزي ما زالت تلوم نفس الشخص، وتلوم الرجال على قسوتهم، وتلوم الناس، وتلوم المجتمع... وعندما يسألها الناس ماذا بك، تعانين؟ فهي تشير إلى ذلك الحدث بالماضي، وكيف أنّ الناس أشرار، وكيف وصفوها بالقبيحة، ماذا سيحدث حينها؟

ستذهب من انغلاق إلى انغلاق، وتتحوّل إلى غضب قاتم يأكل أحشاءها، وحقد سوداويّ على الكون والخالق، وفي عمقها الحقد على الذات، وعلى أسوأ الحالات قد يقودها هذا إلى الانتحار.

أترى الاختلاف في الطريقين، نفس الحدث قد يرتقي بك إلى المرحلة القادمة في اللعبة الروحيّة، أو يأخذك إلى معاناة أكبر، هنا يأتي الخيار، فنحن نعيش في لعبة فيها الخيار. هو الخيار لتكرار الألم، أو تحويلها لرسالة، الخيار لخلق أعداء أكثر، أو الإدراك أنَّ العدُوّ الوحيد هو في داخلك، هو ذلك المكان الذي تظنُّ فيه أنّك مفصول عن الحب الواحد، وهذا سرّنا الصغير.

العدُوّ الوحيد هو في داخلك، في المكان الذي تظنّ به أنّك مفصول عن مصدر الحب.

ولكن تريّث ألّا تفسّر المقصد من كلّ الذي ذُكِرَ أنّ عليك التألم لتعيش رسالتك، فهذا قطعًا ليس المقصد، حتى أن الكتاب يدعو لإنهاء هذه الخرافة، وكأنَّ هناك نوعًا من «الفخر» في التألّم، ولكن إن كنت «إنسانًا»، وأظنك كذلك، فأنت لا بُدّ تشرّبت من مُرّ الأنظمة الفكريّة المغلوطة في جسدك، والتي أبعدتك عن حب ذاتك، والتعبير الصادق عنها. هنا تقطن رسالتك، فأنت مرَرْت بألم معيّن، وواجبك كإنسان أن تساهم بتخفيفه عن غيرك، فلو ولدتَ مستنيرًا، بعائلة مستنيرة، ضمن مجتمع مستنير، وفي كوكب مستنير، لا يحتاج إلى قطرة من الشفاء، ويعمل على طاقة الحب الصافي فقط، لا أظن أن روحك ستأتي على الأرض. وإن كانت الحال كذلك، وأنت هنا، فنوع اللعبة الروحيّة التي ستلعبها ستختلف، ومعها قوانين الرسالة.

تذكّر أن الكتاب لا يدعو إلى الألم، وإنّما للتعامل الراقي معه...

وأيضًا لا تفسر ما قيل من قبل، على إجبار نَفْسك لاكتشاف ما تظنُّ أنه أعمق أعماق ألمك؛ لكي تجد الرسالة، فهذا الآخر شكل من الإجبار، وهو نتاج الكُره النفسيّ، وليس حب الذات. فالعمليّة تحتاج إلى الرِّقّة بالتّطوّر في المنظور، والذي قد يَنضج بسرعة أكبر عند الشفاء العاطفيّ العميق، بالسفر الداخليّ إلى أماكن الغضب التي تُسقطها على العامة، لتجد لك

طريقًا خلال طبقات هذا الغضب، وتصل إلى حجرة الألم الرئيسيّة، وتستمتع لها، حتى تفتح لك المساحة لتشربها بالحب.

وبهذه العمليّة الخيميائيّة الدقيقة، سيسلّم الجزء المتألم منك، آلامه وغضبه إلى حضن الحياة، فَيَنْقَى بحب الحياة، وحب الذات.. هما واحد. من هنا سيولد مستوى جديد فيك من الإلهام، مقدّمًا لك الخيار للالتزام فيه أم لا.

للتذكير:

* طريق الرسالة هو طريق السعي خلف نبضك الابتكاري.
* نبضك الابتكاري هو ما يميل له قلبك برقة.
* السعي خلف النبض الابتكاري، هو السعي بخطوة واحدة لما ينجذب له قلبك بصدق.

من جذر ألمك النفسي، يولد مُرَكَّبُ الوَعْي، والتعاطف، والشجاعة

أسئلة للتفكُّر:

إن افترضت أنك تدري ما يجذب قلبك الآن، فما هو؟

هل أنت جاهزٌ للمُضِيّ خطوة واحدة في اتّجاهك؟

ما «الحجة» التي توقفك؟

هل أنت جاهز لتشفيرها؟

ما هو الألم الذي تخاف النظر إليه في داخلك؟

ماذا سيحدث عندما يتحوّل الألم إلى حبٍّ، وحكمة؟

موازنة الإلهام بالالتزام

الإلهام هو صفة النبض الابتكاريّ، تُطرَقُ فيه بوّابات مخيّلتك بلمسة من الأحاسيس الرقيقة التي يَصعُب عليك فهمها، أو تأويلها بالجزء التحليليّ، ولكن الإلهام هو بداية الحكاية فقط، وليست الحكاية كاملة، فلا تتمُّ مسيرتك في رسالتك الفريدة من دون وصل الإلهام بالالتزام. وكأن الالتزام هو الجسر الواصل بين وحي الإلهام، وعالم الفيزيائيّة، بين الباطن والظاهر، فهو الجسر الذي تدشّنه للحياة كتعبير عن احترامك الكامل لإلهاماتها؛ لذلك مهما ارتفعت قدرتك الحدسيّة على التقاط الإلهامات، لا شيء سيغنيك عن الالتزام المستمر بهذا الطريق.

ورغم أن وقع كلمة الالتزام، فيها شيءٌ من الجمود وسلب الحريّة، إلَّا أنها في الحقيقة العكس من ذلك تمامًا، فالالتزام هو طريق الحريّة الكاملة للمضي برحلة القلب، وهذا سرّنا الصغير.

الحريّة المطلقة هي الالتزام المطلق بطريق القلب.

قد تتسارع الأسئلة في نفسك الآن لتقول: ولكن كيف تكون الحريّة بالالتزام؟ وليس الاثنان لهما طرق متناقضة؟ فأحدهما يدعو لفعل ما تشاء، والآخر يجبرك على الالتصاق بشيءٍ واحد، حتى إنْ لم ترغبْ به.

ولكن هذا مفهومنا المبرمج عن الالتزام، ودعنا نصحّح سويًّا «أغلوطة الالتزام» بإرجاعها إلى الأساس الذي استندت عليه، كرافد للحريّة. فالحريّة هي ليست الجلوس على الكرسي، وعدم فعل أيّ شيءٍ، وهي طبعًا لا تمتُّ بصلة للقفز العشوائي بين شيء وآخر، على هوى النزعات العاطفيّة، وبالتأكيد هي ليست العمل على حسب المزاج، ففي هذا اختناقٌ لحريتك، وتقييدٌ لها. أمَّا الحريَّة الأصيلة، فهي مرتبطة حشويًّا بالالتزام الصادق، بتشكيل الحياة التي تُعْشق وتُسْتَحقّ، وليس الحياة التي بُرْمِجْت عليها، من الأنظمة الفكريّة المتحَكِّمة في نفسك.

وفي جوهر الحياة التي تستحق، يتجلّى جوهر الالتزام الكامل بإلهاماتك والتعبير الصادق عنها، وحتى إن لم يتماشَ سعيها مع مزاجك اللحظي، أو صعوبة المهمّة، فالالتزام بإلهامك هو روح الحريّة، وهوعامود الثبات لرؤيتك العظمى. فالحُرّ هو من تحرّر بالتزامه الصادق، وليس مَنْ قَيَّدَ نفسه بحالته المزاجيّة، والحُرّ هو من عمل بالحياة بكلّ قلبه، وليس من سعى للانسحاب منها بالتقاعس والتقاعد، الحُرّ هو من رأى الالتزام من عيون الحريّة، وليس القيد.

وربّما قد أُلصق على الالتزام سمعة القيد المشينة، لما تُلِيَ على مسامعنا عن مفهوم الالتزام، لنَعرِفه كنوع من الإكراه لفعل ما لا نريد، ودراسة ما لا نريد. فنرى الطفل يُسلب من

تعبيره الخالص، وعالمه السِّحريّ الخاصّ، ليُقتاد إلى النظام التعليمي بصورته الفارغة الحالية، فيُكره على «الالتزام» بالمقعد، وبالأوامر التي لا يدري هو ومَنْ يطبّقها ما الفائدة العظمى منها، سوى ما يروى لهم من تهذيب النفس والتربية الصالحة، وهي في الواقع سجن للطفل، وغرس لبرامج الترويض في نفسه لتعوّده على دور»الموظف» المطيع عند الكبر.

ثم نكمل المسرحيّة بإكراه الطفل على دراسة مواد غير فعالة قد لا تحاكي شغفه، ولا تمتّ بِصِلة لأيّ استعمال عملي في حياته، سوى النجاح في داخل النظام التعليمي المبرمج، ونطلق على هذا أيضًا الالتزام. ونسوّق نفس هذا المنهج المغلوط على نظم التفكير المختلفة، فنطلق على من رُوِّض بالتقاليد المجتمعيّة، وغيرها من السجون الفكريّة، بالمُلتزم، وهي بُقعةٌ أخرى نلطّخ بها رداء الالتزام الصادق.

لذلك بقلب الأخ المُحِبّ، سأطلب منك أن تنسف مفهوم الالتزام التقليدي من ذهنك، لتفتح الغطاء له ليُستشف من منظور آخر، من منظور الحريّة الحقّة، فذلك الذي استوى فيه النضوج، ليلتزم بطريق القلب هو الحُرّ، وليس السجين، وذلك الذي حوَّل طاقة الإلهام المتوهجة إلى التزامٍ ثابتٍ هو المُخْلِص الصادق، وليس المتحجّر، وذلك الذي جسّد روح الاستمرارية في عالمه، وإن تلاشت إثارة الإلهام الأوليّة، هو

المحارب المِعْطاء، وليس المُمِلّ المكرِّر. ولقلب ذلك المحارب ترضخ الحياة قائلًا: أنت يا من التزمت بحريّتك، سأرفدك خير الوجود ونشوته، فترى تيّار الثراء يجرفه في سرعة لم يتخيَّلها من قبل.

فالطبيعة لها ذكاؤها المُهَنْدَس، لتُثري من التقط إلهاماتها، والتزم بمشاركتها الصادقة، بإلهامات أكثر وأكثر؛ لأنّ هذا العنصر للطبيعة مضمون الفعالية، فهو قد أظهر التزامه من قبل، وعلى غالب الحال سيُكمل بهذا الالتزام. فعلى سبيل المثال، عندما بدأتُ أشارك الإلهامات التي تزورني بصورة ممنهجة ومستمرّة، بغضّ النظر عن مزاجي اللحظي، هنا أمسى الإلهام صديقي الدائم؛ لأنّه على ثقة كاملة إنه يزور بيتًا مضمونًا، وفيه العطاء أكيد، وفيه نيَّة الالتزام المشاركة راسخة. على عكس حال الذي تتراقص الإلهامات في خياله، ولا تتعدّى حينها حدود الخيال حينها لضعف التزامه، وفي عقر هذا الضعف، ضعف في تمكينه؛ لذلك تمكين الذات هو تمكين الالتزام في الإلهام، وليس التقاعس عنه. وعندما يتزاوج الالتزام برحيق الإلهام، هنا يبدأ نوع آخر من السِحر بالظهور في حياتك.

فالعنصر الأوّل هو التجسيد لطاقة الحياة الذكريّة، وتتجسد فيها صفة التقدم الواثق المستقيم، وغير المكترث بالقيود والأحكام، أمّا العنصر الثاني وهو الإلهام، فهو تجسيد الطاقة

الأنثوية، التي تتلوّى فيها خيالاتك الجميلة، وريعانها الرقيق. وبتزاوج الاثنين بين الالتزام والإلهام، يحصل الاتزان، ويولد طفل الحريّة، هو ذاك الطفل الذي يُحوِّل رحم الإلهام الولّاد، إلى قيمة واضحة للعيان، لتنتفع فيها البشريّة.

فتذكّر ألّا طاقة في الحياة تسمو على طاقة الالتزام الموجَّه بإلهاماتك القلبيّة، فحتى الرسل والحُكماء، الذين لامسوا أعلى درجات الإلهام، والاستيضاح، واليقين، والتنوير، أدركوا أن كلّ هذه المعارف لا قيمة لها، إن لم تتزاوج بالالتزام؛ لذلك ترى صفة الالتزام كالنيشان في رحلة حياتهم، لدرجة أنهم اتهموا أنَّ في التزامهم نوعًا من الصرامة المريبة، الصرامة التي مقتها الناس لسنين طويلة لثباتها وقوَّتها، وعدم تزعزعها مع المقاومة الخارجيّة، الصرامة الذي تسطع من صدرالرسالة الحقة، والإيمان الكامل بقوّتها العليا. وحتى إن تسلّل الشك لصاحب الرسالة، فالشك لا ينتصر على الالتزام، هذا طبعًا إن أمسى الالتزام صادق الوجدان، وخادم للرسالة العليا.

وعندما نتكلّم عن الالتزام الصادق، فنحن لا نتحدث عنه بالصفة التقليديّة، والتي تظهر بالكثير من المواد التحميسيّة بصورة الشاب الذي يصرخ أمام الجميع: أنا لا أستسلم، حتى وإن متُّ. هذا ليس المقصد من الالتزام الذي نعني، فهذا الشكل من الالتزام الحماسي قد لا يخدمك، وحتى قد يعميك

عن محرِّكات سلوكك، هي من نظام الحب، أو الخوف. فلا تخطئ الالتزام الصادق بشكل من التعنُّت المرضي، الذي يفقدك الاتصال بِنِيّتِكَ المحرِّكة، وإرشادك الداخلي، وإنّما دع التزامك الصارم يلين مع انسياب إرشاداتك الحدسيّة، وتغيّراتها.

فأحيانا قد ترى الحِكمة ترشدك إلى التوقف عن فعل شيءٍ معيّن للتوجّه إلى طريق آخر، وهنا عليك الرضوخ؛ لذلك دع التزامك الثابت لَيِّنًا في نفس الوقت، وهو ما يجهل فعله الذهن الازدواجي الذي ينظر إلى أنصاف الحقائق، ولا يقدر على جمع النقائض في نقطة واحدة.

دع التزامك صادقَ المَنْبَتِ، وموجِّهًا لخدمة روح الحياة دائمًا وأبدًا، موجِّهًا للتمكين الشموليّ، ورفعة الإنسانيّة ككلّ، وليس النصر الشخصي فقط. دعه موجِّهًا للإتقان المستمر، وليس المثاليّة، موجِّهًا للابتكار الجميل، وليس الغرور، موجِّهًا لتعزيز الاحترافية، وليس النتائج اللحظيّة. وستبرع تلقائيًّا بهذا، عندما تُنقي التزامك باستمرار، ليشابه نغم الصلاة في وجدانه، وهي عمليّة مستمرّة من الكشف المكرر عن نيّتك، وتنقيتها المستمرّة من الشوائب، وفي عقر هذه الشوائب، الحياد عن حبِّ الذات.

ولك أن تفعل ذلك، بالسؤال المتسمّر عن محرّك سلوكك، فاسأل نفسك بصدق واستمراريّة عن نيتك، اسأل نفسك: لماذا

أفعل ذلك السلوك؟ ولا تفلتر الإجابات بعقلك، ليسمع نظام الخوف فيك ما يهوى سماعه، بالقول: إنّك تفعل ذلك؛ لأنك تريد العطاء أو غيرها، بل انظر إلى حقيقة النيَّة كما هي الآن، وغير ذلك ستعيش على أوهام مضلِّلَة. فمثلًا إن تبرّعت، اسأل نفسك: لماذا أتبرع؟ وإن كانت النيَّة لتكسب رضا الناس وتقبّلها، فتقبّل نيتك كما هي الآن، ولا تقاومها، وبتقبّل المقاومة لها أيضًا، فالكشف وتقبّل المكشوف كما هو، وكما أنت، وكما هي نيّتك الآن من دون أحكام، هم بداية التغيير، لترقى بنيتك بعدها لما يعكس حب الذات، والعطاء الصادق.

وهذا مناقضٌ تمامًا لنظام الخوف الذي يعشق الكذب والتلميع في النيَّة، لتظهر نفسك في عين نفسك
بالإنسان الصالح، وفي واقع الأمر هو غشٌّ للذات، ولا يلقى الغاشّ نفسه إلى المغشوش بالحياة، فتراه يظن كلّ ما يلمع بالخارج ذهبًا. وكيف لك أن تلوم الحياة حينها على خداعه، وهو في منظور نفسه «المخادع»، فهذا قانون وسُنَّة كونيّة.. بأنّك تحصد نتائج الوعي الذي تختاره داخل نفسك، وهذا سرّنا الصغير.

أنت تحصد نتائج الوعي الذي تختاره.

وبالاستيضاح المستمر عن نيّتك المحرِّكة، ستستطيع تقييم نفسك كما هي، لتصعد بعدها تدريجيًّا بمستوى التزاماتك،

وغير ذلك ستصاب بالعمى عمَّا يحركك، لتلتزم برغبات لا تصدر عن حب الذات وتعابيره النقية، وإنّما تنبع من جروحك العاطفيّة. فكم من الأشخاص التزموا النجاح لتعبئة فكرة «أنا مش كفاية»؟ وكم من الأشخاص التزموا الشكل الخارجي الأنيق، للخوف من أحكام الناس عليهم؟ وكم منهم التزم الرياضة اليوميّة، وعلى مدار السنين؟ ليس غرضًا بالصحة المستدامة، وإنّما لزيف البحث الخارجي عن الجمال والثقة بالنفس.

فترى الالتزام للكثيرين خاليًا من عنصر حبّ الذات، وتعابيره الصادقة، ليتحوَّل إلى شكلٍ من الالتزام المَرَضي من دون معرفتهم بذلك. وإن كانت هذه حالك، فالأوْلى حينها أن تشفي نفسك بالكشف، والتقبّل، وتطهير الألم بالحبّ، ثم تعدّل التزامك، بالارتقاء بنيّته المحرِّكة، قبل التقيّد بسجن» الالتزام الواهم»، والذي سيأخذك بعيدًا عن ذاتك.

لذلك، عليك أن تتساءل من داخلك، وباستمرار، عن أفضل اتجاه لتسخير نيتة التزامك؟

مثلًا لك أن تسأل ما هي أفضل وأنقى نيَّة للعب الرياضة بالنسبة لي؟ وما هي أفضل نيَّة للنجاح بالنسبة لي؟ وما هي أفضل نيَّة للتبرّع بالنسبة لي؟ وأعطِ المساحة للإجابة أن تسطع من حِكمتك الداخليّة، فالمفتاح، ألّا تبحث عن إجابات

نموذجيّة، بل تبحث عن اليقين لما هو الأنقي والأقرب لقلبك أنت، وليس العامّة، فنيّتك العليا فريدة كَفَرادَتِك.
فمثلًا لو كنت كحالي، وتسعى لاحترافيّة التواصل، وعبقريّة التحدّث العلني، فاسأل نفسك: ما هو أفضل استعمال لهذه المهارة؟ بالنسبة لي الإجابة واضحة كالكريستال، وهي إيصال رسالتي لأعمق مستوى ممكن للمستمع، وهو مستوى المجال الطاقي وذاكرة الحمض النووي؛ لذلك أنا دائم السعي لتطوير قدراتي الحدسيّة في التواصل، وتفعيل القدرة على اختراق أبعاد المتلقِّي من خلال الكلام المسموع، وغير المسموع بالتخاطر الفكري، والطاقي وراء الكلمات. لا أقول ذلك لإبهارك، بل لأطلعك على دراياتي الكاملة بِنِيّتي العليا لصقل مهارات التواصل عندي، وهكذا أضمن، ولأقصى قدراتي، ألَّا أقع في فخ نظام الخوف، الذي قد يستعمل المهارات الحدسيّة المختلفة لأجنداته الخاصة، والتي قد تحيِّدني عن الالتزام برسالتي. فتذكر أن الالتزام الذي نعني هنا، هو الالتزام الصادق الأصيل، الذي يُعبِّر عن نيتك العليا، فيوجّهك لقبلة رسالتك.
الالتزام الصادق الأصيل، ينبع من فوهة حب الذات وبركانه الابتكاريّ، ومن دون الخوف من حرقة ناره، فلا يأتي الالتزام الصادق ساعيًا للتقبّل الخارجي، كحال المنبثق من جروحك العاطفيّة، أو الأهداف المجتمعية المرسومة وغيرها؛

لذلك اسع للاستيضاح دائمًا وأبدًا عن مصدر التزامك، ومن داخلك، وبصدق، اسعَ للاستيضاح عن النيَّة المحرِّكة لكلّ سلوكياتك، وبصدق، وسنؤكد على كلمة الصدق، ثم الصدق، ثم الصدق.

هذا الصدق لا يدرُس، ولا تُعطَى فيه الدورات، وإنّما هو الرغبة الأصيلة فيك لترى نفسك بعريها كما هي، أم لا.. الرغبة لكشف من يصونها أو يتلاعب فيها أم لا.

سأطلب منك، كصديق، أن تكون صادقا في نيتك، وبذلك ترتقي عن العامة التي تختار بوعي أو من دون أن تغمض عينًا وتفتح عينًا أخرى، لترى أنصاف الحقائق، خوفًا من عدم تقبّل الذات حينها.

تذكر أن العمى الكامل قد يكون أفضل من النصفي، فبالإنصاف ستوهم نفسك أنّك «شخص صالح» وتخلو تمامًا من «مزيج النور والظلام» القابع في كلّ السيكولوجيّات الإنسانيّة. وهذا «الشخص الصالح» ما هو إلّا استرتيجية خبيثة تخدع فيها نفسك، لتبني صورة وهمية ومثالية للخارج، ساعيةً بأجندتها المستورة عنك، لأخذ الحب والتقبّل الخارجي. ونقول خبيثة؛ لأن في عمق هذه الاستراتيجية رفضًا لنفسك وتقزّزًا منها.

لذا، لا مهربَ من الصدق عن مصدر سلوكياتك، ومساعيك والتزاماتك، هذا إن أردت الصحوة الكاملة، وإن اكتشفت أن

نيَّة أحد التزاماتك تخلو من نقاء الذات، فهذه ليست فرصة لجلد الذات، فأنت إنسان، وتفعل أفضل ما تعرف على حسب مستوى وعيك كلّ لحظة. لذلك خذها كفرصة أخرى لإثراء الذات بكشف المستور عنها، وتقبّلها كما هي، ومن ثم التغيير.

فالآن ليس لَدَيّ أية مشكلة بأن أكتشف أن نِيَّتي الحالية لكتابة هذا الكتاب قد انحازت إلى التباهي، أو الشهرة، أو التقبُّل الخارجي، أو أيّ انحيازات أخرى، وإن كانت الحال كذلك سأراها وأحبها وأتقبلها، كتعبير عن نظام الخوف، وذاتك السُفلى ، وسأسعى إلى الاستيضاح والتغيير. فمنْ يَدّعِ «الصلاح» طوال الوقت.. لم ولن يذوق طعم الصلاح والغفران؛ لأنه تعالى عنهم بكِبْرِهِ.

عند الصدق في نيتك، ستتوازى التزاماتك رويًا رويًّا مع نيّتك القلبيّة، فترى مشيئة الكون فيك أصبحت مشيئتك الشخصيّة، فلا تضادّ، وصراعَ بين الاثنين، وهذا مصدر القوّة السِحريّة التي تجهلها العامة، وهي المرحلة الثالثة من مستويات الخيار التي تحدثنا عنها بالسابق. فإن لمست داخلك أكثر وأكثر، ومعها التجذّر بأركان حبِّ الذات، سترى استيضاح نيتك يزيد تلقائيًّا، ومعه نقاء التزاماتك في طريق رسالتك.

وقد تفكر الآن، ولكن ماذا عن الالتزامات التي بدأتها أصلًا، ومن خلال الصدق، واكتشفت أنها لا تعبر عن حقيقتي مطلقًا،

هل أتركها؟ وقد تكون الإجابة نعم، ولكن هذا ليس ما ننصح به بالعادة؛ لأنّك ستتعود بذلك على الانسحاب كلّما اشتدّت الأمور، وهذا من أخطر البرمجيّات الذهنيَّة في حياتك.

فما الحل إذًا؟

للتوضيح سأشارك معك خبرتي في فترة الدكتوراه...

ففي مرحلة معيّنة من الدكتوراه، أحسست أن النظام التعليمي ليس مكاني الحقيقي للتعلم والتطوّر، وخصوصًا أني وقتها كنت أدرب الكثير من الناس، وبدأت بقيادة رسالة « كن أنت»، وأكاديميّتها. كنت أحس في معدتي الفارق بين الاثنين، فواحدٌ يمشي في دهاليز الجامعة التقليديّة لإشباع متطلّباتها الباردة، والتي لم أعد أؤمن بها، وواحدٌ أذوق فيه طعم التغيُّر الحقيقي، وصدق المَسْعى، وبهذا التناقض أحسست بالصراع الداخلي، ومهما حاولت أن «أفبرك» قيمة في ذهني للدكتوراه، كان زيفها ينجلي سريعًا.

فشاركت مدربي وقتها ماذا يجري، وقام بحِكمة، ورفق بإرشادي لبوّابة وضوحي الداخلي، وطلب مني حينها أن اعترف أني لا أحس قيمة للدكتوراه، وهو كان من مخاوفي الكبرى! عندها أيقنت أن الحرية تكمن في الصدق بيني وبين نفسي في نوعية التزامي، وأيضًا عرفت أن الحلَّ ليس بترك الجامعة، بل برفع نوعيّة الالتزام، فقرّرت أن أستخدم الدكتوراه كرابط لرؤيتي الكبرى. فعلت ذلك بتسخيرها

كتدريب صادق على الاستمرارية، والدّقّة، والفعالية، والصّبر، وتنظيم الأفكار ومنهجيّتها، وهذه نفس الصفات التي تطلبها رؤيا الروح مني للنضوج باتجاهها.

وعندها أصبحت الدكتوراه منطقية أكثر في ذهني، ودوافعها أيضًا منطقية، فهي توازت حينها مع رؤيتي واتجاهها، والمضحك أنّي بهذا النقلة الطاقيّة للالتزام، تحوّلت الدكتوراه إلى متعة، وفتحت لي أفاقًا جديدةً، لأقوم من خلالها بمقابلة أكثر القادة المُلْهِمين بالعالم. وكأنَّ اللحظة التي أصبح التزامٌ بالدكتوراه معبّرًا أكثرَ عني، وبالطريقة التي تناسب قلبي، قامت بفتح كنوزها الخاصّة، وهذا سرّنا الصغير.

عندما يصبح التزامك صادقًا، يفتح «المُلتزم به» كنوزه الدفينة.

ولتسيير هذا المَنْحى الفكري للعمليّة، سأطلب منك أن تقوم بهذا التمرين الصغير، لمساعدتك على توجيه التزاماتك باتجاه القلب. التمرين بسيط جِدًّا، وغاية بالفعالية، ويلخِّص بثلاثة أسئلة، كالتالي، وسأطلب منك قراءتهم، وقراءة التوضيح لهم في الأسفل بِتَرَوٍّ:

ما الذي أريد فكّ الالتزام به الآن، وللأبد؟

ما الذي أريد تجديد الالتزام به؟

ما الذي أريد بدء التزام به؟

ببساطة، الأول يقصد ما لا تريد الاستكمال في طريقه، والثاني قد يعني تغيير نيتك وتجديدها، أو تجديد طاقة التزامك، كما فعلت بالدكتوراه. أما الثالث فهو لبدء التزامات جديدة في حياتك، لم تأخذها على عاتقك من قبل.

هذا التمرين سيساعدك على فَكِّ الطاقة المتجمّدة من الالتزامات التي لا تخدم تطوّرك، وتجديد ما يحتاج ذلك، والبدء بالجديد. فكلّ التزام تأخذه على نفسك، هو عقدٌ طاقِيٌّ بينك وبين الكون، ولا ينتهي إلّا بِفَكِّهِ، وعند تجديد نِيّتِهِ بالنقاء سيزيد تمكينه، وعنده تنشئة التزام جديد ستبدأ حلقةٌ طاقِيّةٌ جديدة بينك، وبين الكون.

ولتبدأ التمرين، تَنَفّسْ، وخُذِ الوقتَ لتجيبَ، وبصدقٍ:

سألغي الالتزام الطاقِيّ عن: اخترْ شيئًا واحدًا...

سأجدّد الالتزام الطاقِيّ في: اخترْ شيئًا واحدًا...»حدِّدْ نوعيّة الالتزام الجديد».

سأبدأ التزامًا جديدًا مع: اخترْ شيئًا واحدًا..

ونطلب هنا شيئًا واحدًا بغاية التركيز، ولك أن تكرّر هذا التمرين ما شئت فيما بعد، ولكن احذر من فكِّ الالتزام المتكرِّر، وأنصحك أن لا تفعلها أكثر من مرتين بالسنة، للتقريب؛ لأنّه سيغذي عندك عادة الانسحاب. وإن كانت نوعية الالتزام الذي تريد فكّه يشمل شخصًا آخرَ، كعلاقة مثلًا، فطبعًا حدّثهم قبل أن تزيله.

لذا تأكد من أن فكّ الالتزام هو خادم للحِكمة، وليس التقاعس، واسمح لي بأن أعطيك مثالًا للتوضيح هنا...

كنت أعمل مرة مع إحدى المتدرّبات، ومن خلال الحوار معها عن كيفيّة التقدّم في طريق شغفها، التقطت حدسيًّا أن هناك شيئًا يؤرّقها، أحسسته في معدتي، فسألتها ما بك؟

وبالتعمّق اكتشفنا أن هناك التزامًا أخذتها على نفسها قبل ثلاث سنين، لتنهي شهادة معيّنة في الإدراة، وهي لم تُنْهِهِ أو توقفه، وإنما تركته معلّقًا. فسألتها: هل هذه الشهادة نافعة لك في مسعاك الجديد؟ «في مسعى الشغف الذي تمشين به الآن». كانت الإجابة واضحة :»لا». وعندها سألتها: كيف ستحسين إن أسقطتِّ هذا الالتزام الآن؟ وقبل أن تنطق بحرف واحد ارتخى كتفاها، وتغيّرت كلّ الطاقة المحيطة بها، فقط لأنّها حملت التزامًا لم توفّهِ، ولم تحرّره، وهو ليس بخادم لها الآن؟ لذا نقول إن قرّرت إلغاء الالتزام، فتأكّد أنه من باب الحِكمة.

لم نَخُضْ أكثرَ بالتمرين؛ لأنه أمسى واضحًا، وطريق الالتزام بات محدّدًا. ولكن إن بقيت كلمة الالتزام ثقيلة على مسامعك، حتى مع كلّ هذا التطبيق العملي والتوضيح، فلك أن تستبدلها بكلمة الاستمرارية. فكلّنا نعي في داخلنا أن الشخص المستمرّ، هو الذي يتحسن، ويتطور مع الوقت. فمع الاستمرارية تتشذّب قدراتك، وتنجذب إليك الفرص أكثر،

وأكثر، وكيف لا؟ والعنصر المستمر لم يَدَعْ من الملل، أو الحجج سبيلًا لإعاقة استمراريته، حتى إن كان «يظن» أنه بطيء التعلم.

فبطيء التعلم، سيتعلم، وإن أخذه الوقت أكثر، وبهذا سيتغلب على سريع التعلم، الذي ينسحب بعد فترة. ألا تذكر قصة السلحفاة التي استمرت في السير، لتسبق الأرنب السريع الذي توقف بعد فترة؟

الاستمرارية هي من أكثر التحدِّيات العاطفيّة التي ستواجهك في طريق رسالتك، فالعمل المستمر ليس بالسهل، وخصوصًا أن الحياة تعمل بفصول مختلفة، ويحكمها قانون الإيقاع الكوني، فترى الإلهام والشغف يصعد فيك، وينطفئ بموجات. فالمستمر الحق هو من عمل مع قانون الإيقاع، وتقلبات المزاج، ولكن تعالى عنها أيضًا!

لذلك الاستمرارية هي مفتاح النجاح الأصيل، وهي ذلك العنصر السِّرِّي الذي إن تخلَّيتَ عنه، تخلَّت عنك أحلامك، والنجاحات التي تنتظرك، وخصوصًا في الوقت الحاضر. فالآن، بزحام المعلومات، وبوجود التكنولوجيا التي سهَّلتْ مشاركة المحتوى والمنتجات، لا «يَعلَق» في ذهن الجماهير إلَّا المستمر. فمن دون الاستمرارية، ستنسى، ولن يُرى لأثرك النور، فمن اعتمد فلسفة الضربة الواحدة للنجاح، وإن

حصلت، سينساه الناس سريعًا، وستبدأ رسالته بالتبخُّر تدريجيًّا.
هذا ليس التحدِّي الوحيد في وجه الاستمرارية، فقد تُفاجأ أيضًا أنه في بداية مشاركتك للمحتوى لن تشتمّ رائحة النجاح الخارجي، وقد تكون القلة القليلة من الناس تهتم لرسالتك، حتى إن كانت فيها عمق وقوّة، وهنا يرقد اختبار الاستمرارية. إني أذكر خير الذكرى، عند بدأت مشاركة أفكاري من خلال الفيديوهات الممنهجة، حيث كنت ظانًّا أن الناس ستُذْهل لقوّتها، ولكني فوجئت بأن القليل جِدًّا من الناس يشاهدونها. فكانت الفيديوهات حرفيّا تُشاهد بعشرات معدودة، وأمّا الفتاة التي تضع صورة «المانيكير»، أو طلاء أظافرها الجديد، تُشاهَد مئات الآف من المرات، ألا تظن أن هذا أحبطني «قليلًا» وقتها؟ ولكن ما دفعني للاستمرارية، هو يقيني الداخلي بقوّة الاستمرارية.
لذلك استمررت أسبوعًا بعد أسبوع. نعم أسبوعًا بعد أسبوع، ومن دون أي استثناء، استمررت بتصوير الفيديوهات، وغيرها من المواد، وبغضِّ النظر عن عدد المشاهدات أو مزاجي، وهنا السِّرّ، أسبوع بعد أسبوع لم أعطِ مساحة للنقاش بالاستمرارية. استمررت في الصيف والثلج، واستمررت في وقت تقديم رسالة الدكتوراه، واستمررت عندما تُوُفِّيَ عمّي.
أسبوعًا بعد أسبوع...

بهذا ازدادت مهارتي تدريجيًّا، ومعها اتضحت رسالتي، وكيفيّة إيصالها للعامة، ومعها نوعيّة الناس الذين ينجذبون لها. ومع مرور الوقت زادت المشاهدات لتصل إلى مئات الآلاف أسبوعيّا، بل الملايين أحيانًا من المتابعين المخلصين لهذه الرسالة، رسالة (كن أنت).

وليس المقصد هنا أن الاستمرارية تضمن المتابعة، وإن كان في هذا شيءٌ من الحقيقة، ولكن المقصد أن الذي يبقى في اللعبة أطول وقت ممكن، وبنيَّة صادقة للعطاء، هو الذي سينتصر. فهذا الشخص باقٍ في اللعبة وتغيّراتها، حتى إن خلت من إثارة الإلهام الأولي.

فاللحظة التي يضربك الإلهام، سيتوهَّج كيانك بطاقة الإثارة، إثارة الإلهام الأولي، ومن السهولة أن تتبعه حينها، فغالب الناس تفعل ذلك، ولكن بعد فترة سترى الإثارة تنحدر، وهنا عادة ما يقوم عامة الناس بالاستسلام، أو الأسوأ يحولون العمل إلى شكل مزاجي على وجود الإلهام من عدمه. فترى الشخص يعمل على أهوائه وأحاسيسه الخاصّة، ولكن هذا طبع الهاوي، ولا يمكن للهاوي أن يلامس احترافية المخلص، الذي وهب نفسه لرسالةٍ حقّة.

فلماذ تلتزم الحياة برسالتك، إن كنت نفسك غير آبهٍ بالالتزام بها؟

وهذه مشكلة أراها خاصة بين الكُتّاب، والفنانين، والمبتكرين عامّة، فتراهم يُلهَمون بفكرة أولية، ويبدؤون بالتطبيق السريع، ثم عند فتور شحنة الطاقة الأساسيّة التي تأتي مع الإلهام، يبدأ العمل بالانحدار على حسب المزاج. فإن «أحس» الكتابة كتب، وإن أحس الرسم رَسَمْ، وهكذا يبقى المبتكر على طابور الانتظار، منتظرًا جنّي الإلهام ليظهر، وهذا ما يعرف «بالانقباض الابتكاريّ» أو «Writer›s block». هو يحدث لأنه قد نسي أن الإلهام يُغذَّى بالاستمرارية، وليس العكس، وهذا سرّنا الصغير.

الاستمرارية هي من تُشعِل الإلهام، وليس العكس.

فعلى سبيل المثال عندما أتى إلهام هذا الكتاب، والتزمتُ بكتابته، في كثير من الأيام لم أحسّ بالكتابة، أو لم يكن التدفّق موجودًا قبل الكتابة، ولكن هذا ليس مُهِمًّا، فالإحساس هنا ثانوي، مقارنة بالالتزام الكامل للكتابة كلّ يوم صباحًا، حتى لو جلست أمام اللاب توب ولم أكتب شيئًا، فهذا جزء من الاستمرارية. وفي لغة الحياة، تعتبر الاستمرارية صلاة التقديس للعنصر الابتكاريّ في داخلك، فكأنّك تقول له وباللغة التي يفهمها، أنا

أقدسك وأحترمك وأبجّلك، وبهذا سيتطوَّر النبض الابتكاريّ، ليأخذك من نقطة إلى بعدها، وبعدها، وبعدها.

ولا نعني هنا ألَّا تحترم أحاسيسك، ولكن ألَّا تضع أحاسيسك، ومزاجك على درجة تعلو من الاستمرارية، فهذا الطريق الأسرع للتدمير، نعم الطريق الأسرع للتدمير.

فالأحاسيس هي نِتَاج الأفكار كما أوضحنا، والأفكار متغيّرة، وعندما تمشي في طريق رسالتك الخاصّة، فأنت بكلّ خطوة للأمام تبعد أكثر، وأكثر عن مساحة الراحة، فترى المقاومة الفكريّة تُفَعَّلُ فيك، ومعها أحاسيس الرغبة بالرجوع والتوقف. ولكن إن التزمت بخطواتٍ صغيرةٍ ويوميّة، سترى هذه المقاومة تَشفي نفسها بنفسها، وترضخ على ركبها أمام مهابة الاستمرارية.

لذلك الاستمرارية التي ننشد منك، هي خطوات صغيرة مستمرة، تشابه خطى الطفل. وإن بنيت هذه العادة، وأرجعتَ الاستمرارية إلى مكانها الأصلي، كسيّد على الأحاسيس، والمزاج اللحظي، وليس عبدًا لها، سترى حياتك تتسع إلى الثراء. فقد نقول بالعمومية هنا، إن هناك نوعين من الناس، الأول: المستمر بنبضه الابتكاريّ، والذي يلمس رؤيته الصادقة، ويسعى بالالتزام بها، ومن دون كللٍ، أو مللٍ أو تردّد، وإن أصابه الكلل، والملل، والتردّد على السطح، وهناك الآخر، الذي يجري هنا وهناك، من دون الالتزام برؤيته، أو حتى السعي لاستيضاحها. هذا الأخير تميل سفنه

لخدمة الأول، تميل لواضح البصيرة والمستمر في عطائه، فالأول هو القائد في طاقته، والآخر هوالتابع طاقيًّا.

وهناك حادثة معيّنة حصلت معي توضح المقصد من هذا...

في فترة معيّنة بدأت في تصوير سلسلة أسبوعية من الفيديوهات الإنجليزية أسميتها «الحِكمة العمليّة»، وحينها التزمت بأن أصور مرة بالأسبوع كما أوضحت، ولم يكن في ذلك الالتزام مساحة للنقاش، فكنت أقوم كلّ جمعة بعد التأمّل الصباحي بالتصوير. أقوم بذلك بنيَّة واضحة المعالم، وفي قلبها العشق للتغيير، بهدف رفعة الوعي الجَمْعي من الخوف إلى الحب. طبعًا كان ذهني يأتي بكلّ الأسباب «المنطقية» لعدم التصوير: فأنت لست مُجيدًا للإنجليزية، أو أني لا أحسُّ التصوير اليوم، فالأجواء باردة في إسكتلندا والأفضل أن أبقى تحت اللحاف، وغيرها من البدع. كنت أدع ذهني يثرثر، بينما أحضر الكاميرا، وأثبت الإضاءة، فتراني آخذ فعلًا تقديمِيًّا من دون الالتفات إلى ذلك الحوار الداخلي؛ لأني أعي أنني إن انتظرت الحوار لينتهي، لن ينتهي أبدًا.

وبهذه القوّة الصادقة من الالتزام الصادق، بدأت ألاحظ كيف يدعم الكون هذا الالتزام، وبصورة غريبة جِدًّا! مثلًا: مرة أتى الشخص الذي يحمل «الديليفيري Delivery»، ورنَّ على الجرس «تمامًا» في اللحظة التي أنهيت فيها التصوير. قد تقول هذه صدفة، ولكني لوعيي بقانون السبب والنتيجة أدري

أن الصدف هي خرافة ذهنية. فقد أجزم الآن أن الالتزام بعث رسالة طاقيّة صارمة على مستوى العقل الباطن للآخرين؛ لكي لا يزعجوني حتى انتهاء التدفق الكلامي.

فمن يدري ما حصل مع صاحب الدليفيري؟ فمن الممكن أنه أوقع مفتاحه قبل الضغط على الجرس بلحظات! هذا ما عنيت عندما قلت: الواضح البصير، والملتزم الحق، يحرك البقية لخدمة رسالته، وهذا أحد قوانين الكون الخيميائية. فالبعد الأعلى يطغى على البعد الأصغر، أو الطاقة العليا تطغى على الطاقة الصغرى، وكما اتّضح من قبل، لا قوّة تطغى على وضوح الرؤية وقوّة الالتزام بها.

ومن الفوائد الأخرى للالتزام الصادق المستمر، أنه سيحرّر ذهنك من النقاشات المتكرّرة: «أَعملو ولّا ما أَعملو؟» فهنا كلمتك أصبحت قَسَمًا، والتزامك غير راضخ للجدال، وإن استمرَّ صوت الخوف فيك بالجدال. فالالتزام هو وسيلة أخرى لاحتراف الذهن، وسلب نظام الخوف قوّته.

ولكن « وهذا تنويه مُهِمٌّ جِدًّا»، فبالرغم مِمّا ذُكِرَ، فلا تحوّل التزامك إلى قسوة أبدًا، فالتعاطف مع الذات هو ركيزة الالتزام بحقيقتك. فإن لم تلتزم اليوم، فهذه ليست بالكارثة وتَحدُث معنا كلّنا، وغدًا يوم جديد، وفيه فرصة جديدة لتجديد الالتزام، والاستمرارية. فكما الالتزام فيه قوّة رهيبة، فالتعاطف مع ذاتك فيه قوّة رهيبة أيضًا، وبالنهاية نحن بشر،

ولسنا ماكينات! وحتى الأبحاث في علوم الأداء، ومنها التي أجرتها «براندون برشاد Brendon Burchard »، إحدى أعظم الباحثين في قمّة الأداء، قد أثبتت أن الأداء «العالي والمستدام»، مقترن كلّ الاقتران بالتعاطف مع النفس، وليس القسوة عليها، وهذا ينهي خرافة الجهد المُضْنِي، وجلد النفس كأسلوب للأداء العالي، ويقدم التعاطف مع النفس كمحفِّزٍ لرؤيا الروح.

للتذكير:

* الحرية المطلقة مرتبطة حشوِيًّا بالالتزام المطلق في رسالتك.
* موازنة الإلهام بالالتزام هي الصفة الرئيسية لأصحاب الرسالة والمغيّرين.
* صورة «الشخص الصالح» في ذهنك، قد تعميك عن التمحص الصادق في نواياك.
* الاستمرارية هي مفتاح النجاح في عصر التكنولوجيا الذي نعيشه الآن.
* كل التزام هو عقدٌ طاقِيٌّ بينك، وبين الكون.

أسئلة للتفكر:

ماذا سيحدث إن احترمت، وقدَّسْتَ كلمة الالتزام؟

هل ترى نفسك كشخص ملتزم؟

لماذا لا؟

هل أنت قادر على رَمْيِ هذه القصة الذهنية؟

ما الذي «تعرف» في قلبك إنك لو التزمت به سترتقي في نفسك، وحياتك؟

هل أنت جاهز أن تعيد الالتزام به الآن؟

رؤيا الروح

عندما ننظر إلى الرؤيا عادة ما يتمُّ مناقشتها من مفهوم بدائي لا يتوافق مع زمن الصحوة، وسرعة التغيُّر التي نعيشها الآن. فعهدنا مناقشة الرؤيا بصيغة تقليديّة من خلال تدريبات مملّة، ورتيبة، تنحصر فيها الرؤيا على تحديد مجموعة من الأهداف الباردة و»الواقعية»، وشخصيًّا لا أدري أين الإلهام في ذلك؟ أو حتى لماذا نقدّس كلمة الواقعيّة، وما الواقع إلَّا «تجربتك الفكريّة». بهذا المضمون الكلاسيكي للرؤية قد تحوَّلتْ إلى محدّد فكري آخر، وقاتل للإبداع، والمفاجآت، والتنوير الجَمْعِيّ.

فما الحل لذلك؟ هل بِرَمْيِ الرؤيا، والتخلّص من هذا المفهوم كلّيًّا؟ قد يكون هذا أحد الحلول المرحلية، والذي قد يكون ناجعًا في فترة معيّنة من حياتك، للمساهمة في فتح عوالم جديدة في نفسك، ولكن سنقترح هنا أسلوبًا بديلًا، لترجع الرؤيا إلى فضاء الروح التي يفترض أن تنبثق منه. نتكلّم هنا عن أسلوب آخر «الرؤيا»...

الرؤيا، كرافد لحلمك، ورسالتك، وانفتاحك الذهني، وبنفس الوقت لتركيز طاقتك في اتّجاه معيّن، بدل العشوائيّة في المنحى.

فالرؤيا التي نعني هنا، هي نوع من العلاقة، والانسجام بين داخلك وخارجك، الانسجام الذي تقصُّه بين قلبك، وأركان الحياة المختلفة، لتتحول فيها رؤيتك إلى «حُلم مُهندس» لك وللإنسانيَّة ككلّ. حلم يتوازى مع ما ترغب حقًّا، وفي كلّ أنظمة حياتك، وليس ما قيل لك أن ترغب، فالرؤيا التي نعني هنا هي نظام حياة كامل، هو نظام الروح، وهندسته الفريدة.

بهذا المستوى الراقي من التفكير في الرؤيا، ستتحول الرؤيا إلى «المهندس» الرئيسي داخل ذهنك وقلبك. هي الهندسة الفريدة لأركان حياتك المختلفة، وباستخدام تفكيرك المستقل، ومن خلال حقيقتك الذاتية، وليس من خلال «كودات التفكير الجَمْعِي»، والتي تحْكُمك بمعنى النجاح في الصحة، والصداقة، والعمل، والمال، والعطاء، وغيرها.

فالنداء هنا، هو نداء حريّة مطلقة، الحريّة الخالصة لخلق أنظمتك الخاصّة، فما النظام إلّا تجسيد لأفكارك الذهنية، لتعمل بعدها كوحدة مستقلة في الخارج. فالنظام هو وحدة فكريّة مستقلة، تقوم بالتكرار، والتحديث لعمليات فكريّة معيّنة، بهدف توفير الطاقة، وتحرير الذهن من الحاجة إلى إعادة التفكير، وهذا سِرُّنا الصغير.

النظام هو وحدة فكريّة مستقلة، لتحرير الذهن من التفكير المكرّر.

فلنأخذ المال على سبيل المثال، فعند تشكيل نظام شخصي لإدارة المال، فهذا النظام يعمل على توفير الطاقة بتقليص تفكيرك في كيفيّة إدارة المال كلّ مرة، ومن خلال تنظيم الحركة المالية إلى مداخل ومخارج معيّنة، وهذا المبدأ نفسه يطبّق على مستوى شركة تدير المليارات، ولكنها ستستخدم حينها برامج حاسوبية معقّدة، وفرقًا عاملة لتدوير النظام. لكن بالعمق الإثنان واحد، وباحجام مختلفة، فالاثنان نظامان هادفان لتوفير الطاقة.

فواحدة ممَّا جعل الإنسان أكثر المخلوقات سيطرة على الأرض، هو قدرته الرهيبة على خلق الأنظمة المختلفة. ومن أعقد الأنظمة التي احترف تشكيلها الإنسان، هي الأنظمة المجتمعية، وفي أساسها كودات فكريّة مبرمجة لتحديد طرق التبادل، والتواصل، والتطور، ومن هنا خلقت المدن، والحضارات.

ولكن تذكرأن كلّ هذه الأنظمة تعمل تحت مظلة واحدة، وهي المظلة الفكرية ، فكلّها بأساسها أفكار. فأنظمة المجتمع، والمدن، والحضارات وحتى المال بدأت كلّها كأفكار ذهنيَّة، حتى أصبحنا نراها كنظم حقيقية في الخارج، ولها كيانها الخاص. وكأن النظام يتحول مع الوقت إلى عقل خارجي، ليبدأ بتحديث نفسه، والدفاع عن وجوده، وسنذكّرك مرة أخرى؛ كي لا تنسى أنه مهما تعقّد النظام، فهو لا يتعدّى

مستوى الأفكار. فمثلًا لو نظرت على نظام المال أمامك، ومن دون «فكرة المال» ستراه كورقة، ولو نظرت على الورقة من دون «نظام اللغة» الذي أطلق عليها اسم «الورقة»، ستراها كما هي» طاقة»!

فوراء كلّ الأفكار، تستنبط الحياة كما هي: كطاقة ابتكارية واحدة، وفي صلبها خامة الفكر، وهي خامة الأنظمة كافّة.

نقول هذا لنرتقي بمستوى تمكينك، لتوقن ألّا شيء في الكون يُشكل من خارج ذهنك، فحتى المال، والمجتمعات، والبلاد أجمع، تتشكّل من داخلك، فكلّ هذه الأنظمة تستخدم ذهنك لتشكيل وجودها، فكلّها كودات فكريّة مخزَّنة في عقلك الباطن الآن، وتفعَّل كلّ لحظة لتكرار بقائها، كلّها أفكار.

ولك أن تتوقف الآن، وتتنفّس، وتقرّر أن تبدأ بتشكيل أنظمتك الخاصّة عن المال والعمل والتعليم، والعلاقات وغيرها. وبهذا ستستذكر حقك الشرعي لتشيكل حياة فريدة، بأنظمة فكريّة فريدة، أنظمة تتماشى مع قلبك، وليس الأفكار المبرمجة بالوعي الجمعي.

لأنّه بالنهاية الذين شكَّلوا الأنظمة الموجودة الآن، ليسوا أذكى منك، وقد لا تكون نيتهم خدمتك، بل على العكس تمامًا قد تكون لاستعبادك! فغالب الأنظمة الحالية تعمل كخادم للمصالح الشخصيّة متماشية مع أسلوب الهرمية في التسلسل، وفيها الأسفل خادمٌ للأعلى؛ لذا لا تظنّ واهمًا أنّ الأنظمة

الحالية هي لمصلحتك، فغالب الأنظمة الموجودة الآن بُنِيَتْ من نظام الخوف، وما بُنِيَ من خوف لا يمكن أن يكون رافدًا لتطوّرك وتطوّر الإنسانيّة ككلّ، وإنّما هو حامٍ لأجندته الخاصّة، والتي أنت لست جزءًا منها.

ولا نعني هنا أن المشكلة في مفهوم النظام نفسه، بل بنوعيّة التفكير الذي شكَّلَهُ، فإن كان النظام مغذًّى من فكر متناغم مع الروح أصبح خادمًا للحب والوحدة، وإن حاد عن ذلك فهو أصبح وحشًا كاسرًا، يُسكِت جوعه المستمر بالتغذِّي على جهلك الضمني بقوّتك الابتكاريّة.

تذكّر أنه هذا ليس نداءً للعب دور الضحيّة، بل نداءً للحريّة، لتقوم بتشكيل أنظمتك الخاصة؛ لأنّه كما قلنا، وسنقول كلّ الأنظمة بأساسها أفكار، ولك أن تختار نوعيّة جديدة من الأفكار، ومعها أنظمة حياة جديدة، تُجسد منها معانِيَ جديدة في العمل والصحة والعلاقات، أو كما قالها ببراعة «ستيف جوبز Steve Jobs» : « الحياة تصبح متقدمة أكثر عندما تكتشف حقيقة واحدة بسيطة.. أن كلّ شيء في الخارج، والذي تطلق عليه اسم الحياة، هو نتيجة تفكير أشخاص ليسوا أذكى منك، وتستطيع أن تغيره»، نعم تستطيع أن تغيّره؛ لأن عنصر التكوين الابتكاريّ هو عنصر لا محدود، ومتاح بداخلك الآن، فهذا ميراثك الكوني الذي لا يمكن أن يسلب

منك؛ لذا استخدم هذا الميراث بحِكمة لتشكيل أنظمة ثورية، وتقدُّمية تتوازى مع قلبك، وقلب الإنسانيّة الواحد.

لهذا الغرض بالذات، بدأ الكتاب بعمليّة إيضاح شمولي لعمليّة التغيير بإرجاعها إلى أصلها الحقيقي، كعمليّة داخليّة باقتدار، مفسِّرًا بذلك طريقة عمل الذهن، وكيف أنه يسلك نظامين محركين: الحب أو الخوف. هذا الإيضاح الجذري سعى أن يكشف لك الآن، أنّ كلّ الأنظمة الخارجيّة تعمل بأحد هذين الاتّجاهين، إمّا الحب أو الخوف، وبينهما يسكن النطاق الفكري كاملًا، فإحداهما ممتلئ بحسِّ الحب والرسالة، والآخر فاقدٌ لها.

وللأسف، الأنظمة التي شكّلَتها الإنسانيّة حتى الآن بعيدة كلّ البعد عن نظام الحب، نظام الواحد، والمشمول فيه طاقة الحبّ التقدّمي؛ لذلك نرى نظام التعليم يجهلك بذاتك، ونظام العمل يستعبدك بطريقة عمل رتيبة، وأوقات جموديّة، ونظام العدالة يزيد المجرمين إجرامًا بتمكين صورة المجرم في داخلهم، وغيرها.

وواحدة من غايات الكتاب الرئيسية، هي السعي لتغيير الأنظمة الحالية، بتغيير النظام الأساسي المُشكّل لها، وهي: السيكولوجية الإنسانيّة، بإرجاعها إلى تعبير الحب والوحدة والرسالة، وعندها سيصبح تغيير الأنظمة الخارجيّة تلقائيَّ الحدوث لنشهد سويًّا بَعدها رؤية جديدة كُلِّيًا لعالم جديد.

فتخيّل عالمًا فيه نظام التعليم يتحول من التبجيل المغلوط للجزء التحليلي، إلى رفعة الحدس والتعبير الفريد عن الذات، وتخيّل «السجون» ليست مكانًا للعقاب، وإنّما «مساحة للشفاء»، والتطوّر في حبّ الذات. وتخيّل النظام المالي يتسامى عن تصنيع القيمة الوهميّة، بغرض الكسب العشوائي، إلى وضوح الرسالة، وحِكمة التبادل في روح العدالة القلبيّة. وتخيّل نظام الصحة يرتقي عن ثقافة التخدير للألم، إلى فهم الرسالة

التي يريد إيصالها الألم، وتخيّل أيضًا أن هذا النظام يغطس أعمق من منظور الفيزيائيّة البحتة في تشخيص المرض، إلى البحث الشمولي فيه، وعلى كلّ المستويات، الروحيّة والعاطفيّة والذهنيَّة والجسديّة. وتخيّل نظام العمل يرتقي عن «الروبوتيه في الأداء»، وخدمة المصالح الشخصيّة، ليتحول إلى شكل من العبادة في العطاء، ونهج لرفع الوعي الجَمْعِيّ. وتخيّل نظام القيادة يرتقي من السيطرة، وصناعة التابعين، إلى خلق الفضاء الآمن للأشخاص ليزهر من قلبهم القائد الداخلي، وفي هذا ضمنيَّة التمكين والإبداع والفَرادة.

وتخيّل العلاقات الحميمة، ترتقي من مفهومها التقليدي، بانتظار فارس أو فارسة الأحلام لتعطيك السعادة الأبدية، للنظر إلى العلاقات الغرامية كوسيلة للتطور، وتعرية الذات. وتخيَّل نظام التربية يرتقي عن حاجة السيطرة، والتملّك،

ورَمْيِ الأوامر المكرَّرة على الأبناء، باستخدام كافة أشكال التلاعب العاطفي من الرضا المغلوط وغيرها، إلى التربية الصادقة، عن طريق ضرب المثال المُلهِم للأبناء في حب الذات، والشفاء العاطفي، والتمكين، والاستقلالية الطاقيّة، نظام يتحوّل فيه المُربّون إلى تلاميذ مع أبنائهم للارتقاء بمستوى وعيهم الشخصي، وبذلك العائلة ككل، وتخيّل. وتخيّل. وتخيّل...

أهمية هذه الخيالات تتعدّى مساحة الحلم فقط، إلى مسألة وجوديّة بحتة، وفيها بقاء الجنس الإنساني على المَحَكّ، فالأنظمة القديمة قد استهلكت نفسها، واستهلكت الإنسانيّة، بسبب فقدانها الاتصال بحِكمة القلب لتفوح من هذه الأنظمة كلِّ الروائح الكريهة، وتتابع فيها الأخطاء الفادحة، التي قد تعدَّتْ كلَّ الحدود، وخصوصًا بسبب التطور التكنولوجي السريع في الوقت الحالي. في هذه الأخطاء المتتالية خطورة مهدّدة للبقاء الإنساني، ليس لأن المشكلة بسرعة التطورالتكنولوجي بحَدِّ ذاتها، بل بسيكولوجية الإنسان المريضة بالخوف، والجشع، والجهل.

لذلك نرى الأنظمة الحالية تأكل من نفسها، وتثقل كتف الإنسانيّة بجراثيم التعقيد والطمع الجائر، لتلوث بيوتنا ومجتماعتنا، وتلوث الهواء، والماء، والسماء أيضًا، ونظام الأرض المتّزن لا يسمح لأيِّ جنسٍ مهما ارتقت مكانته أن

يستهلكها. وإن كانت روح الأرض مُحبّة وصبورة، فهناك تصبح التضحية واجبة، وباتّجاه الأهم، والأهم هو الأرض، وبقاؤها، ولا نقول هذا لإخافتك، بل لإيضاح الضرورة القصوى لتغيير الأنظمة الحالية، والتغيير يبدأ من داخلك الآن، من رؤيتك القلبية، وهذا سرٌّنا الصغير.

تغيير الأنظمة الحالية يبدأ من داخلك الآن.

هذا ببساطة ما نحاول إيصاله هنا، أنّ تغيير الأنظمة يبدأ من داخلك الآن، وأمّا الاعتماد على النظم الحالية، ستبقيك أسيرًا في مُكبّلاتها. الجميل أن القوّة بيدك الآن، لتشكيل أنظمة راقية تعمل من قلب الوحدة في داخلك، أنظمة تسري سريان الأفكار المتناغمة، وباتّجاه الحب والتوحيد، وليس الأحكام والتقييد. هذه النقلة ليست بالصعبة؛ لأن الأفكار عنصر طليق، ومتغيّر، وله القدرة على التشكيل، والتغيير، والتحويل بالطريقة التي ترغبها، فاستعمل الأفكار بحِكمةٍ وتأنٍّ لخلق أنظمتك الخاصّة، من «رؤية روحك» الخاصة.

وهذه الرؤية الروحيّة ستحول مفهوم الرؤية عندك، من بضعة أهداف شخصيّة، إلى رؤية شمولية، يستحدث فيها أنظمة جميلة، وتقدّمية لك، وللإنسانيَّة كافّة.

أكاد أجزم أن السؤال العالق في ذهنك الآن هو: كيف لي أن أبدأ بتشكيل رؤية الروح الآن، وفيها أنظمتها الفريدة؟

البدايةِ تستند إلى مدى عمُق فَهمك بأنّك المشكِّل لواقعك، ومعه أنظمة الحياة كافة، ولا نتكلّم هنا عن الفهم الذهني لهذه الحقيقة فقط، بل الفهم المتغلغل بكلّ خلاياك، لترى نفسك كالمشكِّل لواقعك فعلًا، وترى أن الواقع هو خبرة تستحدث من داخل ذهنك فقط، وكذلك أنظمته المحرِّكة. بتعمق هذا الفهم، وهي عمليّة مستمرّة من التمكين، تصبح قدرتك على هندسة أنظمة حياتك بالبسيطة جدًّا، بل تصبح كنوع من اللعب الممتع.

تيقن من أنّ مصدر الاستضعاف الإنساني هو واحد، وهو عدم إيقانك الكامل بأنك المسبّب لنتائجك، وهو خلل جذري بفهم قانون السبب والنتيجة. فقد تكون «عارفًا» لهذا القانون، ولكن على مستوى الذهن التحليلي فقط، ومن دون موافقة العقل الباطن عليه؛ لذلك يبقى قانون السبب والنتيجة رهنَ «الفكرة الممتعة» لك، وليس الحقيقية التي تعيش بها حياتك.

فإن سعيت للفهم الكامل لقانون السبب والنتيجة، فهذا يحتاج إلى الغَرْزِ اليومي لهذا القانون في نفسك، مع تخفيف المقاومة له من عقلك الباطن، بالبحث والتمحّص الدقيق، لتكتشف فعلًا، ومن دون جدال أنك المسبّب لكل تجلّيات حياتك. فكل مقاومةٍ «لحقيقية» أنك المشكّل لواقعك، ستتحول إلى مساحة للعب دور الضحية والاستضعاف من جهتك، وبالتالي لن

تقدر على تشكيل رؤيتك، فإن كان واقعك ليس له علاقة بك، فكيف تكون رؤيتك؟

وسنفترض هنا أن هذا المفهوم قد غُرِز في داخل عقل الباطن لحدٍّ معيّن، وبدأتَ الفهم بأنك المشكّل لواقعك، وخصوصًا بعد كلِّ ما قيل بالوحدات السابقة؛ لذلك لن نطيل الحوار عن قانون السبب والنتيجة، وسنغوص سويًّا بكيفيّة تشكيل رؤيا الروح. ولكن لن نخوض هنا بكافة الحيثيات لكيفية فعل ذلك بتقسيم رؤيتك إلى أركان ونُظمٍ محدّدة، وهندسة التفاصيل الملهمة لكلّ ركن؛ لأن هذا سيحتاج إلى كتاب آخر، ولكن سنقدّم لك هنا بداية الطريق.

وبداية الطريق تبدأ بمفهوم بسيط جِدًّا، ولكن غاية في العمق والفاعلية، ليفتح بصيرتك القلبيّة لمستوى جديد من هندسة الرؤية.

هذا المفهوم أدرِّسه للمتدربين، وأطلق عليه اسم «عجلة التناغم».

«عجلة التناغم» هو اسم أطلقتُه على الدوائر الثلاثة التي تراها هنا، والتي يعملون سويّا لإيضاح رؤيتك الشموليّة، قبل الغوص بتفاصيلها. فإن كان في هذه العجلة تناغم وتوافق، سارت عجلة حياتك بتدفق رهيب، ومعها أنظمتها المهندسة، وإن اكتظّت العجلة بشحمة التسوّس الفكري بسبب البعد عن تيّار القلب، بطَّأ تدفق العجلة.

كما ترى في الصورة، فالعجلة فيها أبعاد ثلاثة أساسية، تمزج رسالتك، بتعابيرك الخاصّة، وبالقيمة النهائية التي ستقدِّمها للعامة، وكلّ من هذه الأبعاد قد تمَّ توضيحها بوحدات الكتاب السابقة بطريقة أو بأخرى، وهنا ستجتمع هذه المفاهيم سويًّا، لنوضحها من خلال عجلة التناغم، حتى تستوي في رأسك، وقلبك الصورة الكبرى.

في الدائرة الأولى، يسكن البُعْدُ الأول، وهو أكثر الأبعاد سِتْرًا للناظر، وهو بعد الرسالة. هنا تتخمّر رسالتك الخاصّة، ويتجلّى منها حلمك ومهمتك. هنا تتبلور طاقة التكوين كاملة، لينطق نبضك الابتكاري منها بهيبته الشامخة، وإرشاداته الصامتة، في هذا البعد يحصل الالتقاء الداخلي مع سبب مجيئك إلى كوكب الأرض، هذا إن حصل طبعًا! فترى طاقة الفرادة، والتكوين تولد من هذا الالتقاء، لتتَّضح تفاصيل رؤيتك وأنظمتها، وأهدافها، وكيفيّة تحقيقها.

قد نقول إن بُعد الرسالة، يتجلّى بارتفاع قدرتك السريعة على العودة إلى فضاء القلب، فكلما التزمت التدريب الصادق للعودة إلى قلبك«بعد اللحظة»، بتخفيف الانخطافات الذهنية إلى قصص الرأس الخائفة، كنت على اتصال أكثر برسالتك، ورسالة الوجود ككل؛ لأنه من بعد القلب ستحسّ ضِمْنيًّا أن هناك رسالة أكبر منك تقود حياتك، وإن كنت لا تعرف

تفاصيلها، وهذا الإحساس بالذات هو ركيزة الرسالة الأساسية، وما يعطي لحياتك المعنى. ففي داخل قلبك تلتقي كلُّ الرسائل الوجوديّة على تنوُّعها وفرادتها؛ لأنه بالعمق تزهو رسالة واحدة موحدة لكلّ المخلوقات، وهي...

هل لديك الفضول لتعرف ما هي الرسالة الجامعة لكلّ الخَلْق؟

إن أجبْتَ بنعم، فلن نطيل الحوار: هي التطور في درجات الوعي، ومعها ضِمْنِيّة التطوّر في استشعار الله لذاته، والقدرة الكامنة على التعبير عن الذات الإلهية على الأرض. هذه هي نيّة التكوين الأولية، هي نيّة خالصة من قلب الله.

هذا المفهوم قد يبدو غريبًا للبعض؛ لذلك نوضحه سويًّا، والطريق الأمثل لاستيضاحه عن طريق الخوض بأساس «رحلة الروح». فكل الأرواح هي تعابير عن روح الواحد، تمشي في رحلة اللّا منتهى.

رحلة الروح هي رحلة مستمرة استمرار الحياة، وإن اختلفت تجلّياتها الفيزيائيّة في حدود المكان والزمان لخدمة التطور؛ لذا كن على يقين من أن رحلة حياتك لم تبدأ مع بداية عمرك الأرضي، ولن تنتهي مع نهاية جسدك الحالي! والهدف من أية رحلة تأخذها الروح، هو الارتفاع بمستوى الوعي كل مرة، فيزداد معه مستوى التناغم والحب والحكمة والوحدة مع المصدر، وبما أن روح الله الواحد ذات مستويات لا محدودة

من الوعي، فرحلة الوعي كذلك. هي لعبة روحيّة لا متنهية، يُستنبط منها الدروس المختلفة على كل مستوى من المستويات، فاسترخِ؛ لأنّ رحلتك أبديةٌ أبديةَ الوجود.

وبما أنك على الأرض الآن، فأنت تلعب جزءًا من هذه اللعبة الروحية، وهو جزءٌ مهم جِدّا، جدّا، جدّا؛ لأنّ اللعبة الأرضية فيها تحدٍّ مَهول، وقد توفر لك نقلات هائلة في الوعي، إن سمحت لهذه النقلات بالحصول. السبب بذلك هو طبيعة اللعبة الأرضية، وشروطها «الغريبة الحكيمة»، والتي تنص أن عليك أن تنسى أصلك الروحيّ اللّا محدود، لتظنّ واهمًا أنك قطعة لحم فيزيائيّة.

في هذا التحدِّي المهندَس، فرصة للتذكر، واختراق كافة الأبعاد، للصعود بمستويات الوعي لمراحل رهيبة، لتسرع من تطوّرك الروحي بملايين المرات. هو تحدٍّ كبير على الروح، يرغمها على التطور الخارق، وغير المسبوق.

للتوضيح، تخيّل أنك تلعب رياضة معيّنة، وتتقنها باحترافية، ودعنا نفترض هنا أنها كرة القدم، ومن ثم طُلب منك أن تضع عِصابة على عينيك كي لا ترى، وأيضًا طُلب منك أن تربط يديك خلف رأسك، ليس هذا فحسب، بل أن تربط رجليك أيضًا، والطريقة الوحيدة للركض حينها هي القفز. انتظر- لم ينتهِ التحدي بعد- بل عليك أيضًا أن تنسى أنَّ كلّ هذا التحدِّي

هو جزء من «اللعبة»، ظانًا أن هذه القيود هي حقيقتك الجسدية.
هنا تتجلى قوّة الخيار، إمّا بلعب دور الضحية، والنواح المستمر على حظك السيّئ، أو بلعب اللعبة كاملة كما هي. إن عشت اللعبة كاملة، حينها قد تولد منك قدرات خفية لم تتخيلها من قبل، فقد تُدرب حواسك
الحدسية، وعمق بصيرتك لرؤية الملعب من غير النظر، وقد تنمي تناغمك العضلي، وعزيمتك، لطريقة القفز الفعالة، ومن يدري ماذا قد يأتي بعدها؟ وقد تحس مع هذا التطور بالقدرات، الشغف العميق لتعليم الناس الجدد في هذا الطريق، لتعلمهم بعض الأسرار، والخفايا التي كشفت لك، لتسيير اللعبة بسرعة وجمال، وبالرغم من كل المُقَيّدات.
وعندما يأتي الوقت المناسب، وتفكّ عندك كلّ هذه القيود الوهمية، ليبرأ النظر وترجع المشية إلى حالتها الأصلية، فلن تكون كالسابق؛ لأنك تعلّمت مهارات قوية وجديدة لم تكن تحلم بها من قبل، مهارات تضيفها لقدرتك الأصلية للجري والرؤية. حينها تكون القيود المهندسة خدمت رسالتها، وأتى الوقت لمرحلة جديدة من اللعبة.
هذه نفسها لعبة الروح اللّا متنهية، يتفنّن فيها الوجود بخلق الألعاب المختلفة، وعلى مختلف الأبعاد والكواكب، وعلى مدارات مختلفة من المكان والزمان، وما بعدها. وباتصالك

الراسخ بقلبك ستلعب اللعبة بحرفية، وستستذكر حدسيًّا «سبب» اللعبة الأصيل كمحفز لرفعة الوعي. بذلك ستُفتح لك العديد من أسرار اللعبة، وإرشادات الرحمة الباطنية لتسيير اللعبة.

فأنت تلعب لعبة الحياة الروحيّة في وجودك هنا على الأرض، تلعبها كروحٍ بدور إنسان، وبما أنك أتيت برسالة خاصة لرفع الوعي باتِّجاهها، فأنت مدعومٌ تمامًا. فمهما كان التحدِّي الذي تواجهه هنا، هو مدعوم بالقوة التطورية لرفعة الوعي، وبالتالي تحقيق الدروس المطلوبة في مراحل اللعبة الروحية «التي اخترتها أنت». في هذه النظرة الشمولية للحياة، لن تظن أن عليك أن تحلّ التحديات المالية على حدة والعلاقات على حدة و و و.... وإنما ستأخذها كلّها كتحديات سطحية بهدف واحد، «رفع الوعي».

فمهما كان التحدي الذي تواجهه، فلديك الفرصة لرفع الوعي كلّ مرّة، وهذا ثابت كوني؛ لأنك تعمل في ضمنية قانون القطبية. ففي كل مكان يتواجد فيه التحدي هناك حلٌّ بسيطٌ يرشدك إلى وعي أعلى، فلكل شيء قطب آخر. لهذا السبب قلنا في السابق إنّ في داخل الألم يتواجد السلام والرسالة، وفي داخل ما تلعنه، يتواجد الخير وفرصة التطور؛ لذا في عقر التحدي الذي تواجهه الآن، حل بسيط يضيف به ارتقاء

لوعيك، وبالتالي ارتقاء برسالتك الخاصة، ومعه الارتقاء باللعبة الروحية.

وكما قلنا، فالقلب هو مفتاح التذكر لقوانين اللعبة وأساسها، ليس هذا فحسب، فاتصالك القلبي سيخرج منك رسالتك الفريدة في خضم الرسالة الجامعة لرفعة الوعي. رسالتك الفريدة هي رسالة «لم ولن» تتكرّر في خطوط الزمان الكونيّة كافّة؛ لأن الخلق فريد ومتجدّد الخلق، هنا ستزخر بذاتك كنسخة فريدة من روح الحياة الواحدة.

ويا لها من لعبة مدهشة بذاتها! وحكمة مدهشة تديرها، ورسالة مدهشة تحركها، ليجتمع في دوامتها الباطنيَّة والظاهرية، الرسالة الجامعة لكلّ الخليقة، والرسالة الفريدة الخاصّة فيك، وهذا من حِكمة التكوين، بالقدرة المتناهية على جمع النقائض. لذلك بُعد الرسالة هو السند والمركز لعجلة التناغم؛ لأنّه يبقيها في طاقة التكوين الأصيلة، ليتسارع منها رسالتك الخاصّة، وتعبيرك الخاص، والقدرة على إعطاء القيمة المفيدة، وهذا سرٌّنا الصغير.

طاقة التكوين الأصيلة هي مركز رسالتك.

أعتقد أننا تعمّقنا كفاية في دائرة الرسالة، فلننتقل الآن إلى الدائرة الثانية، والتي فيها يقطن بُعد التعبير، وهو ببساطة شديدة، الأدوار التي تهوى تأديتها. فكلّ شخصٍ له الأدوار الفريدة التي يعشق التعبير عنها أكثر من البقية، ولا يأتي

تفضيلك لدور هنا على الآخر هنا، من التعلق «بمنصب» الدور، وكأن الدور يصبح منصبًا فخريًّا، لتفخيم نفسك من نقصها الزائف، وإنّما يأتي من اختيارك، وتفضيلك الروحي الخاص، ليتحول إلى خادم لرسالتك.

نتكلّم هنا عن الأدوارالفريدة التي ترتقي بقدرتك على ترتيب رسالتك، والتعبير عنها إلى أسمى المراحل الممكنة. وعند البدء بالتفكُّر في هذا البُعد، عادة ما أطلب من المتدربين التركيز على خمسة أدوار رئيسية- لا لغرض التقييد- بل لغرض تركيز الطاقة.

للتخفيف الآن من وتيرة المدخلات الذهنيَّة، وقبيل القفز إلى الدائرة الثالثة، دعنا نوضح، كلّ ما ذكر عن أول دائرتين حتى الآن، بإعطائك مثالًا شخصيًّا، ومن رؤيتي الشخصيّة.

فمثلًا أن أعِيَ أنّ رسالة حياتي الأساسية هي كبقيّة الخليقة برفع الوعي. وأمّا على بُعد رسالتي الخاصّة، فهي تتمركز حول تمكين الجنس الإنساني ليجسد حقيقته لحظة بلحظة، وفي كل نواحي الحياة، لخلق أنظمة، ومجتمعات مستنيرة. ومن هذه الرسالة تجلَّتْ مهمة خاصة، بإيقاظ مليون قائد مستنير في عام ٢٠٣٦.

أما في دائرة التعبير، فتتجلّى عندي أدوار رئيسية محبّبة لروحي، وهي: دور المعلم، الخيميائي أو الساحر المستنير، الريادي المبتكر، المدرب العبقري، وقائد التغيير. وطبعًا هذه

الأدوار قابلة للتعديل- على حسب عمقي المرحلي في رحلة اكتشاف الذات- ولكن في الوقت الحالي أحس أنها الأدوار التي تحاكي وريد قلبي.

ولتجذّري بالرسالة الجامعة لكلّ الأدوار في قلبي وذهني، يسقط عن هذه الأدوار ثقل الهوية الزائفة، إلى خفة التعبير اللحظي، لأراها كأدور مسرحية ألعبها، وأتقنها. أؤديها فقط لا غير، من دون الالتصاق بها، ومن دون تحويلها كوسيلة لتحصيل القيمة والحب.

قد يبدو الآن للناظرأن التقاء الرسالة بالأدوار الخاصّة هو نهاية القصة، ولكن الإجابة لا، فروح الأرض العادلة لا تستريح، حتى يتم التبادل بين عناصر الكون، ففي روح التبادل ضمانة كونيّة لاستمرار العطاء والتطور. تصل عمليّة العطاء إلى أوج حالتها، عندما تُترجم الرسالة، وأدوارها نفسها إلى قيمة عمليّة، لتحل بها مشكلة معيّنة للعامة، وهذه هي الدائرة الثالثة. دائرة القيمة، أو تبادل القيمة.

فهنا يتحول الدور إلى قيمة تنتفع بها العامة، كتأليف كتاب ما، أو تدريب، أو، أو، أو...

وهذا البُعْد يتطلَّبُ التطور بالمهارات الريادية والارتقاء بها، فهنا وجب احتراف التسويق، والبيع، والكلام العلني، وغيرها من المهارات الأساسية بالريادة. ولكن لن يكون المحرِّك لعملك الرّياديّ هنا كباقي الناس، فعملك الريادي يذخر

بالثراء، لأنّه متأصل بشرور أقوى، وأصلب بكثير، فهو متأصّل بالنظام الواحد، ورسالتك الوجودية، ومتأصل بالأدوار التي تشحن رسالتك بالإثارة، لتتحول القيمة الريادية لامتداد لما كان أصيلًا في قلبك.

لهذا لا تخفْ أن تبنِيَ ذهنًا رياديًا، وتتعلم عن التسويق، وفنون الإقناع، وعلوم الإنجاز، وإدارة المال، وذهنيَّة الغنى، وغيرها من العناصر المهمّة في الريادة، فهذه العناصر ليست بالقبيحة، وإنّما طريقة استعمالها إن خلت من الرسالة، قد تتحوَّل إلى التلاعب القبيح. ولكن لك أنت بالذات يا من ارتضيت أن تتحرك بعمق القلب، فالتسويق لك هو وسيلة لنشر رسالتك، وهو رسم لشخصيّتك الخاصّة في العالم، وأما علوم الإنجاز لك، فهو عهد الملتزم بعطائه لضمان الإنهاء السريع والدقيق لما بدأت، وبالنسبة للتعمق بفهم المال، وإدارته الحكيمة، فهو مغذٍّ لقدرتك على التأثير، والانتشار والتغيير.

لذا من المهم أن تستوفي الأبعاد الثلاثة لتعيش رؤية الروح كاملة، فهذا الاستيضاح هو ما سيوضح لك رؤيتك الخاصة، ولأركان حياتك كافة، وأنظمتها المهندسة، وغير هذا ستكون ركيك القاعدة وركيك البنيان، وهذا ما نراه للأسف مع كثير من الرياديين. فمن المضحك المبكي، أن غالبية الرياديين يبحثون عن الرسالة على البعد الثالث مباشرة، فتراهم

يسألون: « هل رسالتي أن أفتح مطعمًا، أم ماذا؟» والسبب لهذا اللغط الدارج هو الجهل بالبعد الأول والثاني، لأنّهم غير مرئيين، ويحتاجون إلى تعمق أكثر بالذات.

فالبعد الأول، والثاني يحتاجان إلى الكشف الصادق لثنايا نفسك ومتاهاتها، وكشف أماكن الزيف فيها، وفي هذا ضمنية الكشف لمواطن عدم الأمان من داخلك، لتحتضنهم بروح الحب والتقبّل، بدل إسقاطهم على الخارج. هذا الذي قد يراه الريادي السطحي بالشيء المنفصل تمامًا عن نجاحه المستدام.

لذا بقلب الأخ المُحِبّ سأطلب منك ألّا تقع في هذا اللغط، ولا تظن للحظة أن النجاح المستدام الصادق يأتي من البعد المرئي، بل غير المرئي دائمًا وأبدًا. فالقيمة المرئية هي النتيجة للعمق الذي لمسته في ذاتك، وإن خلت قاعدتك السيكولوجية من العمق، سيكون المحرك لك هو البحث الجائع عن النجاح السطحي فقط. حينها سيعمل قانون التردّد والجذب ضدّك؛ لأنّك تعمل من تردُّدِ القلة وليس الوفرة، فالنجاح الحقيقي هو نتيجة تعمُّقك باكتشاف ذاتك، ومدى جرأتك للتعبير عنها بقيمة فعّالة، ومفيدة. فالتعمّق بذاتك سيثري قدرتك على التعبير، والعطاء، والعمل لتشكيل قيمة نهائية يُستفاد منها، فتستقطب منها المال كشكلٍ من رمزِيّة التبادل.

فإن فقدت التركيز على البُعْدين الأوّلين، وكان التركيز فقط على بُعد القيمة، ستقع مباشرة في حضن المنافسة، فلا شيء مميّز بالذي تنتجه هنا غير التغنّي بمميزاته السطحيّة؛ لذلك نرى من حولنا أنواع الدعايات الفارغة، التي تتغنى بسرعة هذا الكمبيوتر، أو لذة هذا الطعام، أو كفاءة هذا الشامبو، ومن دون عنصر حقيقي في جوهرها. فالعنصر الجوهري البراق، هو روح الرسالة، أي روح التعمق بالذات.

تذكر أن الاتصال مع العملاء لا يحصل إلَّا من عمق الرسالة، ثم لك أن تُسخِّر الدعاية في هذا الاتّجاه، فالاتصال، والثقة، والولاء لا يحصلون إلَّا على مستوى الجزء العاطفي، والجزء العاطفي هو نتاج الاتصال بالراسالة.

لذا ترى الذي بدأ عمله الريادي بهدف تغيير العالم للأفضل، له طريقة مختلفة في الدعاية، مرتكزة على ذكر قصته الخاصّة، والتي تقطن في رحلته الخاصة لاكتشاف الذات، ونوعيّة التحدّيات التي واجهها، وتطور منها، ليحولها كمُلْهمٍ له وللناس، وكمحرّك للقيمة النهائية التي يقدمها. فصاحب الرسالة لا يحتاج إلى الزيف في الدعاية والإقناع، وإنّما يستخدم هذه العناصر، كمكبّر لحقيقته، ونشوته الصادقة للتغير الإيجابي.

فان كان هناك ريادي تحترمه، وتراه متميّزًا بأسلوبه الفريد ودعايته، فتأكد من أنه اتصل بذاته على عمق أكبر، تأكد من

أنه اتصل بمصدر القوّة الابتكاريّة في داخله، ومعها الرغبة الكاملة للتغير، وحتى لو لم يفعل ذلك بإدراك كامل. فعمليّة التوازي مع روح الحياة الابتكاريّة، فيها ضمنيَّة التوازي مع الأبعاد الثلاثة، ليرتووا من بعض، وينسابوا مع بعض.

لذا سأطلب منك أن تأخذ الوقت، للتفكر «الأوَّلِيّ» في هذه الأبعاد الثلاثة، وبالإجابة عن هذه الأسئلة الثلاثة، عن طريق الكتابة الخطية:

- إن كان هناك سبب يدفعك للتغير الإيجابي بالعالم، ولديك كل المال والوقت والموارد لتحقيقه، فماذا يكون؟

- إن خُيِّرت في مسرح الحياة، أن تختار أي دور، وبالمعرفة الكاملة أنك ستنجح فيه، ماذا ستختار؟

- إن كان لديك كلّ المهارات، والقدرات لتحويل هذا الدور لقيمة تنتفع بها العامة، فماذا ستتشكل؟

الآن وبعد إكمالك لهذا التمرين، سأكون صادقًا معك...

من النادر أن تجد إجابات فورية لهذه الأسئلة، لأن الأجابات تتضح مع التعمق بذاتك. ولكن عند تلاعبك الذهني المستمر بهذه الأسئلة، في إطار عجلة التناغم، ستعطي ذهنك فرصة التفكر برؤيتك بطريقة شمولية أكثر. ومع الوقت سترى عناصر الدوائر الثلاثة تستنير من داخل ذهنك وقلبك، لتجد من السهولة حينها أن تُهَنْدِسَ أركان حياتك وأهدافها، وبغاية الدقة والوضوح. هذا لا يعني أن عليك انتظار وضوح

الدوائر الثلاثة قبل البدء بهندسة أركان حياتك الخاصّة، فهذا أسلوب نظام الخوف في الانتظار الأبدي، وإنّما لك أن تبدأ الآن، ولا تقلق سنعقب بعد قليل على طريقة البدء بهندسة أركان الحياة، وسترى كيف ستسند هذه الحركة التقديميّة وضوحك الطاقي أكثر فأكثر، ومعه وضوح الدوائر الثلاثة أيضًا، فهي عمليّة تبادلية.

فالوضوح لا ينزل عليك فجأة كحال «البيانو» الذي يقع على رأس البطل في أفلام الكرتون، وإن حدث كذلك، فهو يحدث عادة بعد استواء الوعي لمرحلة عليا من كريستالية الوضوح. ففي غالب الأحيان يأتي وضوح المسعى من التفكير العميق، والتأمل، والتعبير الصادق المستمر باتّجاه «نقطة الوضوح القادمة»، فوضوح الرؤية هي عمليّة ديناميكية، وليست رتيبة متجمدة، وهذا سرّنا الصغير.

وضوح الرؤية هي عمليّة ديناميكية مستمرة.

لذلك استخدمنا «عجلة التناغم» لتسريع ديناميكية الوضوح، وسأضمن لك أنها طريقة فعّالة جِدًّا، ليس لأني طرحتها عليك فقط، بل لأنّها نفس طريقة عمل الطبيعة، فالطبيعة تعمل بهذه العجلة المتناغمة منذ الأزل. فهناك رسالة جامعة لكلّ أركان الطبيعة، وهي التناغم الكلّي، وفيها ضمنيّة الارتقاء المستمر للوعي باتّجاه التوازن، والحب، والحكمة الكليّة، ليسطع من هذا الارتقاء الرسالة الفريدة لكلّ عنصر في الطبيعة.

الرسالة الفريدة لكلِّ عنصر في الطبيعة مخزّنة بكودات كلّ بذرة، وبالرغبة لتجسيد بصمتها الطاقيّة الفريدة في العالم، ثم يرتقي من هذه الرغبة التعبير الفريد أيضًا، لتعبّر البذرة عن نفسها كشجرة السنديان، أو زهرة التيوليب الجميلة، وبالنهاية تخرج القيمة النهائية. وقد تكون هذه القيمة كالثمرة التي تأكل أو الغذاء الذي يغذي عناصر الطبيعة الأخرى؛ لذا كل عناصر الطبيعة حقيقية، وتعبر عن ذاتها بفرادة، وهذا ما يفترض به أن يكون حال الإنسان، هذا إن أردنا السلام على الأرض.

فالطبيعة تعمل بالتناغم مع رؤيا الحياة، وهي التعبير الفريد عن روح الحياة الواحدة. ولكي تنساب مع نفس هذه الرؤيا المتناغمة عليك أن ترجع لمصدر التناغم الأصيل من داخلك، والذي يعيدنا إلى نفس النقاش الأصيل: كن أنت.

كن أنت هو سر التناغم مع الطبيعة؛ لذا سنقول إن عجلة التناغم هي ببساطة: كن أنت.

بالتناغم مع كن أنت وعجلتها الابتكارية، ستبزغ تدريجيًّا رؤى معينة لكل نواحي حياتك. ولا تظن واهمًا أنّ كن أنت، هي رؤية واحدة مقيدة، بل هي فضاء دائم التلاعب لأن «أنت» الحقيقية هي فضاء الذات اللّا متناهي. بهذا المنظور، تصبح الحياة كالفضاء الملهم، لتنتقي من كتالوجاته ما تشتهي وتحب، لذلك تراني دائم البحث عن أشخاص ملهمين حول

العالم، لأكشف لنفسي احتماليات جديدة من كتالوج الحياة، احتماليات لم أكن أراها من قبل، لأستعملها بعد ذلك كرافد لرؤيتي، وأركانها الخاصّة، وبطعمي الخاص. فمثلًا: قد أرى شخصًا شكّل حركة تغيير على مستوى العالم، وعنده شركات كُثُر، ولكنّه بنفس الوقت يعمل من دون جهدٍ مُضْنٍ أو شقاء، بل بيُسر طاقيّ ساحر، لينجذب إليه النجاح بكلّ بساطة وأناقة، وبحريّة وقتية، ومكانيَّة، ومالية رائعة، عندها قد أضيف هذا الجزء إلى ركن العمل في رؤيتي، وبما يتناسب مع فرادتها.

وبعد كشف هذه الاحتمالية، وإضافتها إلى رؤيتي في العمل الخاص، أبدأ بتفعيل هذه الاحتماليات ومعاييرها الجديدة من داخل وعيي، حتى تصبح واقعي الجديد الذي أجسده داخل خلايا جسدي، أي حتى أحسها بجسدي، ومن دون أية مقاومة، وبهذا أتناغم مع الواقع الجديد قبل تجلِّيه على أرض المادة. ومن ثم أبدأ التحرك بهذا المنحى من دون شقاء، وبخطوات ملهمة، ومستمرة، ومتناغمة، هكذا أفعِّل قانون السبب والنتيجة للاتجاه الذي أرغب، هكذا أهندس حياتي بإدراكٍ مُوَجّه، وبخيارات حرة مستقلة.

وقد تتساءل الآن: ولكن حتى الآن لا أدري ماذا أريد، أو كيف أهندس أركان الحياة الأساسية؟

وكما قلنا من قبل: لن نخوض بتفاصيل هذا الحوار لعمقه، ولكن سأرشدك للطريقة التي أستخدمها لهندسة أركان حياتي بوضوح وأناقة.

شخصيًّا أنا وشريكتي استنبطنا أسلوبنا الخاص في هندسة الرؤية في كافة نواحي حياتنا، بعدما أُلهمنا «بكتاب الحياة Life Book». كتاب الحياة هو طريقة استحدثها الثنائي الرائع «جون وميسي Jon and Missy» لخلق حياة مدهشة. من الغريب أنهما ليسا مدرِّبَيْن بتطوير الذات أو ما شابه، وإنما هما رياديّان على مستوى رفيع، ولهما شركات ذات نجاحٍ عالٍ، وبصيغة المادة نتكلم هنا على البلايين، والمدهش في أسلوب حياة جون وميسي، ليس النجاح المادي فقط، بل قدرتهما السحرية على تشكيل أعلى مستويات الحياة الممكنة، وعلى كل الأصعدة.

كنت محظوظًا لأخذ كورس كتاب الحياة، والذي امتدّ لمدة أربعة أيام في فندق ساحر الجمال في غابات ماليزيا. أربعة أيام لا نفعل شيئًا سوى التأمل صباحًا وليلًا في أركان الحياة، طبعًا لن أَقدر أن أشارك كل تفاصيل التجربة؛ لأنه يطول شرح الموضوع، والسبب الثاني؛ لأني ليس لدي الحق لمشاركة هذه المادة.

بعد هذه التجربة قمت مع شريكتي مديحة باستحداث رؤيا الروح، والتي ندرسها الآن من كورس يمتد لمدة ٥ أيام بنفس

العنوان، رؤيا الروح. وسأشارك معك هنا نواحي الحياة الـ ٩ التي نشاركها مع الناس: الصحة، العالم الداخلي، الوعي، قيادة الذات، العلاقات الرومنسية، الصدقات والمجتمع، التربية، العمل والمال، لايف ستايل أو أسلوب الحياة.

وسأسمح لك، أن تسمح لنفسك باستيضاح هذه النواحي، أو كيفما اخترت أن تهندس حياتك...

قد تحس الآن باللغط بين هذه الأركان وعجلة التناغم، هذا مفهوم. ولكن في الحقيقة هم «مكملين لبعض»، فعجلة التناغم هي الصورة الشمولية لرؤيا الروح، وأركان الحياة هي تجلّي الأنظمة من هذه الصورة الكبرى. وقد يقفز اعتراض آخر لذهنك ليقول: إن بناء الرؤية يتطلب وقتًا وعملًا، ومجهودًا كبيرًا! هذا صحيح على مستوى معين، ولكن النتائج ستغير حياتك؛ لأنه ستكون لك رؤيا واضحة كالكريستال لتقود حياتك.

سيكون لك منهج واضح لاختياراتك، سيكون لك تركيز هائل من الصورة الكبرى إلى التفاصيل، ستكون مقاد من روحك، وليس من الضوضاء الخارجية، التي تغريك هنا وهناك من دون وجهة واضحة.

الآن، أود أن أضيف نقطة معينة لموضوع الرؤيا، إنه من عملي مع كثير مع المتدربين على المستوى الشخصي والجماعات، استنتجت أن عملية التطور تمر بمراحل معينة

حسب مستوى الوعي، وعادة ما تكون رؤيا الروح على مستوى عالٍ من الطاقة. فعملية التطور تمشي بطريقة لولبيّة وهرميّة في آنٍ واحد، لتبدأ من وعي الضحية إلى التمكين، ثم القيادة، إلى التعبير الصادق، ثم تصل إلى الوحدة مع المصدر، بعدها تتحوَّل هذه الطاقة إلى التعبير عن الوحدة، عن طريق رؤيا الروح، وهنا تبدأ روحك ببلورة نفسها على الأرض، وبأنظمة واضحة وصلبة. ومن ثم تكمل طريق التطور إلى فتح معارف الحكمة، عن طريق احتراف عملية التجلِّي، وطاقة الأنظمة، وأسرار الخيمياء، لتصل الذروة وهي عندما يتحوّل وجودك، ورؤياك المشكلة إلى حركة تغير كاملة في العالم، تُلهم مجتمعات وشعوب. حينها يصبح الشخص كقوّة وعي شموليّة، تتحرك بين الأرض والسماء لتلهم الملايين.

لذا لا تضجر إن كنت تحس أن مفهوم الرؤيا بعيد عنك حتى الآن، بل أعطِهِ المجال لينضج برَوِيّة. وعندما يرتقي الوعي لدرجة معيّنة، ستحسّ بطاقة الرؤيا تدفعك للتعبير عنها، وهنا تأتي الكتابة للرؤيا كالمرحلة القادمة لك. وحينها ستدرك أن عليك التركيز ثم التركيز، ثم التركيز، لاحتراف القدرة على التجلّي السريع لهذه الرؤيا على أرض الواقع، وفي ضِمْنها احتراف التواصل مع الناس لتحقيق الرؤيا، فنحن لا نعيش على جزيرة لوحدنا.

للتذكير:

* الرؤيا سترتقي بك من العيش تحت الأنظمة المبرمجة، لهندسة أنظمتك الخاصة.

* هناك ٣ أبعاد لعجلة الرؤيا من الرسالة، إلى الأدوار الخاصة إلى القيمة .

* الرسالة الجامعة لكلّ البشرية هي رفعة الوعي.

* ستعيش حياة الوفرة، عندما ترى كل نجاحات الأشخاص أمامك، ككتالوج قد تضيفه لرؤيتك الخاصة.

أسئلة للتفكر:

ماذا تريد؟

ماذا تريد حقًّا؟

لو أيقنت أنك موجود على الأرض لسبب، وسبب مهمّ، ماذا سيختلف في أسلوب حياتك؟

ما الذي يلهمك في أسلوب حياة شخص ما؟

هل تستطيع أخذ ما يلهمك في الخارج، وإضافته لرؤياك، وبما يتناسب مع ذوقك؟

كيف؟

نحن نذكر التواصل هنا؛ لأن التواصل هو من سيتوج رحلة الكتاب التي بدأنها، فكيف لك أن تدّعي التواصل الكامل مع ذاتك، إن لم تكن قادرًا على الاتصال مع الآخر؟ لذا سنقوم هنا بفكّ عقدة الاتصال، وللأبد، لتفتح لك بوّابة جديدة من مناجاة الآخر، وفي هذه المناجاة تتجلّى أرقى أحاسيس الحب، والرحمة، والتقدم الإنساني.

لقد عهدنا أن يطرق باب الاتصال مع الآخر على أنه تكنيك لتحترفه، ولكن هذا ليس فقط يخلو من الصحة، بل فيه الكثير من التعقيد غير الضروري، فماذا لو كان الاتصال هو أبسط ممّا تتخيل؟ وماذا لو كان الاتصال هو فطرتك الأصيلة؟ وماذا لو كان عكس ما تعلمنا هو الأدق: أن الاتصال ليس «تقنية سرية» للتعلم، بل هو الحاصل عن الالتقاء. ولا تخطئ هنا إحساس الاتصال، بالقدرة على التحاور، والتأثير، والإقناع والخطابة، فالأواخر هي تقنيات وحِرَف للصقل، والتطوير المستمر، ولكن الاتصال لا.

ومن المهم أن ننوّه أنك إذا طوّرت مهارة الحوار- من دون روح الاتصال-، فلن تتطور صادقًا في حوارك، ولن تكون إلّا ذلك المشذب في الكلام والإقناع، من دون الصدق في المسعى، وهي حال الكثير من القادة والسياسيين، طبعًا من

اختار منهم الزيف على تعرية النفس. وفي هذا خطورة كبيرة على نفسك والناس.

وللعودة إلى فرضيّتنا الأولى عن الاتصال، بأنها حالة فطرية عن التقاء البشر، فالسؤال الذي يطرح نفسه من وحي الفرضية هذه: كيف يتم إعاقة هذا الاتصال إذًا؟ وفي هذا السؤال دقة هائلة عن السؤال القديم، بنوعية التقنية التي عليك احترافه للاتصال.

وبهذا التساؤل سيرتقي فن الاتصال وعلومه الرديفة، إلى مسمّى آخر، كفنّ التوقف عن إعاقة الاتصال! فعند التوقف عند إعاقة الاتصال، سيرجع تواصلك إلى ما وجب أن يكون عليه، كحالة فطرية تخلو من التعلم. فهل لك أن تتخيّل طفلًا يتعلم الاتصال، أم هو أصلًا في حالة اتصال مع الآخر -أو بصورة أدقّ- في حالة اتصال مع ذاته، وفي هذا شمول للآخر.

لذا دعنا نفكّ مُعيقَ الاتّصال، والآن.

هو، وبكل بساطة...

الأفكار المشتّتة.

من دون الأفكار المشتتة سيحدث الاتصال تلقائِيًّا من قلبك، كنوع من التلاقي بين الإخوة والأخوات، وفي هذا ضمنية الترابط والإنصات العميق على مستويات تتعدّى حروف

الكلام. هو نوع من الإنصات الروحي المقدس، وهذا سرٌّنا الصغير.
من دون الأفكار المشتتة، يتجلّى الإنصات المقدس.
فالإنصات المقدّس الذي يخترق أحشاء الخوف والأحكام والدفاعية، هو الحاصل، إنْ لم تقف عائلًا في وجهه، هو الإنصات على أعمق الأبعاد الممكنة، وهو بعد الوحدة الروحية. من روح الوحدة ستحس معنى التواصل الصادق بأم عينيك، وستدرك سحره غير العادي.
ولكن إن كان هذا النوع من التواصل بعيدًا عنك، وما زال ذهنك يطلب تمرينًا عمليًّا لتطبقه، فلك هذا، وهو شكل من التجربة الممتعة للتلاعب بها...
في المرة القادمة التي تتحدث فيها مع شخص، ويقوم هو بالحديث، اسأل نفسك التالي: ماذا أفكر الان؟
هذا السؤال سيضيء إدراكك الذاتي لكمية الأفكار المشتتة من داخل رأسك، لتعي أن نوعية هذه الأفكار لا تتعدَّى تحليلك الفكري لكلام الشخص، لتحضير الإجابة المسبقة، هو السماع بهدف الرد فقط لا غير. وبسؤالك ماذا أفكر الآن، ستتعالى عن هذه التيارات الذهنية، ليحدث السقوط التدريجيّ من عالم الأفكار المبرمجة، إلى فضاء الوحدة.
في فضاء الوحدة، يتجلَّى وعي الإنصات المقدس، هو الإنصات الحدسي الذي لا يحتاج إلى التحليل، والتجهيز،

والحكم، والمرواغة. هو الإنصات الذي تحس من خلاله أنك تستمع إلى نفسك بهدوء، ولكن في جسد آخر.

أيعقل أن يكون هذا الحب؟

نعم يا صديقي هذا هو الحب من نظام الحب، وليس الحب الذي اعتدنا عليه، والفارق بين الاثنين شاسع. فمصائب الإنسانية كافة هي من المحاولات البائسة للحب، من دون الفهم الكافي لنظام الحب، وهذه ليست فكرتي الشخصيّة فحسب، وإنما ما أبرز في ملخص كتاب ما.

ألديك الفضول لمعرفة هذا الكتاب؟

قبل الإفصاح عن اسمه اسمح لي بأن أروي قصته معي...

في مرة كنت أزور صديقتي إيمان في شركتها، والمضحك بالأمر أني أكتب هذه الكلمات الآن من مكتبها أيضًا! في تلك الزيارة قالت لي إيمان: «إيهاب خذ هذا الكتاب فقد يعجبك»، وعندما نظرت إلى عنوانه تجلّت ابتسامة رقيقة على وجهي، أتريد معرفة السبب؟

كان عنوان الكتاب، «نظام الحب»، أليس هذا بالغريب؟ فأنا أدرس منذ سنين عدّة عن نظام الحب، ونظام الخوف، ليأتي كاتب آخر من فضاء آخر، مؤكدًا على نفس المفهوم. عندها تيقنت أن نفس هذا الوعي الذي أحمله باستمرار يعج «بالإيثر»، وهناك مجموعة من الأشخاص تلقطه وتجسده بتعابير مختلفة، وحول مواضيع مختلفة، ومن أماكن مختلفة،

فصاحب الكتاب ألماني، وهو يستخدم نفس التعريف: نظام الحب.

استهواني هذا الكتاب، ونظرت مباشرة إلى خلفيته لأستوضح ملخصه، وهذا كان الملخص: سبب معاناتك هي محاولة الحب من دون فهم نظام الحب، أنا أقر بحقيقة هذه الجملة، وأعتقد أنك تقرّ أيضًا، وللتأكيد انظر من حولك. فكم من الآباء والأمهات يحبون أولادهم، ولكن تواصلهم معهم - أو عدمهم بالأحرى- لا يتعدى بحيرة الخوف والتقييد المقيت، لدرجة أن الكثير من الأبناء أصبحوا يشتهون موت الوالدين ليذوقوا طعم الحرية، هل هذه الجملة صادمة لك؟ قد تكون كذلك، ولكنها الحقيقة، فالكثير من الأشخاص الذين درّبتهم هذه هي رغبتهم السرية.

فكيف تحوّل الحب لطغيان، وبهذا أمسى التواصل كشكل من الاختناق؟ الإجابة هي ذاتها من ملخص ذلك الكتاب: محاولة الحب من دون فهم نظام الحب.

للحب نظام، نظام يحكم حركة الأرض والكواكب بدقة متناهية، وإن غفل هذا النظام عن سيادته، ولجزء من اللحظة، سيحدث انهيار كوني في كل شيء من حولك، وهذا يتضمن جسدك. فنظام الحب هو نظام الاتزان، وهذا الاتزان محكوم بسيادة القانون، هو قانون الواحد، وكوداته الروحية، هي كودات غير قابلة للتشفير أوالتلاعب.

لذا إن جرى اتصالك من تناغم النظام، سيسطع منه الاتصال والحب الأصلي، وليس كمشاعر رومنسية آنية بل «بحَرفِية» الوحدة، فالاتصال الصادق فيها الحدس الداخلي، بأنك واحد مع من تتكلم. كلاكما تعبير عن مصدر الحياة الواحد.

فإن أنصتَّ خلف أفكارك الشخصيّة، فأنت كائن في روح الوحدة، في روح النظام، وغير ذلك أنت في نظام الخوف وأحكامه المتكررة. وكل ما عليك فعله لتنساب بمنحى الحب، هو العودة للسؤال ذاته في خضم الحوار: ماذا أفكر الآن؟

هذا السؤال سينقل تركيزك من تيارات الأفكار الشخصيّة، وإن لم تكن مدركًا لها، إلى عمق أكبر. ولا نعني هنا أن تحاول إيقاف أفكارك بالقوّة، فهذا سيبعدك أكثر عن قلب الاتصال، ولكن بالوعي للأفكار المتسارعة، ستأخذ خطوة واحدة خلف ضجيجها، وعندها ستعي المعنى الحقيقي للاتصال.

فكلّ الأفكار التي تلعلع في رأسك بحجة السمع، ما هي إلّا انغلاقات على منظورك الخاص، تفلتر فيها المعاني التي يقصدها المتحدث من مفهومك الشخصي المبرمج. فتراك تحصر اتصالك مع كل البشر إلى منظورك الخاص، أليس في هذا نوع من العجرفة، وحتى طعم من العنصريّة المبطّنة؟

هكذا لن تستمع بغرض الفهم والتعلم والتطور، بل بهدف الانتصار لنفسك، تستمع لهيمنة أحكامك وإسقاطاتها

الشخصيّة. هكذا يستحيل الاتصال؛ لأنّه ابتعد عن مكان الاتصال الأصيل، وذهب باتجاه الأحكام غير المتزنة، وهل هنالك شيء يدعى بالأحكام المتزنة!

ولكن إن استشعرت الحوار من عمق أكبر، سترى أن الحوار ليس صراعًا للصحة، أو معركة لغلبة رأيك على الآخر، بل هو حوار تمتد فيه أمواج البحر في شاطئ الأمان المطلق، هو أمواج متنوعة، ومن خبرات متنوعة، تلتقي فيها أبعاد الحياة المختلفة، فيحصل الشفاء، والتقارب بين الناس.

يحصل الشفاء عندما تمد يديك إلى الآخر، للتوافق معه في المكان الوحيد الذي يسكن فيها الوفاق، وهو الاتفاق على وحدة الطبيعة الأصليّة بينك وبين البشر كافّة. هو الاتفاق مع الآخر ، في المكان الذي يذوب فيه الآخر ، وتدب فيه وحدة الحياة، وهذا سرّنا الصغير.

اللقاء الحقيقي مع الآخر، يحدث في المكان الذي يذوب فيه الآخر.

وكما قلنا، هذا ليس تكنيكًا للتدرّب عليه، بل هو الحاصل في ذاتك الأصلية إن تفطنت للأفكار المشتتة، هي الفطنة لوعي الذات من ضجيج الأفكار المزعج، وبهذه الفطنة ستستطيع أن تراقب نفسك أيضًا. بالمراقبة ستكتشف مخاوفك الدفينة لحظة اتّقادها خلال الحوار، وستكون قادرًا على التعالي عنها، أو التعبير عنها، على حسب المطلب الطاقي حينها؛ لأنّها فقدت

وصمة الشخصنة عنها، فتراك بهدوء ورصانة قد تقول في الوقت المناسب: «آه إنّي ألاحظ أنك عندما تقول كذا وكذا، تتفعّل مخاوفي ووسائلي الدفاعية، فهل من الممكن أن تعيد ما قلت؛ لأنصت لك من مكان أعمق؟»، في هذا الاعتراف قوّة وأمان مطلق، وكيف لا؟ وأنت رأيت ما بعد وسائلك الدفاعية، وسمحت لنفسك بأن تعرّى نفسها للآخر.

وإن أفقدك الخوف لفطنتك ورشدك، وهو سيحصل معك، كما يحصل معي ومع كل شخص، فهذا طبيعي، فانتظر عندما تستعيد وعيك الأصلي، لتقوم بشفاء عدم الأمان من داخلك ومع خلوتك بنفسك. وحتى قد تقوم بعدها بالاعتذار للشخص بعدها؛ لأنك كنت غارقًا في مخاوفك، وهذه قوّة أيضًا.

بهذا ستشفي مخاوفك الاجتماعية.. واحدة تلو الأخرى، حتى تصل بعد فترة إلى الاسترخاء الكامل في الحوار، وكأنك تتكلم مع أي شخص من داخل الجاكوزي! هو الاسترخاء الذي يهيِّئ سقوط المحبين إلى روح الوحدة، وبهذا سيجتاح اتصالك لمسة من الدفء، وحتى إن كانت الأفكار متناقضة، فالدفء يطغى على الاختلاف.

فالمتّصل الحق لا يرى بالاختلاف مولّدًا للرهبة، ولا ينشد من تقارب الأفكار الراحة والأمان؛ لأنه يعي أن كل وجهات النظر تسبح في فضاء الوحدة. هو فضاء تلتقي فيها روح

الإنسان الواحدة، ومهما بعدنا، لن نبعد عن هذه الوحدة، فهي شاملة وخالدة ومتعددة الأبعاد.

ولا نعني هنا أنك بالاتصال الحق ستكون موافقًا على كلّ الأفكار وفي كل الحوارات، على العكس تماما، فهذا نوع من «الطاعة الوهمية»، بل ستكون أصالتك معبرة بقوّة أكثر، فيما توافق، وما لا توافق عليه، ولكن دون السقوط عن بُعد الوحدة، وعندها سيرجع الحوار بين البشر إلّا ما كان يفترض أن يكون عليه، كوسيلة للتلاقي والامتزاج.

ومن المؤكد أنك اختبرت هذا النوع من التلاقي من قبل، وكأنّك في حضرته توقف فيك الزمان، وأحسست بإحساسٍ خلَّاب من الحب، ومن الممكن أنك ظننت حينها أن هذا الشخص هو رفيق روحك (على الأقل هذا ما كنت أظنّ!) ولكن ماذا لو قلت لك إن هذا ما يفترض أن يكون عليه الاتصال، إن تجاوزت «بأناقة» أفكارك الخاصّة ووسائلك الدفاعية.

الشخص القادر على هذا المستوى من الاتصال العميق، هو ما يطلق عليها العامة بالجذاب؛ لأن حضور هذا الشخص فيه نوع من الرّقّة والجاذبية. فحضوره كاملٌ ونقيٌّ وصادق، يحسّ فيه الأشخاص بالغبطة والاكتفاء، ظانّين أنّ هناك سِرًّا خاصًّا في حضرة ذلك الشخص، وما تلك الوصفة السِرية إلّا الإنصات من روح الوحدة. هو إنصات يتعالى عن منظورك

الخاص، وحتى منظور الآخر، إلى مساحة الحياد بينكما، حرفيًّا!

فلماذا لا تجرّب هذه التجربة أيضًا، ففي حوارك القادم، وبعد سؤالك ماذا أفكر، قم بتركيز إدراكك على المساحة بينكما.

في مساحة المنتصف بينك وبين «الآخر»، يسود الحياد من شخصنة الآراء، ويعم الإنصات العميق، هو إنصاتٌ خاص بهيبة خاصة، هي هيبة روحيّة، يستشرى منها حضور ملموس خلف كل الكلمات. هي هيبة لا يحتملها نظام الخوف، فتراه يحاول الهرب منها بتعبئة الفراغ بالكلام الفارغ، وإن أردتَّ أكبرَ دليلٍ على ذلك، فتذكر آخر مرة صعدت فيها على المصعد، وأحسست بالحاجة للتكلّم، فقط لأنّه من الغرابة أن يسود السكوت.

في هيبة الإنصات العميق، تتيقّظ قدرات حِسِّيّة أخرى من داخلك، فتراك تقرأ الأشخاص على أبعاد مختلفة لم تَدْرِ أنها متاحة لك من قبل، أبعاد أعمق بكثير من مستوى الكلام نفسه. فالكلام وإن حمل الكثير من المعاني، فهي سطحيّة، بل غاية من السطحيّة، وأما الإنصات الحق، فيستشفّ الحاجات العاطفيّة، والطاقيّة للشخص، وعندها ستكون قادرًا على إشباعها.

فتخيّل أنك تكلم صديقك، ويقول لك: « المشروع الذي بدأته أصبح مملًّا جدًّا، وإني لا أحس بأي شغف تُجاهه الآن؛ لذا

سأتوقف عنه؛ لأنه ليس مناسبًا لي»، إن لم تنصت بعمق قد تحاول إقناعه بالبقاء، ولكن بالإنصات الذي يتجلّى من داخلك، قد تستمع لشيء آخر، شيء يقال من «طاقة الكلام»، وقد يكون: « إني أحب هذا المشروع، ولكني أخاف من الفشل، وأريد التأكيد إنه إذا فشلت سأبقى محبوبًا،» وهنا سيكون ردك كالشافي لهذه الحاجة الصامتة، فتراك تذكره بحبك ودعمك له مهما كانت النتيجة، وإنه حتى إن فشل، فهناك دروس ليتعلمها فيمضي باتجاه النجاح القادم.

وقد يخطر لك الآن، ألم يكن من الأسهل لو عبر الأشخاص عمّا في خلدهم مباشرة؟

والإجابة طبعًا!

ولكنَّ هذا المَنْحى في التعبيرالصادق، لم تصلْه البشريّة حتى الآن، ليس لأن الناس كاذبة بالعمد، بل لأنّ الغالبية لا تدري رغباتها الأصيلة ولا تجيد قراءة الرسائل العاطفيّة من داخلهم، فكيف لهم أن يعبروا لك عنها بوضوح؟

لذا قراءتك العميقة للكلام خلف الكلام، هو شفاء للنفس الإنسانية، وهذه القراءة هي ليست بقوّة غريبة عنك، بل هي إقرار بحقيقة فيزيائيّة ثابتة: هي قدرتك على نسخ التردد الطاقي للعواطف الإنسانية، فكل حاجة عاطفية لها تردّد معين، وقراءتك لها هو قراءة لتردّدها. هكذا تلتقي الفيزياء، والسيكولوجية كواحد.

بالأساس كلّ شيء في الكون هو واحد؛ لأنه لا يضع هذه التقسيمات الوهمية بين الفيزياء، والسيكولوجيا، والفن، والعلوم، والرياضيات، والروحانيات، والأديان. كلها واحد! ولكن مع أن الكون يجمع ولا يقسم، ولكن يبقى له تقسيم من نوع آخر، هو ليس تقسيم الأحكام، بل تقسيم الحب والثراء.

أتريد أن تعرف ماهية هذا التقسيم؟

هو تقسيم العوالم الشخصية. أو الأدقّ أن نقول:

طبيعة العوالم المنفصلة.

العوالم المنفصلة هي أساس الاتصال الإنساني، وعدم المعرفة بحقيقة العوالم المنفصلة، هو من يقيد الناس بالتشدد والعنصرية، بظنهم الواهم أن عوالم كل الأشخاص واحدة، وهو نفسه عالم الشخص ذاته. فترى الشخص حينها يفسر كلام الناس كافة بما يتوازى مع معانيه الخاصة، وحاجته العاطفية الخاصة.

فطالما اعتقد البشر أن هناك عالمًا واحدًا، ثابت الأركان، وواضح المعالم، ومن ثم هناك كافّة الخليقة التي تقطن هذا العالم. طبعًا هذه فرضية مغلوطة تمامًا، وتتنافي مع فيزياء التكوين، ومنها تكوين الخبرة الإنسانيّة، فالحقيقة المطلقة أن لكلّ شخص عالمه الخاص الفريد. هذه الجملة ليست بالتصويرية، بل فيها كلّ الحرفية؛ لأن العالم، أو ما يسمّيه الناس «بالعالم» هو خبرة الشخص لأفكاره، ولذلك لا يمكن

أن يختبر شخصان العالم بالطريقة نفسها بالضبط. فاتجاه تشكيل العالم كما الواقع، من الداخل إلى الخارج، وليس العكس، وهذا سرنا الصغير.
لكل شخص عالمه الخاص.
ويقينك المطلق بأن لكلّ شخص عالمه الخاص، سيغير أسلوبك في كل اللقاءات؛ لأنك تعرف أنك تقابل عالمًا جديدًا كل مرة، وليس فقط شخصًا جديدًا، وعندها ستتعالي على كل الأحكام والتقيُّدات. أيضًا معرفتك في العوالم المنفصلة، سيضيف بعد الإنسانيّة لاتصالك؛ لأنّك لا تأتي هنا فارضًا أن خارطتك الذهنيَّة للعالم هي نفسها لأي شخص آخر، فهي فريدة فرادة البصمة، وإن كان فيها الكثير من التشابهات، فهذه المعرفة ستسقط من إدراكك البعض من الغرور، والكثير من الافتراضات، لتفتح أذنك الداخليّة لعمق أكبر من الفضول.
في مساحة الفضول مساحة أكبر للدهشة، وقدرة أكثر للتعبير عن مكنوناتك، فهنا لن تفترض أن العامة تقرأ خريطتك الذهنيَّة بالجلوس معك فقط، وإن كان القلّة القليلة من الأشخاص احترفت ذلك عن طريق النسخ الطاقي الموجّه بالنية، وسأنصحك أن لا تُعوّل على هذا الشيء.
فكم من المرات وقعت في خلاف مع شخص آخر، وعندما واجهته، أدركت أنه لم يَعِ أصلًا أنّك في خلاف. فالتفسير

الذي أطلقته على كلمة معيّنة قالها، هو ما سبَّب الخلاف في داخلك، وليست الكلمة نفسها.
ومن خلال تدريبي لكثير من الناس أرى أهمية العوالم المنفصلة قائمًا، فمن دون هذا الفهم ستراني «أفترض» معاني الكلمات التي يقولها المتدرب، وعندها ستفقد الكثير من الحِكمة، وإمكانيات التطور في هذه الفرضيات؛ لذلك أسعى دائمًا لإيضاح معاني الكلمات، فإن قال لي المتدرب: إن هذا الشيء يعني لي الكثير، فتراني أسأل ماذا تعني بأنه يعني لك الكثير؟ فشخصيًّا إن عنى شيءٌ لي الكثير، فالمعنى هو الالتزام به، أم للمتدرب، فقد يكون المنحى مختلفًا تمامًا.
العوالم المنفصلة هي مفتاح الفهم للآخر، بدل الحُكم عليه، فمنطقه وإن كان لك غاية «بالتخلف» هو محكوم بنسيجه الفكري الذي يشكل عالمه، وميكانيكية عمله، وإن تمحصت في هذا النسيج، وسعيت لفهمه سترى بالعمق، أن كلّ أنواع الأنسجة الفكريّة تصب في نية واحد: النية الإيجابية لعالم أفضل.
والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف سيغير هذا المبدأ «نوعية» الحياة بصورة عملية؟ لك أن تتذكر الآن حالات العراك المستمرة بين السياسيين، فقط لأنّهم لم يعوا أنهم كلهم يعملون بنفس النية، ولكن بنسيج فكري مختلف. فإن عرفوا أن النية

الجامعة هي نية إيجابية، ستختفي العواطف الملتهبة من الحوارات، ويعم الهدوء والإنصات الروحي الكامل.

كيف ذلك؟

فكر في الذي يحارب من أجل تيار سياسي معين، فهو يفعل ذلك لما يظن ان فيها الأفضل للبلاد، فهو يتحرك من نية إيجابية، والذي يتشدد لتيار عقائدي معين فهو يفعل ذلك لنفس السبب. كلها تصب بالعمق في نية إيجابية.

فكلنا نعيش في عوالم منفصلة، وبأنسجة فكرية منفصلة، ومسخَّرة بِنِيّةٍ إيجابية، وهذا سرُّنا الصغير.

مهما اختلفت العوالم الفكرية، كلها تلتقي بِنِيَّةِ إيجابية.

عندما يدرك الناس أنه باختلاف الأنسجة الفكرية ليس شرَّ الشرور، بل هو الالتقاء بالنية الإيجابية، ستنتهي الأحكام فورًا، وسيعمُّ الفهم. هو الفهم لطبيعة الخبرة الإنسانيّة، كتجربة فريدة لكلّ انسان، ولولا هذه الفرادة لخلا الكون من عنصر الثراء، ولكانت عمليّة التطوّر أبطأ من البطيئة.

هذا لأن الفرادة هي الولادة لعمليّة التغذية الراجعة في الكون، ومن دون الفرادة، ستتقلص التغذية الراجعة إلى منظور واحد عن الحياة. ولكن الحياة بحنكتها أبت أن تكون هذه الحال، وضمنت أن تؤسس نظامًا ثوريًا وثريًّا، يوسّع المدخلات والآفاق والمخرجات. فإن اختبر كلّ شخص العالم كحالة فكريّة فريدة، وهو الحاصل، فلك أن تتخيّل كمية

الحِكمة المتواردة من كلّ هذه العوالم، والتي تصبّ بالنهاية في قلب الحياة الواحدة.

وحتى في علوم الفيزياء الكمية، تتضح فكرة التغذية الراجعة مع مصدر الحياة والمسمّى بـ «المجال field»، فكلّ شخص يغذي، ويتغذى من مصدر الحِكمة في الحياة، مضيفًا إليه ومتعلمًا منه. ولك أن تتخيّل حجم المعلومات المتبادلة، عندما يكونّ لكل شخص خبرة فريدة للعالم، مقابل عالم واحد، يُرى من منظور واحد.

ولك أن تتخيَّل أيضًا التضخُّم في المعلومات، إن كان لكلّ ذرة فرادة التبادل المعلوماتي، وليس فقط لكل إنسان- وهو الحاصل- بهذا تصل الحياة إلى أسرع حالات التبادل المعلوماتي، مسرّعة بهذا شغفها الأصيل للتطوّر السريع.

وإن بدأ الحوار بالتعقد لترحاله إلى الأبعاد العليا، فلنقف، ونتنفس... حرفيًّا تنفس، ولنرجع إلى الفكرة ذاتها: لكلّ شخص عالمه الخاص، فاحترم هذه الحقيقة وقدّسْها، وستفتح لك بالمقابل الأهمية المطلقة من «الانفصال». فهذا الانفصال لا يولد انفصالًا بين الناس، كما هو انفصال الخوف، بل على العكس تمامًا، فتعبير الرحمة والتعاطف ما هو إلَّا وليد هذا الانفصال في العوالم، لأنه يولِّد الرغبة للاتصال على ما تعالى عن الانفصال، وهو المصدر الذي تنبثق منه كلّ العوالم المختلفة.

ولنرجع هذا المفهوم للعمليّة، كما اعتدنا، اسمح لي بأن أروي لك القصة التالية...

كنت مرة مع صديقي في متجر الأفلام لشراء فيلم السهرة، ومن خلال مسيرنا في المكان والذي يعجُّ برائحة الأفلام وتَبِعَاتها، من إكسسوارات الأقراص الضخمة القديمة، وقعت عينه من بين كلّ الأفلام على فيلم عن القرش «jaws» ، فركض مسرعًا إليه وابتسامته تتّقد، ومن ثمَّ نظر إليَّ بحماسة، وقال: «إيهاب دعنا نشاهد jaws».

بالرغم من رغبته القوية، كان لي رأي مختلف تمامًا؛ لأن «خبرتي» مختلفة تمامًا، فالنظر إلى صورة القرش على غلاف الفيلم، سبَّبتْ لي الانسداد الكامل في معدتي، وحتى أني أحسست بقدمَيَّ تريدان الرجوع إلى الخلف.

ولكن لمعرفتي بالعوالم المنفصلة، رجع الفضول إلى نفسي، واسترخى جسدي، وسألته: «ماذا تحب بهذا الفيلم، فقال: «القرش،» وسألته: «لماذا تحب القرش؟ «فراح يروي لي صفاته القوية من الحِدّة، والانسياب و و و...»، وبالاستمرار بعملية الإنصات العميق كان «عالمي» عن «القرش» يتسع ليلتقي «بعالمه» عن «القرش». هنا بدأ الفضول بالتزايد أكثر، فكلّما تكلّم أكثر، فُتِحَ لي منظورٌ آخر لم أره عن القرش من قبل، وقد يكون في العمق منظور جديد لم أره عن نفسي من قبل.

قد يبدو هذا المثال سخيفًا للوهلة الأولى، ولكن تخيّل أني افترضت هنا أننا الاثنان نختبر العالم بنفس الطريقة تمامًا، فبهذا الاعتقاد سيبدأ ذهني بالانجراف إلى الأحكام تدريجيًّا، قائلًا بداخلي: «ما هذا الذوق السخيف الذي لديه باختيار الأفلام، ألا يرى أن هذا الفيلم مخيف؟ أهو يعشق الخوف والدراما، أم ماذا؟ وقد يطول الحوار للوصول: «آاه قد عرفت أنه من نوع الأشخاص الذين يسعون للدراما فقط، ولا يسعون للتطور والإيجابية و و و...». بالتسارع مع هذه الأحكام سترى النقاش يتدرج من الأحكام إلى الانغلاق إلى العدوانيَّة، فتراني أقول له حينها بصوت صارخ: « لا، لن نحضر هذا الفيلم لأنّه ليس جيّدًا»، وسترى حينها وسائله الدفاعية تتفعل ليدافع عن رأيه.

أترى الفارق في نوعيّة الحوار، وإن كان الحوار الآخر تخيُّلِيًّا .

ولتصل الفكرة كاملة، فقد نضيف للحوار السابق بُعدًا تخيُّلِيًّا آخرَ. فتخيّل أنه كان هناك طفل محمول بين ذراعَيْ أمه، وهو لم يتعلم كلمة القرش بعد. ذلك الطفل لن يختبر القرش حرفيًّا؛ لأن القرش لم يولد في عالمه حتى تلك اللحظة؛ لأنّه لم يُشكل من داخله هذه الكلمة حتى الآن، والتي في أصلها فكرة، فتراه بدل القرش يرى مجموعة من الألوان، والطاقة المتوهجة من خلال الصورة.

لذا نفس هذا القرش كان تارة رائعًا، وتارة مخيفًا، وتارة غير موجود البتة!
وهؤلاء ليسوا فقط ثلاثة عوالم فقط، فبداخل كل واحد منهم، تسكن فرادة العوالم الفرعية.
أسمعك الآن تقول، آآآه، أصبح الموضوع منطقيًّا الآن.
للروح منطق خاص مصمّم بالتناغم مع قانون النظام الواحد، هو منطق النظام، وفيها العوالم المنفصلة منطقي، وبهذا المنطق لا يكون حب أي شخص لك شخصيًّا، فلا شخص قادر على محبتك أو كرهك، ولكن ما هم إلَّا معبرين على عالمهم الخاص، إما بحب الذات، وإما بالبعد عنه. فإن كان الشخص محبًّا لك، فما هو إلَّا مظهر لحب الذات عنده، وليس في ذلك شخصنة، وإن كان الشخص حقودًا، وكارهًا لك، فما هو إلَّا مظهرٌ لحياده عن حبِّ الذات في داخله، وليس في هذا شخصنة أيضًا.
إن أحبك أو كرهك شخص، فهذا تعبير عن حبه لذاته، أو البعد عنه.
وأذكر تمامًا اللحظة التي اتَّضح لي هذا الطرح، فكنت أعطي محاضرة للرِّياديين بالأردن، وفي المنتصف كنت أشارك معهم فكرة أننا نحس أفكارنا، وليس العالم الخارجي.

في أواخر المحاضرة سألني أحد الحضور: «إيهاب، إني أحس أني لست محبوبًا، وهذه حقيقة، وليست من أفكاري، فلا شخص يحبني».

وقبل استكمال القصة، دعني أبُحْ لك بمعلومة صغيرة عن طريقة عمل ذهني في الأسئلة، فعندما أسأل عن أي سؤال بالمحاضرات وغيرها، تنبثق من داخلي قدرة سريعة على تلقائية الإجابة، وإن لم أكن أعي وجودها من قبل، وكانت الأسئلة تعمل كمحفِّزٍ للتعاليم التي تريد الانجلاء من خلالي، وبهذا أفاجأ بالإجابة مع فجأة الحاضرين. لكن هذه المرة، ولسبب ما لم يأتِ الجواب تلقائِيًّا، أو على الأقل لم أحسّ بذلك، وبدل أن أقول لا أعرف، اخترت الانسياق مع خوفي، وأجبت إجابة تفرغ من الحِكمة.

وعندما ذهبت إلى البيت، لم أسترِحْ، وبقي هذا السؤال يتردد في رأسي، وكأنه يطرق أبواب وعيٍ لمستوًى جديدٍ من نور المعرفة، حتى فتحت الباب، وحضر الجواب الشافي. عندها أدركت تمامًا ما قصصت عليك سابقًا، أنّه إن أحسست بعدم حب الناس لك، فهذا فقط لأنّك بعدت عن حب الذات في قلبك، وللتوضيح دعنا نتخيّل التالي:

تخيَّل أنّك تمشي الآن بالشارع، وبالجانب المقابل يمشي شخصٌ مستنير لمس أعماق الحب من قلبه، وهو يشعّ «عالم الحب» للبشرية، ولكنك لا تحس بالحب، فلماذا هو يحبك،

ولكن أنت لا تحس بذلك؟ لأنك غير قادر على الدخول إلى بوابة هذا العالم؛ لأن تردّدك الطاقيّ لعالمك، مرتكز في خبرة (أنا مش محبوب) فقط.

طبعًا فكرة (أنا مش محبوب) هي وهم فكري، وهي أساس الشرور الإنسانية، وللأسف يخاف الكثيرون من تغيير هذا الوهم؛ لأن عالمهم بالكامل، ومنشآته الفكرية كلها، ترتكز على هذه الفكرة. وبانسحاق «ملح» هذه الفكرة، سينسحق عالم الشخص، ولكن ما هذا إلَّا انسحاقٌ لعالم المحتويات الفكرية فقط. هي عملية تدمير روحي لتولد عوالم جديدة من الحب بعدها، عوالم من الحب اللَّا محدود خلف هذه الفكرة.

فكرة «أنا مش محبوب» وهم كامل؛ لأنك تسبح الآن في مصدر الحب الكامل والخالد الآن، هو المصدر الذي ليس له بداية أو نهاية، ولكن فكرة واحدة حجبت عنك ما هو حقيقي، ومتاح لك الآن من عالم من الحب، عالم الجنة. فالجنة ليست «مكان» لتصل إليه، فهي «وعي» معين تعالى على بُعْد المكان والزمان، هي الوعي الكامل بحب الحياة لذاتها، ومنها أنت.

فكِّرْ فيها للحظة، ألن تحسَّ بأنك في الجنة.. لو أحسست أنك محبوبٌ مهما فعلت، أو كنت، وبذلك كل عناصر عالمك محبوبة مهما فعلت أو كانت، طبعًا هذا هو فردوس الله. وستحجب عن نفسك هذا الفردوس، إن اخترت واهمًا «عالم

كره الذات»، أو على الأقل إن لم تختر التطهير التدريجي لعالم «كره الذات».

عالم «كره الذات» هو ما تحتضنه العامة، فإن لم تكن متيقظًا، قد تقوم بنسخ طاقة هذا العالم، لتحوِّلَه تدريجيًّا إلى عالمك الخاص، مرسِّخًا في نفسك برمجة العبودية التي ترعى «كره الذات»، والتي تدافع عن هذا الرعاية بالحجة المبرمجة: حب الذات أنانية!

فكيف يكون ذلك، وخالق الذات هو الحب نفسه؟!

حب الذات ليس أنانية، بل شفاء، وتنوير، واتصال مع الخالق، وتعابير الخلق كافة. حب الذات أساس الحب الإنساني، فلن تقوى على حب أي إنسان، بل أي مخلوق حتى لو كانت زهرة، إن لم تحب نفسك. وتيقن أن حب الذات لا يعني أن عليك أن تحتضن كل الأشخاص، وتقضي وقتك وجهدك في مساعدة الجميع ، لتتشرَّب طاقة كل الأشخاص؛ لأنك تحبهم، وواحد معهم، فهذه برمجة مغلوطة أخرى من كره الذات، مرتكزة في منطق إرضاء العامة، أما حب الذات، فيرعى احترام النفس، واستقلاليتها، ويرعى الحدود الطاقية الصارمة.

فإن كنت من الأشخاص الناسخين بسرعة للطاقة- كما هي طبيعتي- وهم الذين عندهم حساسية طاقية عالية، فمن المُهِمّ أن تضع حدودًا طاقية؛ لتضمن استقلاليتك الطاقية، وهو شكل

من حب الذات، غير ذلك ستتشرب أفكار الوعي الجمعي بسرعة. فإن ذهبت لشخص مكتئب، ستخرج مكتئبًا من عنده؛ لأنك تنسخ طاقته بسرعة لتساعده في عملية الشفاء.

تيقن من أن الحساسية الطاقية قد تكون نعمة أو نقمة، والخيار لك، هي نعمة لأنها تساعدك على إحساس الوحدة، وقراءة جذور المشاكل، لتوفير الحلول السحرية، ونقمة إن كنت تنسخ كل شيء من حولك، لتحتضنه كأنه أنت من دون وعي.

لذا من المهم إن كان هناك شخص دائم التوتر ألَّا تركز بطاقة كلامه، وقد تتخيَّل حوله مُضَلعًا طاقِيًّا، وتطلب من ذهنك أن يبرمج هذا المضلّع للاستقلالية الطاقية. تذكر الحدود الطاقية ليست أنانية، إنما هي جزء من رحلة حب الذات.

لذلك، نعم من المهم جِدًّا أن تضع نفسك مع أشخاص وبيئة ترتقي بك، وتحتفل بحقيقتك، وإن لم يكن هذا واقعك الآن، فاعمل على جذبه بالنية، وبتشفير الأفكار المعرقة له، مع وضع نفسك في أماكن يتواجد فيها محبُّو اليقظة الروحية والتطور الذاتي.

أنت وبيئتك تؤثران على بعضكما بقوّة، ولكن تذكر أن التأثير ليس من الخارج، ولكن من داخلك، وعندما تزداد احترافِيّتك الطاقِيّة أكثر فأكثر، سترى قدرتك على التأثير بالبيئة تزداد، وترى البيئة تنسخ منك أكثر ممّا تنسخ منها؛

لأن بصمتك الطاقيّة أصبحت الغالبة. هذا لا يعني طبعًا أن تضع نفسك في بيئة محفّزة للكره، والأحكام والتجمد لأن طاقتك ارتفعت، بل كما قلنا، اختر بيئة محفّزة لنهضتك، وتطوّرك وعلى كل النواحي.

كل هذه التفاصيل عن البيئة والعلاقات لها أهميتها، ومكانها المحوري في إدارة الطاقة، ولكن بالعمق الموضوع أبسط، هو الحب، حب الذات، فهو الحل. والشفاء والتطور الفردي والجمعي، وهو من سيرتقي بفجر جديد على الأرض.

للتذكير:

* الاتصال الصادق مع الأشخاص هي ليست مهارة لتتعلمها، وإنما حالتك الطبيعية.
* أفضل طريقة للعودة لفطرة الاتصال، هو بتعدّي الأفكار المشتّتة خلال الحوار، للسقوط في وعي الوحدة.
* كل شخص له عالمه الخاص الكامل.
* كل النوايا الإنسانية تجتمع بغاية السلام.
* لن تستطيع أن تستقبل الحب، إن لم ترتقِ إلى حب الذات.

أسئلة للتفكر:

ماذا سيحصل إن كنت حاضرًا مع الشخص الذي يتكلم، بدل التفكير بكيفية الرد؟

هل من الممكن أن ترى الشخص الذي ستقابله، كعالم جديد تلتقي فيه؟

كيف سيثري هذا خبرتك معه؟

إن كانت فكرة «أنت غير محبوب» وهم، والحقيقة أنك تسبح في وعي الحب، ماذا ستشعر؟

فجرٌ جديدٌ على الأرض

نحن نعيش الآن في فجر جديد على كوكبنا الأم، الأرض، نعيش فجر الصحوة. فالأرض أكملت سلاسل معينة من النضوج، ضمن دوائر طاقية محددة ؛ لتدخل في عصر جديد من الوعي، ومن بوابة عام الـ ٢٠١٢ وما حولها.

هي مرحلة جديدة من الوعي، كما ذكر بكثير من النبوءات السابقة كالمايا وغيرها، وحتى في الأبحاث العلمية الصادقة، في مسارات الأرض، وحركة دورانها مع الشمس والنجوم، والتي فسرها بطريقة مغلوطة الكثير من البشر على أنها نهاية العالم. وبالرغم من هذا اللغط في تأويل حقيقة عام ٢٠١٢، فما زال فيه أنصاف الحقائق: فهي نهاية العالم الذي اعتدنا عليها، هي نهاية العالم الذي يعمل بجهل الانفصال، والذي يتحرك بمنطق مخالف لقانون الواحد، ونظامه الأصيل.

هو عالم جديد انتفضت فيه الأرض من سُباتها، وقامت بالترحال إلى مستويات أعلى من الوعي، لتنتقل من البعد الثالث إلى البعد الخامس. هذه الأبعاد هي ليست أبعادًا مكانية، وإنما أبعاد طاقية، وذهنية تتمثل فيها درجات معينة من الوعي. فالثالث فيه وهم الانفصال متجلّيًا بكره الذات والخوف والفقر، والرابع فيه الوضوح الطاقي، وانفضاح

المُخبّأ والمستور، وأمّا الخامس فهو التجلّي الحقيقي لحب الذات، والوحدة مع المصدر.

البعد الخامس هو بُعد الرخاء، والثراء، والمحبة، والتعاون، والإحسان، والإبداع والتعبير الصادق، وفرادة الرسالة، هو بُعد نتيقظ فيه إلى المعارف المستنيرة في الحضارات القديمة، والتي تختبئ الآن هامسة من قلب الإنسانية. الأرض ارتقت إلى البعد الخامس؛ لذا هي نصيرتك في هذه الرحلة، فدعها تنصرك وترشدك.

نعم، الأرض نصيرتك، فامشِ مع تيار التغيير الذي تَبِعْته إلى البُعد الخامس، والذي سينهض فيك كفرد، والإنسانية ككل، لأن الإنسان واحد غير مقسم. ليس هذا فحسب، بل سينهض أيضًا بالكواكب، والنجوم، والحضارات الكونيّة، وعلى أبعاد متعددة، وحول الأكوان المرئية وغير المرئية. هي نهضة شمولية، وغير مسبوقة في الوعي، وعلى جميع المستويات، والتي تأخذ عادة ملايين السنين لتنفيذها، ولكننا الآن سننفذها في أعوام قصيرة بين عام ٢٠١٢ و ٢٠٥٠ تقريبًا.

في عمر التطور هذه المدة تشابه الرمشة؛ لذا الأصح أن نقول إنها ثورة في الوعي. وفي هذا الوقت المختلف من الزمان، ستندثر الأنظمة القديمة بسرعة البرق لتلد أنظمة جديدة، فنحن ننهض سويًّا كإخوة وأخوات في الحب إلى

عصر جديد على الأرض، وفيه أنظمة جديدة، تعمل لخدمة الحب والتوحيد، هو فجر جديد على الأرض.

في السابق كانت عمليّة النهضة والتطور مرهقة أكثر من وقتنا الحالية؛ وذلك لأن مستويات الطاقة على الأرض لم تكن داعمًا إلى حَدٍّ كبير للقفزات الكبيرة في الوعي، وأما الآن فالوضع تغير، والزمن تغير، وسرعة التطورالرهيبة أصبحت متاحة لأي شخص ارتضى أن يسلك طريق اليقظة، وليست فقط حكرًا على الرهبان والمتصوفين.

هي نهضة بدأت بذورها بالتجلِّي من بداية القرن الماضي، ويعود الفضل في ذلك لموجات القادة المستنيرين، الذين سمعوا نداء الأرض على مستوى الروح، ولبّوا هذا النداء بالقدوم على هذا الكوكب لتيسير النهضة. ونحن الآن في خِضَمّ الموجة الثالثة من هؤلاء القادة- وأنت منهم- والدليل أنك تقرأ هذا الكتاب، فنحن نستذكر سويًّا أننا في مهمة واحدة على الأرض، للنهوض سويًّا بما نهضت فيه الأرض أصلًا وهو البعد الخامس.

لذا لن نبالغ أن نقول: إنّك تعيش الآن في أفضل وقت بتاريخ الكرة الأرضيّة، لا هو أفضل وقت بتاريخ الأكوان كافّة، فأنت الآن القائد والشهيد على حدث كوني مذهل، سيبقى ذكراه في مكتبات الكون لملايين السنة، وستعلم دروسه من جيل إلى آخر، وعلى كواكب عدة. نحن الآن شهود على

التغيير، وإن كان في هذه الشهادة االدهشة والرحمة، ففيها أيضًا الكثير من النقلات المرهقة، والتسارع في مراحل التطهير؛ لذا هي تبقى شهادة العصر.

ولمن عرف روح الشهادة الحقيقية، له أن يشهد كل هذه التغيّرات بطمأنينة كاملة، له أن يشهد كلّ التقلبات، والعشوائية، وسقوط الأنظمة، والصراخ، والألم، من وسادة الروح المطمئنة، وبالمعرفة الكاملة أن خالق الكون، لا يعطي شخصًا، أو كوكبًا أكثر من قدرته على التحمل.

نحن نقفز الآن سويًّا لدرجات غير مسبوقة بالوعي، لنسير سويًّا في عصر الصحوة شِئنا أم أبينا، هي الصحوة من النوم، الصحوة من حلم الانفصال إلى حقيقة الوحدة. بهذا سنشهد عصرًا جديدًا غير مسبوق، وفيه تجربة غير مسبوقة على الأرض.

طبعًا هذه التجربة الشرسة في رفعة الوعي الكلّي، تأتي بضريبتها أيضًا، فالتسارع في الأحداث لن يترك للإنسانية مجال التعلق بألاعيب العادات والتقاليد، وغيرها من النظم الفكرية البالية، وسيذيب شرور هذه الأنظمة، وما تحمله من عارٍ، وخوفٍ وتقسيم. نحن نمضي الآن سويًّا إلى ستر المكشوف في سبيل تجلِّي الذات بروعتها الإلهية الكاملة.

قد تكون هذه الصحوة من أعظم التجارب التي مرَّت فيها الأكوان كافّة، لسرعتها وضخامة تأثيرها، هي صحوة

شمولية تفتح معارف الذات على مصراعيها، لتذكرنا أننا لسنا قطعة لحم فيزيائيّة، وإنما «ذات خالدة متعددة الأبعاد». فكما استذكرت روح الأرض ذاتها، لترتقي بهذه المعرفة إلى مستويات جديدة من الاتصال مع أركان الكون، لك أن تفعل ذلك، لتحوّل التواصل بينك وبين روح الأرض والحضارات الكونيّة إلى حقيقة واقعة. طبعًا هي حقيقة لمن اهتدى إلى هذه المستويات العليا من الوعي، بين الأرض والنجوم.

هي صحوة الاتصال المتعدد الأبعاد، وفيه السرعة الخارقة في الانتقال من محدودية الفكر الازدواجي، إلى الفكر المتعدد الأبعاد، ودقة السببية. هي سرعة عظيمة في الانتقال من الفقر الذهني إلى عالم من الاحتماليات اللَّا محدود.

شخصيًّا أحس هذا التسارع في كل لحظة، وفي ازدياد مستمر، فهو حقيقة وواقع ملموس لي، أحس التسارع في نهضة الوعي داخل خلايا جسدي، أحسه وأراه وأتنفسه في أكثر الأمور خفاءً، إلى أكثرها عملية ووضوحًا، وعلى مستوى الفرد والجماعة. فعندما بدأت رحلة التنوير في الأردن حوالي ٢٠١٢ كانت فكرة التأمّل شبيهة الكفر، والآن نرى مراكز التأمّل والعلاج بالطاقة تعجّ بالمكان، وفي تزايد رهيب ومستمر، وحتى نرى المدارس تتَّخذ التأمل كجزءٍ من مناهجها، وحتى أماكن العمل الرئيسية، التي بدأت تعتبر

التأمل، وكورسات الإدراة الذهنية الآن، كضرورة قصوى لتقدمها.
ألا يدعو هذا للاحتفال، وفي كل لحظة؟
الاحتفال بما كان أباؤنا وأجدادنا يحلمون فيه بسرهم...
في وقت السلف كانت العبودية الذهنيَّة هي السائدة، فالبشر كانوا مغمضين عن رحلة اكتشاف الذات، بسبب التلاعب المبرمج، ولكن هذا الوقت انتهى، أو شارف على الانتهاء، ولعبة السيطرة باتت مكشوفة ومحروقة، ومرة أخرى لمن اهتدى لهذا الكشف طريقًا. ففي رحلة الصحوة استرجاع لقوّتك الأصلية على التبعية الكذابة، لتصبح أنت والأرض كقوّة كونيّة واحدة، تعملون في تيارات متوازية، هو التيار باتّجاه قيادة القلب ورضوخ الدماغ، أو قيادة الحدس، ورضوخ التحليل. فالهمسات الحدسية التي تتسارع إلى ذهنك الآن هي رسائل محمّلة من «الإيثر Ether» لذهنك، رسائل من الوعي الكوني لتيقظك من سباتك.
أسرار اليقظة بقيت دفينة عن العامة لعصور عِدّة، ونحن نعيش الآن في عصر انكشافها، الانكشاف لمعارف مستنيرة، في صلب معرفة الذات، فهي معارف ترتقي بالإنسانية إلى روح الله الواحد، هي معارف تتكشف من قلب الأرض والحضارت القديمة، وأيضًا من قلب النجوم، وحضارتها الكونيّة إلى نفسك. هي معارف اليقظة التي تفتح بوابات

القوّة، والحكمة، والحب على مصراعيها، هي المعارف التي تجلّي بنارها تكلسات الجهل، والتلاعب الحاصل في الـ DNA، ليستيقظ منك الـ DNA الكريستالي، وفيه معارف أعمق
بصلب التكوين.
هناك جهات استفادت، وما زالت تستفيد، من جهلك، وعدم معرفتك في مفاتيح التكوين، فالأنظمة الحالية التي نراها من النظام التعليمي، والتربية، والعلاقات، والمال، بنت قواعدها من هذا الجهل، وبمنطق العبودية، والسيطرة على الإنسان الخائف. فالكثير من القادة تغذّوا على هذا الجهل، بتفعيل سياسة القطيع الأعمى، ولكن أتى الزمن الذي يتغير فيه كلّ شيء، فالأنظمة القديمة في حالة انهيار، لتخلق المساحة للتجديد، وما أجملها من فترة أن نعيش فيها!
أنت تعيش الآن على هذه الأرض الجميلة لسبب معيّن، وفيه رسالة معينة من قلبها تريد مشاركتها لك: أنت هنا لصنع المعجزات، وأنت هنا لتفعّل وقود اليقظة الخالدة، أنت هنا لصنع ما يشابه المستحيل في سطحه، أنت هنا لتـ(كن أنت).
فلبِّ هذا النداء.
نحن نريد حقيقتك أكثر من أي وقت آخر الآن...
فلا تدع الجهل والخوف يجمد شجاعتك، وامضِ في أسرار الذات، امضِ في أسرار الحكمة، وهي لا متنهية. امضِ في

أسرار الحضارات القديمة وهي لا منتهية، وستفتح لك قوى جديدة، لا تستطيع أكثر أحلامك تطرُّفًا أن تلمس جزءًا من قدرتها، هي القوّة المسخّرة من نظام الواحد.

هذه القوّة مختلفة كل الاختلاف عن المعنى التقليديّ للقوّة كرغبة خائفة بالتحكُّم، هي القوّة الأصليّة التي تنبع من المحبة، وبالمعرفة الصادقة بالنظام الواحد. هي المعرفة التي تأخذك إلى شموخ حب الذات، فقف شامخًا في حبك، وارمِ رتابة الأفكار المتوارثة عن كتفك، وخصوصًا تلك التي تقول لك إن حبّ الذات أنانية، فهذه أكثر الأفكار خطورة، وتقيّدًا، وشيطنةً.

ارمِ حقول هذه الأفكار البدائية، وإن كانت متوارثة من كل نسلك، والتي تنص عليك أن القيمة تأتي من قبول المجتمع، وليس حبك المستقل لذاتك، انفضْ غبار هذه الأفكار الآن. انفضه وأحبّ ذاتك، واذكر أهميتها كقوّة روحية خلّاقة، لتبدأ التغيير بما يتوازى مع تيارات التغيير على الأرض والسماء، وهم واحد. امضِ للتغيير بما يتوازى مع معرفة الواحد، فهو أساس المعرفة المثالية.

المعرفة المثالية سترشدك إلى مكنوناتها الذاتية، عندها ستصبح المغيِّر والقائد والخيميائي، عندها ستصنع واقعًا جديدًا، وفيه كوكب جديد، ومن داخلك الآن. هو كوكب ملهم للحبّ، والسلام، والتعبير الصادق عن الذات.

دَعِ الكوكب الجديد يولد من قلبك، فهو قابع هناك الآن، كوكب موحد من روح الواحد، ليتعالى بك عن تُرّهات التقسيم. دعْهُ يتعالَ فيك على جناح النسر الذهبي، ليأخذك محلّقًا إلى نافذة الوحدة والخلود، فمن تلك النافذة، سترى الصورة الشمولية، لترى عملية التغيّر كما هي من العدم إلى الشيء، ومن الأشكل إلى الشكل. ستكون شهيدًا علي عملية الخلق كاملًا...

وليكن عنوانك القادم في شهادة التغيير، هو التخلّي عن الماضي، وخطوطه المهترئة المكررة، فلا تكنْ عنصرًا مجنّدًا للماضي المبرمج، أو الأصح أن نقول: «برمجة الماضي» في اللحظة، بل كن عنصرًا مجنّدًا للتغير. فما الحياة في مُضِيّها إلّا القادم، ستسحق الماضي المشبع بالجهل، فلا تكن فريسة تتغذّى عليها أنظمة الماضي، بتسليم أغلى ما تملك لها، وهي استقلاليتك الفكريّة وسيادة الخيار، فقط لراحة المسعى اللحظية!

استرجع ذاتك، وازأر، وهذا قد يتجلّى بالتكلم الحازم، أو قد يعني السكون، فزئير الروح ساكن، وإن كان في الكلام، ولا تجعل الصوت الخائف في ذهنك، والذي استنسخ صوتًا له من صوتك الحالي، أن يجد في نفسك الرحابة والتشجيع، بل عامله بحذر خارق، وتمييز خارق. فكما هناك النور هناك الظلام، وهناك الوحدة المتعالية على هذه الثنائيات.

فزمن الصحوة لا يعني أن تصدق كل شيء، بل يعني التمييز، تذكر كلمة التمييز، فهي السِّرّ، والمفتاح للغوْصِ في معارف الذات، فالمعلومات متطايرة هنا وهناك، فاستخدم التمييز.

المرشدون متطايرون هنا وهناك، استخدم التمييز، أبعاد الروح تملؤها كل أشكال الخليقة، استخدم التمييز.

استخدم التمييز، استخدم التمييز، استخدم التمييز. ومصدر التمييز هو القلب.

وإن طلب منك شخص، أو جهة أن تتبعه من دون تفكير، أو بدأت باستخدام الإيمان كحجّة لتجميد العقل، فالتمييز سيرشدك لخطورة هؤلاء القادة، ووجوب الهروب من مجلسهم.

بالتمييز ستدرك أن القوّة والثراء، والاستمتاع هم حالتك الأصليّة، والمصانة صون الحياة نفسها، فلا البعد عنها يغيرها، ولا الجهل بها يلغيها، فما الصحوة غير تذكر ذلك الأصيل فيك، وما الشيطان غير رمزية الستر والإخفاء؛ خوفًا من هيبة العري. فلا تخف أن تعرِّي نفسك رويًّا رويّا، وخيارًا بخيار، وبهذه التعرية ستذكر حقيقتك لتكون كالشخص السابح في وسط الغرقى.

الإنسانيّة والأرض تحتاجك الآن، تحتاج لعريك وحقيقتك وحبك لذاتك، فلا تحرمها ذلك، وبهذا الحرمان تحرم نفسك من كنزك الأصيل.

فالأرض تمضي بسرعة غير مسبوقة إلى العالم الجديد، تمضي بسرعة إلى فوتانات النور الذهبية، والتي تحمل في باطنها كودات النور الأصلية، طبعًا مرة أخرى لمن اهتدى إلى هذه الكودات، والتقطها وفعَّلها، وأنت تقوم بذلك الآن، فكلمات الكتاب ما هي إلَّا تفعيل لكودات النور من داخلك.

الأرض استنارت، وانتفضت، وانفجرت، هو انفجار البركان الخامد، وفي هذا الانفجار قذف لمعادن العبودية حتى تخرج، وتنصهر وتتبخّر؛ لتعطي الفسحة لِلافا الروح أن تَبسُط نفسها كسجّادة مرئيّة على أرض الخليقة. فنحن الآن في الطريق إلى مرئية الجنّة على الأرض، وهو مستوى وعي جديد من داخلك الآن، هي الجنة التي تعمل فيه كل الخليقة بالتناغم مع نظام الواحد.

وفي هذه الرغبة لإيقاظ وعي الجنة على الأرض، سنرى المقاومة أيضًا على مستوى الشخص والكلّ، فمن اعتاد العبودية من الصعب عليه التخلّي عنها، ومن كان نائمًا قد يشتم من يحاول إيقاظه، والحل أن تدعهم، وأن تحترم أن لكلّ شخص رحلته الروحية الخاصة. ركز على نفسك، بالتركيز كيف تـ(كن أنت)، هكذا ستقدم أكبر هدية لزمن الصحوة.

المسألة باتت سهلة إمّا أنّك تكون أنت، كعنصر محفِّز للوحدة والحبّ والتمكين، أو تدع جهل الأحكام والخوف يقودانك...

والسؤال الذي سيتركك به الكتاب: هل ستكون محفّزًا لليقظة؟ هل ستلبي النداء؟

لا أحد يستطيع أن يجيب عن ذلك غيرك أنت، ولكن دعني أقلْ لك بقليل من الغرور وكثير من الثقة، إنّك أصلًا أجبت من قلبك، وقلت نعم لهذا النداء، وهذا الكتاب الذي بين يديك ما هو إلَّا استجابة لهذا النداء.